۹۰۲۲
کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی
کتاب الواح العماریه و رساله دیگر
مؤلف
موضوع
شمارهٔ قفسه ۶۹۰۶
جمهوری اسلامی ایران
شماره ثبت کتاب
۷۴۳۰۶
خطی
کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی
۶۹۰۶
بازدید شد
۱۳۸۲

کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی

کتاب الواح العادیه و رساله دیگر

مؤلف

موضوع

شمارهٔ قفسه ۶۹۰۶

خطی ۶۹۰۶

کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی

بازدید شد ۱۳۸۲

فان هذه الجملة بذواتها مبرأة من المادة ٭ وقسم ثان وهو ان يحتاج العقل
ان يعمل به فعلا ينتزعه من حامله حتى يصير معقولا وهذه كلها تلحق الاجسام
التي هي الحركة والمكان والزمان والآن والنقطة والخط والسطح
والجسم التعليمي ٭ وهذه اشياء في ذواتها ذوات مواد فانما يصير معقولا
بان يجردها العقل من حواملها فحينئذ يصير معقولا ٭ وهذا خلاف الاول اذ كان
الاول بذاته معقولا لا يحتاج العقل ان ينتزعه فعلا يصير به معقولا ٭ والثاني
يحتاج الى ان يصير معقولا بان يجرده العقل وينتزعه من حامله فقد بان الفرق
بين قسمي المعقولات ٭ اسم الوجود يقع على ما يقوم بنفسه اي لا يحتاج الى حامل
واما ما لا يقوم بنفسه اي بمعنى انه يحتاج الى حامل ٭ والذي يقوم بنفسه ينقسم قسمين
قسم يكون حاملا للاعراض قابلا لها حتى تركب منه ومنها شيء محسوس يسمى
الجوهر الجسماني ٭ وقسم لا يدركه الحواس مع كونه مستغنيا عن حامل ويقال
له الجوهر المعقول كالعقل والملائكة والنفوس المفارقة ٭ ووجود الشيء
هو كونه بالفعل ٭ ووجود الشيء في غيره اي يحتاج الى حامل ينقسم الى قسمين
الى ما يتقوم منه ومن الذي حل شيء آخر هو غيرهما وذلك كوجود الناطق
في الحيوان فانه صورة الحيوان الناطق ومتقوم للحيوان الذي هو الحيوان
الناطق وبهما او ما شاكلهما وما شابههما صورة وسمي الكامل المادة
والقسم الثاني هو الذي حل في شيء متقوم الماهية متقوم الذات ثابت الوجود

موجودها

وعكن ان سطل عنه من غير ان سطل ذات ماحله ومثاله كالبياض
في الثوب او الزرقة فيه فيمكن سطلانه مع بقاء الثوب ويسمى هذا القسم الاول
سوى الشئ عرضا فهذا هو الفرق بين صورة في المادة وبين حلول
العرض في الجسم ۞ قال بعض الحكماء اعجب الوجود كيف ابتدأ من الاشرف
فالاشرف الى ان انتهى الى الاخس فالاخس ثم اخذ من الاخس الى ان انتهى الى
الاشرف فكانه انتهى من حيث ابتدأ ومعناه ان الوجود ابتدأ
من الباري تعالى الذي هو في اعلى رتبة من الشرف ثم اخذ في تناقص الشرف
الى ان انتهى الى اخسها وهو الارض ثم من هناك اخذ في تزايد الشرف فلم يزل
يتزايد الشرف الى ان انتهى الى الانسان فكانه انتهى من حيث ابتدأ
معناه انه ابتدأ من الاشرف وختم بالاشرف ۞ والموجودات ستة اقسام قسم
قسم تعالى انه دهري وقسم تعالى انه زماني فالدهري مثل الملائكة والزماني مثل
الاستحصات والدهر كان ملازمان وهو الازل ﴿ وجود الشئ هو كونه بالفعل
وحصول كونه بالفعل في غير الباري تعالى هو مستفاد من الباري تعالى ۞
النفوس اربعة نفس طبيعية ونفس نباتية ونفس حيوانية
ونفس ناطقة فالطبيعية هي التي بها تتحرك الجسم الحركات الطبيعية وهي
منقسم الى ما تتحرك عن الوسط او الى الوسط او حوالي الوسط فالمتحرك
عن الوسط مثل النار والمتحرك الى الوسط مثل الماء والمتحرك حوالي الوسط مثل الفلك ۞

هذا نقص محذوف

واما النفس النباتية فهي التي بها تغتذي الجسم وتنمي وتولد واما النفس الحيوانية
فهي التي بها تحرك الجسم الحركات الارادية واما النفس الناطقة فهي التي بها
بها العلم والتمييز العقلي ۞ ولكل واحدة من هذه النفوس خوادم وقوى فقوى
الطبيعية هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ۞ وخوادم النباتية هي
الغاذية والنامية والمولدة ۞ وخوادم الحيوانية هي الشوق والارادة وغير
ذلك ۞ وهذه النفوس كلها خوادم النفس الناطقة وايضا الحواس الظاهرة
والقوى الباطنة ﴿ وحد النفس انه كمال اول لجسم طبيعي ذي حيوة بالقوة
ويقال حد انه متقوم لذات الجسم حد الطبيعة انه مبدأ اول للتحرك
والتحرك وسكن ما هي فيه بالذات لا بالعرض والقسم الاول هي الاستحصات
وهي المبادي الاول التي تتركب عنها الموجودات وهي تسمى ايضا البسائط
الاول بالقياس الى المحسوسات المتركبة عنها وان كانت هي في انفسها مركبة
اذ كل واحد منها مركب من مادة وصورة والهيولى ۞ حد البسيط
انه لا تحلل الى شئ بل هو مقترن بالعدم وتحلل اليه والبسائط تقع على معنيين
على ما يكون بسيطا بالقياس الى ما يتركب منه وهي شئ
كالاستحصات فانها بسائط اول بالقياس الى النبات والحيوان وهي
في انفسها مركبة من مادة وصورة فمادتها هي الجسمية وصورتها هي ما بها تفصل
كل واحد منهما عن الآخر كالحرارة واليبوسة الى ان تفصلها النار عن الماء الذي

سو بارد رطب ومنه ما هو بسيط بالجنسية لا محال بالقياس الى ش بل هو بسيط
وهي كالمادة الاولى وكالصورة الاولى وكالطبيعة وكالنفس وكالعقل الاول
الهيولى من المادة الاولى التي لا تنفك منها مادة وهي بسيط من حيث انها ليست مركبة
حد الهيولى الاولى انها تقبل الصورة الجسمية مطلقة لا على التعيين ولا تنفصل عنها
والهيولى الثانية هي التي تخص باسم المادة وهي التي تكون في الاشياء الجزئية
كالباب فانه مركب من الخشب والخشب مادة لها وصورته البابية
ويجوز ان يعمل من خشبة هذا الباب كرسي او سرير والخشب باق في كلي الصورتين
تشترك م اعني الباب والسرير ولكن الصورة تعاقبت عليه والاجسام جملتها في كونها
مركبة من مادة وصورة اما مادتها فهي المعنى الذي يقبل الاتصال والانفصال
بالوهم او بالفعل واما صورتها الجسمية فهي التي تنقسم بما لها وهي التقدير
وهذه امور جنسية الهيولى والصورة الجسمية فاما الهيولى الثانية التي هي المادة
فهي كالطين للكوز والفضة للخاتم او الخشب للباب فان هذه وان كانت مادة
فهي في نفسها مركبة من مادة وصورة من حيث هي جسم والمادة الاولى ليست
مركبة من شيء والفرق بين المادة الاولى والمادة الثانية ان المادة الاولى ليست
غير مركبة من شيء تحمل اليها الباري تعالى اخترعها واوجدها من عدم الى وجود
واما المادة الثانية فهي تحمل الى المادة الاولى فلها مادة وهي مركبة منها ومن
الصورة فهذا هو الفرق بين الهيولى الاولى والهيولى الثانية وهذه المادة

انه

انه الاصل ومادة كل شيء اصله كالطين للكوز والفضة للخاتم والاجسام ستة
اقسام فقسم طبيعي وقسم فلكي فاما الطبيعي فهو كالاجسام الاسطقسية والاجسام المعدنية
والاجسام النباتية والاجسام الحيوانية وغيرها الاجسام كلها تقبل الفساد فاما الفلك
فلا يقبل ضد ذلك لانه جسم شفاف كري لا يقبل الفساد متحرك بارادة حركة قبلية
وهكذا جميع الكواكب وكل جسم ففيه مبدأ الحركة والسكون جوهر كل شيء مادته وصورته
ومادته جنسه الذي يشترك معه فيه غيره وصورته فصله الذي ينفصل به عن
غيره وكذلك ذاته ومما اذا كان في مركب فما ذات الباري وجوهر يقبل ضد ذلك
لانه ليس مركب من مادة وصورة وكذلك جميع الملائكة وذاتهم بل هو صورة
مجردة لا يستوعبها شيء من المادة والاعراض التي هي الحركة والسكون والبياض والسواد
وغير ذلك والافلاك مادة وصورة ولكن غير متقدم احدهما على الآخر كتقدم مادة
الباب الذي هو الخشب على الصورة التي هي الهيئة وما ليس بجسم فليس له مادة
بل له صورة مطلقة كالعقل الاول والملائكة وغيرهم الحواس الظاهرة هي خمس والقوى
الباطنة هي ايضا خمس فاما الحواس الظاهرة فهي قوة السمع وقوة البصر وقوة الشم
وقوة الذوق وقوة اللمس وقوة السمع موضوعة في الاذن التي من الاذن وتدرك
المحسوسات بتوسطها وكذلك لكل حاسة آلة هي موضوعة فيها تدرك المحسوسات بتوسطها
وكل حاسة انما تدرك المحسوسات ما لائمها ووافقها بتوسط آلتها وايضا فان الحواس
انما تحس بما خالف كيفياتها ولكل واحد من الحواس كيفية مخصوصة بها فمتى ورد عليها
ما يخالف كيفياتها فيغيرها احست به وان كان ما ورد عليها يوافق كيفياتها

حتى لا يكون منها فرق ما لم يحس ومثال ذلك ان في اليد حرارة معتدلة
على ضرب من الاعتدال فمتى كان في الملموس حرارة او برد او انعقاد من الحرارة
الطبيعية التي في اليد فانما تدرك وان كان ما ورد عليها مثلها لا تدرك وعلى
هذا جميع الحواس الخمس والمشمومات انما تدرك بهذه الكيفية التي مركبها البخار
من ذي الكيفية بتوسط الهواء ومتى عدم الهواء لا تكاد تدرك رائحة البتة
والهواء هو المتوسط في ادراك المحسوسات الثلثة التي هي المرئيات والمسموعات
والمشمومات ٥ وحد الصوت انه قرع حادث في الهواء وهو ينقسم قسمين
الا ما هو دال بالطبع كنهيق الحمار ونعيق الغراب ونحو ذلك ومنه ما هو
دال بتواطئ كلفظ الانسان المخاطب به لغيره ٥ واما القوى الباطنة
فهي القوة المشتركة التي تسمى الحس المشترك وآلته الخزانة المقدم من الدماغ وهو
لها كاللسان مثلا لقوة الذوق حتى انه متى لحق مقدم الدماغ آفة فانما
تبطل هذه القوة كما انه متى لحق اللسان آفة فانه يبطل قوة الذوق ٥
وثانيها القوة المتخيلة وهي التي تخيل الاشياء الغائبة عنها وآلتها البطن الثاني
للخزانة المقدم من الدماغ وهي قوة واحدة لها امكان بحسب ما تستعمله فان استعملت
المحسوسات سميت متخيلة وان استعملت المعقولات سميت مفكرة ٥
وثالثها هي القوة الحافظة لما يرد على النفس من المحسوسات والمعقولات كليهما
وهي كالخزانة للعقل يخزن فيها ما يحتاج الى استعماله والتصرف فيه من نوعي المعقولات
والمحسوسات ٥ ورابعها القوة الذاكرة وهي القوة التي تستحضر العقل ما تخزنه

في الحافظة

في الحافظة ٥ وخامسها القوة الناطقة وهي القوة التي يستنبط بها المجهولات
من الامور والآراء والحدود والاعتقادات وما شاكل ذلك وهي بالقياس
الى القوى الاربعة التي هي الحس المشترك والمتخيلة والحافظة والذاكرة بمنزلة الآلة
بالقياس الى الملاك والاولياء والاوصياء والنقباء وهي متقدمة عليها
كتقدم الباري جل اسمه على ما خلقه من المعقولات والمحسوسات وانما سمي الحس المشترك
لارتقاء الحواس الخمس الظاهرة اليها ومنها الى المتخيلة والحافظة والذاكرة وغيرها
والمتقدم يقال على اقسام كثيرة منها المتقدم بالشرف كتقدم الباري جل اسمه
على ما خلقه وكتقدم العلة التي هي حركة اليد على المعلول الذي هو حركة القلم فانه
يجمع فيه تقدم الشرف وتقدم العلة ومنها المتقدم في الزمان ومثاله ان يقال
ان النبي صلى الله عليه وسلم اقدم من ابي حنيفة ومنها التقدم في المكان كتقدم
بعض الناس بالقياس الى بعض بالقرب من الامام ومنها المتقدم في الرتبة
كتقدم بعض حكام الملك على بعض بالقياس الى الملك ٥ معنى الخلاء هو ابعاد
خالية من جواهر اعني طولا وعرضا وعمقا لا يوهم بانه جسم حار او بارد
او رطب او يابس او ممتزج من هذا او جسم فلكي ٥ الامكان متنوع على معنيين
احدهما ممكن عام هو يصدق مع الواجب كقولك يمكن ان يطلع الشمس غدا
فطلوع الشمس غدا واجب ويمكن بها شرها العيش فطلوعها واجب وبهذا
الممكن قد وافق الواجب من هذا الوجه وكقولنا الانسان يمكن ان يكون حيوانا

والثانى ما يمكن ان يكون نسبته الى الطرفين نسبة واحدة اى لا يستفز
احدهما ولا امتناعا وهو ممكن خاص مثاله قولنا غدا يمكن ان يجى المطر فان
المطر لا يمتنع ان يجى غدا ولا يجب ان يجى غدا والممكن الذى اراده
ارسطاطاليس فى الفصل الرابع من مسئلة النفس هو ما يصدق عليه الواجب
ويسمى ممكنا عاما ۝ النفس نفسان نفس جلى ونفس خفى فالنفس الجلى
هو الذى يصرح به الناص على المنصوص كقول القائل مثلا ان زيدا والد
هذا فقد نص على كونه والده والاخبار به والنفس الخفى كقول القائل مع شبهة
يحتاج الى رفعها مثلا ان يكون له ولد ويريد ان يلحقه به فيقول انه يرثنى
هذا خفى لانه ما صرح به بكونه ولده وان كان قد خفى ذلك فيما صرح من القول
فهو الحقه بنفسه وجعله ولدا لكونه وارثا له مع شبهه البنوة هذا مثاله
نص خفى ۝ المزاج هو ان تختلط الكيفيات اخلاطها بحيث يصير
حتى لا تبطل واحدا له بعضها افراط بعض ويحصل من الجميع شئ معتدل ۝
هذا الفلسفة انه الاخلاط بتسمى الموجودات اعنى الكاينة الفاسدة والتى
هى غير الفاسدة ومعنى الفلسفة الحكمة وعند المنطقى انه الآلة المقومة
للنفس من الزلل ومثاله فى الآراء كميزان من الاثقال
فان بها يعرف كمية الاثقال وبالمنطق يعرف صلاح الآراء
من فسادها ۝

الفصل الثانى

العلل هى اربعة علة مادية وعلة صورية وعلة فاعلية وعلة غائية
وقد تجتمع هذه العلل الاربع فى معلول واحد كالسرير الذى مادته الخشب
وصورته الهيئة السريرية التى من شكله وفاعله النجار وغايته هى ان
يرتفع الجالس عليه من الارض ويتحرر من الهوام وقد يمكن للمعلول الواحد
علتان من هذه العلل ثلث واربع وليس من شرط المعلول ان
تجتمع فيه هذه العلل الاربع ۝ والعلة قد تقال على متقدمة بالذات
وعلة متقدمة بالزمان وعلة متقدمة بالطبع فامثال المتقدمة بالذات
الغير المتقدمة بالزمان كحركة اليد التى هى علة لحركة القلم وكطلوع الشمس واستضاءة
الهواء فانه لا يتقدم العلة على المعلول فى هذين المثالين بالزمان وانما تتقدمها
على المعلول بالذات ۝ والعلة المتقدمة بالزمان كالبناء الذى هو علة
لوجود الحائط فان وجوده قبل وجود الحائط ۝ ومثال العلة المتقدمة بالطبع
كالنار فانها علة فى احماء الحديد لكون الحرارة فيها طبيعية فهى علة طبيعية
للاحماء الحديد وقد تخلو بعض الموجودات عن اجتماع هذه الاربعة فيه كالعقل
الاول فان له العلة الفاعلية وليس له العلة الباقية وكذلك النفس الناطقة
والهيولى مطلقة والصورة مطلقة ۝ وقولى فى هذا الفصل لا اكلم من عقله
ثابت على الحد الطبيعى اى غير منحرف فى المعقولات

الفصل الثالث

الحركات تقال على ستة اوجه حركة الكون وهو ان يكون المتحرك معدوما
فوجد وحركة الفساد وهو ان يحرك للوجود من وجوده الى عدمه
وهاتين الحركتين تقال على سبيل الاستمرار لا على الجهة على ما بين في
الطبيعيات الفلسفية وحركة النمو وهو ان يكون الشيء صغيرا فيكبر وحركة الذبول
والانحلال وهو ان يكون الشيء كبيرا فيصغر والحركة المكانية وهو استبدال
المتحرك مكانا بمكانه الاول والحركة الاستحالية وهو ان يكون المتحرك على كيفية
فينتقل الى ضدها كالكون زيدا ابيض ثم اسود ۞ والتبدل بالجوهر ان
يكون معدوما فوجد وموجودا فعدم كما قلنا والتبدل بالكيفية ان
يكون ابيض فيسود او اسود منتفض او باردا فيصير حارا وعلى هذا
والتبدل بالمكان لا يخلو ان يتبدل بجملة مكانه فينتقل من مكان الى مكان
فتكون حركته مستقيمة او ينتقل بعض مكانه وهي الحركة المستديرة كحركة الفلك
وحركة الخاتم في الاصبع ۞ الاجسام المركبة من الاستقصات ثلثة انواع
احدها المعدنيات وثانيها النباتات وثالثها الحيوان والكل واحد من
هذه الثلثة الانواع عرض يحصر فيه انواع كثيرة ما تتعداد ها ان شاء الله
ومن هذه المركبات ما يلزم الحركات الستة وهي الكون والفساد والنمو
والنقصان والاستحالة والنقلة وهو الحيوان فانه يلزم حركة الكون لانه كان
معدوما فوجد ويلزم الفساد لانه يصير معدوما بعد وجوده ويلزم النمو فانه صغيرا فيكبر

ويلزم

ويلزم النقصان فانه يصغر بعد كبره وهو الشيخوخية والضعف ويلزم
الاستحالة وهو العارض والسواد والصفرة والحمرة وغير ذلك ويلزم النقلة
فانه ينتقل من جهة الى ضدها ۞ وتقال ان للفلك طبيعة خامسة
ولا يلزم له من هذه الحركات الا النقلة فانه ينتقل بارادته دون الكل
مثل ادارة العين ۞ والحركات ثلثة على سبيل الاجمال حركة قسرية
كحركة الحجر الى فوق وحركة طبيعية كحركة الحجر الى مركزه وحركة ارادية
وهو ان يكون المحرك بها متحركا الى اى جهة شاء ۞

الفصل الرابع

العلة متى كانت بالفعل تفعل لها بالفعل كالكمال الذي هو كمال بالفعل
فان الكتابة عنه بالفعل ومتى كانت العلة بالقوة تفعل لها بالقوة
كالطفل الذي من شانه ان يكتب اذا صار رجلا فكتابته في حال الطفولية
بالقوة ۞ الفيض هو الاعطاء بلا انقطاع ۞ محرك جميع الاشياء غير متحرك
فانه علة تامة لها اى علة وجودها وكالعالم كل ما يوجد في شيء ما بالعرض
فهو في شيء آخر بالذات لان العارض في الشيء اثر والاثر حركة ما ولا بد له
من موثر كالنار التي توثر في الحديد فتلينه فحرارة النار ذاتية والاثر
في الحديد عرضية ۞ وكذلك كل متحرك اما متحرك بطبيعته او بارادة او بغير
ما متحرك بالطبيعة مثل الحجر اذا رمي به فحركته الى الارض طبيعية والمتحرك بارادة

ويلزم

مثل الحيوان فانه بارادته ينتقل من هنا الى هناك والمتحرك بالقهر مثل
اذا اخذنا قطعة من الطين ورميناه وسقط الى موضعه فتحريك
اليد للحجر ذاتي وحركة الطين وهو سقوطه الى مركزه عرضيه لان اليد اثرت
فيها وحركة اليد مع انه ذاتي بالاضافة الى الحجر فانه عرضي من جهة الاولى
الحركة آية الطبيعة اي اثرها ۝

الفصل الخامس

الفاعلون لو كانوا اكثر من واحد لوجب رفع كونهم فاعلين كما ذكره
وهو ان نفرض اي عدد شئنا عدد الفاعلين ولكن مثلا ثلثة فيكون
الثلثة قد اشتركت في كونها فاعلين وتمايزت بعضها عن بعض حتى تكون ثلثة
والا كانت شيئا واحدا فتكون حينئذ كل واحد منهم مركبا من كونه فاعلا
وتمايزت به ذاته عن غيره فيحتاج اذن ان يكون له فاعل مركبه من
الشئ العام الذي شاركه فيه غيره وهو العلة الفاعلية وتمايزت به ذاته
عن غيره وذلك محال ان يكون الفاعل الاول فاعلا ۝

الفصل السادس

معنى العكس ان يصير المحمول موضوعا والموضوع محمولا مع حفظ الكيفية
يعني الايجاب والسلب والصدق كقولنا لاشئ من آ بالضرورة
وبعكس لاشئ من آ بالضرورة لان المباين مباين لمباينه فاذا

كانت

كانت آ مباينة لب ومعناه ان كل ما يوصف بانه آ يسلب عنه
وصفه بانه ب وشال آ حجر لاشئ من الفرس بانسان اي الانسان ليس بفرس
وكذلك لاشئ من الذهب بفضة اي ليس الفضة بالذهب ۝

الفصل السابع

معنى الازلي انه لا يسبقه مادة ولا ينقطع ولذلك الابد وهو الشئ
الذي لم يستفد الوجود من غيره والتكون ان يسبقه مادة تتهيئة
لقبول صورته كالباب الذي سبقه وجوده الخشب المتهيئ لقبول صورته
الباببية والمخترع الذي مادته وصورته وجدا معا والفلك بكذا
والفرق بين الكائن والمحدث ان الكائن ما سبقه وجوده مادة له
يستقل صورته كما قلنا كالحائط الذي سبق وجوده الحجر الذي بني منه الحائط
والمحدث ما سبقه العلة الفاعلية فقط اي لا سبقه المادة كالعقل الاول
الذي لا سبقه مادة بل سبقه الفاعل وهو الباري تعالى وكالاجسام الطبيعية
فانها كائنة ومحدثة ۝ قوله هو منفرد اي غير محتاج ۝

الفصل الثامن

ذات الشئ حقيقته وذاته انما يوقف عليها من طريق مبادئها ومبادي الركبات
هي المادة والصورة فكل مركب لا يحاط به علما الا ان يحاط اولا بمبادئه
وهو جنسه وفصله فما ليس بمركب لا يوقف على حقيقة ذاته الا بلوازمه

وكذلك انما تثبت الاوصاف للموصوفات بتوسط امور اما ذاتية
او عرضية والباري تعالى ليس مركب عن شئ فيكون له امور ذاتية يوخذ
في القياس الموجب له وليس بمحل الاعراض فان كل ما هو محل الاعراض
فهو محدث وليس له فصول ذاتية يوخذ بالبراهين على وجوده لانه
لو كان له فصل ذاتي لكان مركبا من شيئين من فصل وجنس فيكون متحدة
تحتاج الى مؤلف فلا يكون اولا اذن ۞ بياض

كل ما يمكن اليه الاشارة بالعقل فهو ذات وكل ما يمكن الاشارة اليه بالحس
فهو جسم او في جسم ۞ ما يتعذر العلم به اما ان يكون من قبل العالم او
من قبل المعلوم نفسه ونمثل كل واحد منهما بمثال فنقول ان مثال
ما يتعذر العلم به من قبل احدهما ان يكون العالم غير عالم بمقدماته
ولا يمكنه تحصيلها لكن اذا اراد ان يعلم ترتيب البراهين فان تعذر العلم
لكونه عادما لمقدماته الصحيحة التي تودي بها الى هذا المطلوب والعالم الثاني
هو لعجز العالم بمعرفته لا لعدمه مقدمات يتوصل بها الى العلم به ۞

ومثال ادراك قرص الشمس بالبصر لم يتعذر عليها لخفائه بل لانه في غاية
الظهور والاشراق وهذا هو قسم يرجع الى ان يكون العلة في عدم العلم
هو المعلوم لا العالم ۞ الصفات صفات ذات وصفات علم
فصفات الذات هي التي يمكن الموصوف بها وجوده ذاته فقط

وصفات الفعل

وصفات الفعل هي التي لا يوصف الموصوف بها الا بعد وجود شئ آخر
غير ذاته مثال الاول العالم فان هذا الوصف متصف به من علم ذاته
فقال انه عالم ولم يحتج في وجود هذا الوصف له الى غير ذاته وليس كذلك
من يوصف بانه ضارب او خالق او رازق فانه يحتاج الى وجود ذاته
وصدور فعل عنه حتى يتصف عند به الوصف وهذا يسمى صفة فعل ۞

الفصل التاسع

لو قال قائل كيف يمكن ان تحدث افعال كثيرة مختلفة من فاعل واحد
لا سيما وفي تلك الافعال ما هي متضادة ايضا كالباري تعالى الذي خلق
الطبيعة وجعل فيها الحرارة والبيوسة والرطوبة والبرودة قلنا ان السبب
في كثرة الافعال ان الواحد يفعل بعض افعاله بذاته وبعضها بتوسط شئ
او اشياء كالباري تعالى الذي خلق العقل الفعال الاول بذاته وخلق جميع الاشياء بتوسطه ۞

الفصل العاشر

الاشكال الكرية في الاجسام اشرفها لكونه اكبر الاجسام الحسية الى مساحتها
مسطحة متساوية لمساحة مسطح الشكل المجسم المخالف له في الكرية كالمكعب
وذو اثنا عشر قاعدة مجسمات وذو اربع وعشرين قاعدة مثلثات
فهو اكبر الاشكال التي بسيطها سته هو وما بعدها من النساء اذ كان
ملاقاة المصادمات انما تكون بنقطة واحدة فلا تفعل تاثرا من المصادم اكثر

وان كل جسم يحرك فحركته مستقيمة فان وكذا متناهية بالضرورة عند بلوغه المسافة ولا يمكنه ان يحرك وكذا تامة الا بعد سكون بلحظة والحركة المستديرة ليس كذلك بل هي متصلة ابدا ولهذه العلة تقال ان الاجسام الاول الفلكية كرية الشكل ۞ حد العدم انه عبارة عما هو بالقوة البعيدة ومستقيم الى قسمين منه ما يكون قوة قريبة لفعل اي وجود ومنه ما لا يكون كذلك ومثال العدم الذي هو على وجود كمثل الصبي عند وجوده رجلا فان رجوليته كانت في قوته على الرجولية ومثال العدم الذي لا يكون عن فعل اي لا يعقبه وجود بل يكون عدما مطلقا فهو كعنقاء مغرب فانها معدومة وليس من شانها ان يوجد البتة ۞

الفصل الثاني من مسئلة التقسيم

التركب قد يكون في القول وقد يكون في الاجزاء وكل واحد من النوعين يحتاج الى مركب يركبه مثال الاول ان الحيوان الذي هو جنس الانسان مركب من جسم وهو جنس له وغاذ ونام ومولد ومحرك بارادة وهذه فصول له تولد ذلك مركبا في القول والمركب في الاجزاء شبيه بالسكنجبين الذي تركب من الخل والسكر والماء فان هذا التركب بالفعل لا بالقول ۞ الاشكال التي يوجد في الاجسام او بتوسط الاجسام ويلحظها العقل مجردة فنهاية النقطة والوحدة والسطح والخط فان هذه احوال الاجسام وهي من مجردات العقل ۞

والنقطة

والنقطة هي قطع في الخط الذي هو نهاية السطح والسطح نهاية الجسم والجسم من توابع الزمان الذي هو الآن قطع فيه وموسط الجسم يلحظ العقل جزء الاشياء ۞ وثلثة منها لا ينقسم وهي النقطة والوحدة والآن والنقطة هي وحد نهايتي والآن هي نقطة في الزمان تحد من الماضي منه والمستقبل وهي لا ينقسم اي لا جزء لها وكذلك الوحدة وكذلك الآن وهذه وان كانت من عوارض الاجسام وهي لا تنقسم فهي في المعقولات ايضا اشياء لا تنقسم من حيث هي معقولة ۞

المتقابلات ستة وهي المتضايفة والمتضادة والموجبة والسالبة والعدم والملكة مثال المتضايفة الاب والابن ومثال المتضادة البياض والسواد ومثال الموجبة والسالبة كقولك زيد في الدار زيد ليس في الدار ومثال العدم والملكة الشعر والصلع والظلمة والضوء ۞ الجسم التعليمي هو ان يوخذ في العقل جسم مطلق من غير تخصيص بنوع من انواع الاجسام ۞ الطرق للبيانات اربعة وهي الحد والقسمة والتركب الذي هو البرهان والتحليل مثال الحد كقولك في الانسان انه حيوان ناطق مائت ومثال البرهان قولك الانسان حيوان وكل حيوان متحرك فكل انسان متحرك ومثال القسمة قولك الحيوان ينقسم الى طائر وذابح والى آكل الحنطة والى آكل العشب والى آكل اللحم ومثال التحليل قولك الانسان ينحل الى الحيوان والحيوان ينحل الى الجسم والجسم ينحل الى المادة والصورة فهذه طرق البيانات ۞ الاعداد تنقسم الى قسمين الى زوج وفرد

والزوج ينقسم الى قسمين الى زوج الزوج وزوج الفرد والفرد ينقسم الى الفرد
والى فرد الزوج والفرد فاما زوج الزوج فانه ينقسم الى الاول والثانى فمثال الزوج
الاول كالاربعة التى تنقسم الى قسمين كل واحد منهما زوج وهو اثنان واثنان
وزوج الزوج الثانى كالثمانية التى تنقسم الى قسمين كل واحد منهما زوج وهو
اربعة واربعة واما زوج الفرد فهو كالستة التى تنقسم الى قسمين كل واحد منهما فرد
وهو ثلثة وثلثة واما فرد الزوج والفرد فهو كالثلثة وهو فرد الاول فانه يتركب
من ثلثة افراد واما فرد الزوج والفرد فهو كاحدى عشرة الذى تركب من ستة
وخمسة وانما قلنا هذا مثلا ۞ الجذر كل شئ يضرب فى مثله فما يحصل منه
يسمى مالا وكل عدد لا يضرب فى مثله ولا يحصل باعتبار ضرب عدد فى مثله يسمى شيئا
ويحصل منه مال بضرب ذلك المال فى ذلك العدد ايضا فما يحصل منه يسمى كعبا
مثال الجذر الثلثة التى ضربت فى مثلها فحصل التسعة وخارج ضرب تسعة فى تسعة
للتسعة مال ويقال للثلثة جذر ومتى ضربت التسعة فى ثلثة خرج منه سبعة وعشرون
ويقال لهذه السبعة والعشرين كعب لانها من ضرب الثلثة فى مثلها والثلثة
خرج من ذلك ضرب فى الثلثة ايضا وهو ذو ثلثة ابعاد لانه من ضرب
ثلثة فى ثلثة والخارج منه فى ثلثة ۞ وكل عدد يوجد مطلقا من غير ان
يكون جذر الشئ او مالا او كعبا صدر عن شئ يقال له شئ مطلقا ۞
الاشياء المساوية لشئ واحد بعينه فهو متساوية والاشياء المساوية اذا

ينقص

نقص منها اشياء متساوية كان الباقى متساوية والاشياء المختلفة
ان نقص منها اشياء متساوية كان الباقى كلها مختلفة والاشياء المتساوية
اذا زيد عليها اشياء متساوية صارت كلها متساوية والاشياء المختلفة
اذا زيد عليها اشياء متساوية صارت كلها غير متساوية ۞ مع يقال
على اربعة اوجه يقال معانى الوجود كوجود الصورة والمادة معا واما لازم
لاحدهما على الآخر ويقال معا للمتضايفين كوجود الاب والابن من حيث البنوة
والابوة ويقال معا فى الرتبة اذا كان رجلان قريبان من قرب الملك فوليا واحدا
ويقال معا لما يوجد فى زمان واحد كالتوأمين اللذين يولدان فى وقت واحد
ويقال لهما معانى الزمان فهذه هى امثلة ذلك ۞ العلم هو ادراك حقيقة المعلوم
المعرفة هى ادراك حقيقة الشئ بالعقل الادراك هو تصور المدرك لصورة
المدرك مثاله ان ادراك البصر صورة زيد التخيل هو استحضار صور المحسوسات
بعد غيبوبة حواملها عن الحس لتخيلك صورة زيد الذى شخصه غاب عنك ۞
الظن سرعة التنقل الرأى نتيجة الروية ۞ الصدق هو مطابقة الخبر المخبر
مثاله اذا قلنا زيد فى الدار وكان زيد فى الدار فقد طابق الخبر المخبر ۞ والكذب
مناقضة الخبر المخبر وهو بالعكس من الصدق التعجب بالمهر اشره وخفيت علته
الحق والصدق شئ واحد من جهة ومن جهة فيهما مختلفان اما الصدق فيكون فى
اللفظ والحق يكون فى الاعتقاد وكلاهما مطابقة الخبر المخبر الآن احدهما بالقول

ينقص

والآخر في الاعتقاد ٥ الزمان ينقسم الى ماض ومستقبل والحاضر فيه هو آن
وهو في الزمان كالنقطة في الخط بمعنى ان لا جزء له الملك الانبعاثي
هو الذي يخرج نفوسنا من القوة الى الفعل ومثله كمثل شعل النار
التي هي السراج وهي ذات ويلحقها وصف وهو الضوء الذي ينبعث
من السراج فتلك الهيئة التي منها الضوء يقال لها الانبعاث ٥
وايضا كمثل الشمس التي هي سراج النهار من حيث هي ذات والصدر عنها
من الشعاع من الشعاع الذي يصل الى العالم ليضيء به يقال له الانبعاث عن الشمس
فكما ان الشمس تخرج ابصارنا من القوة الى الفعل فكذلك الملائكة الذين فيهم
الانبعاث تقوّون نفوسنا بان يعطوها قوة تنتقل بها المعقولات ٥
الانية الذات الهيئة الشكل الهوية الذات معنى المقولة الجنس
وانما سميت المقولات عشر مقولات لانها اجناس عالية ومعنى العالية
انها التي ليس فوقها جنس معنى الاساعوجي باليونانية انه مدخل ٥
معنى فاطغوريا ص انها المقولات معنى بارميناياس انه المقدمات
معنى انولوطيقا انها القياس وانواع القياس خمسة وهي الجدل
والخطابة والسفسطة والشعر والبرهان والبرهان هو الغرض المقصود
وغيره من انواع القياس انما يعلم ليحترز عنه كما يعلم الطبيب السم ليحترز عنه
معنى الجدل انه المنازعة والخطابة لمصلحة المدينة والشعر لانفعال النفس

بالمدح

بالمدح او الذم والسفسطة يراد بها المغالطة ٥ حد الطبيعة انها
مبدأ لتحرك ما هي فيه بالذات لا بالعرض ٥ حد النفس انها كمال اول
لجسم طبيعي ذي حياة بالقوة ٥ جنس الاجناس هو الجوهر المطلق واجناسه
الاول الجوهر المطلق والثاني الجسم المطلق والثالث الجسم النامي والرابع
الجسم النامي الحاس والخامس الجسم النامي الحاس المولد والسادس الجسم النامي
المولد المتحرك بارادة وهو الحيوان السابع الجسم النامي الحاس المولد المتحرك بارادة
الناطق وهو الانسان وهو نوع الانواع ٥ هذا ما وجد من التعليق المكتوب على صدر الكتاب
نمعه استعمالا العبد عبد الباقي البرزي

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

مقالة الحسن بن سوار بن بابا بن بهنام في تعاور النفس الناطقة

من الانسان على راى ارسطوطالس ٥

قال ان ارسطوطالس لما قال في كتاب النفس في المقالة الاولى منه

فاما العقل فيشبه ان يكون جوهرا ما يكون في الشئ ولا يفسد فانه لو كان يفسد

لكان جزيا بذلك خاصة عن الكلال الذي يكون في الشيخوخة لكنا نجد ما يعرض كما

يعرض في الحواس فان الشيخ لو قبل عما شمل عن الشاب لابصر كما يبصر الشاب

فيكون الشيخوخة ليست حالا انفعلت فيها النفس شيئا ما لكن حالا هي فيها

كما يكون في حال السكر وفي حال المرض والتصور بالعقل والنظر يخلفان

بان يفسدا خلافا شئ ما آخر فاما هو نفسه فلا علة به وكان معناه في هذا

الكلام هو هذا كانه يقول انه لو كان العقل من الانسان فاسدا

لكان يضعف بضعف البدن العارض في الشيخوخة فهو اذن غير فاسد

واذا كان هذا هكذا كان الجزء من النفس المسمى عقلا جوهرا ما موجودا في شئ

هو النفس غير فاسد ولما كنا قد نشاهد فعل العقل في الهرمي ضعيفا

جدا وعلى غاية الاضطراب وكان كالمفسد لما قدمه واصله وهو الذي بنا

عليه قياسه فان لكنا نجد ما يعرض كما يعرض في الحواس فان الشيخ لو قبل عما

شمل عن الشاب لابصر كما يبصر الشاب فيكون الشيخوخة ليست حالا انفعلت فيها

النفس شيأ ما لكن حال هي فيها كما تكون في حال السكر وفي حال المرض يعني ان
هذه الحال العارضة في الشيخوخة من تقصر فعل العقل ليست لضعف العقل
في نفس جوهره بل لان البدن غير قابل لفعل العقل فكما ان الحس بالبصر من الشيخ
تضعف لا لان القوة المدركة قد ضعفت بل لضعف الآلة الباصرة و
غلظ الرطوبة البردية لغلبة البرد على المشايخ ولان الآلة التي بها تكون
الابصار من المشايخ لو كانت كالآلة التي بها تكون الابصار من الشاب
لابصر الشيخ كما يبصر الشاب كذلك الحال في فعل العقل فانه انما يضعف
في المشايخ لضعف البدن الذي هو الآلة لا لضعف النفس في جوهرها
فليست الشيخوخة حالا انفعلت فيها النفس شيأ ما لكن حال هي
فيها كما تكون في حال السكر وفي حال المرض فان السكران من الناس والمريض
لا تكون افعال العقل منه منتظمة وليس ذلك لتغير في نفس جوهره بل من
الآلة كذلك الحال في المشايخ فقد بان ان ارسطوطالس يرى ان الجزء من
النفس وهو المسمى عقلا شيء غير فاسد وابدي ومما يعضد ذلك ويؤكده
قوله في المقالة الثانية من كتاب النفس وهو هذا قال فاما العقل
والقوة النظرية فلم تتبين بعد شيء من امره لكن قد يشبه ان يكون
جنسا آخر من النفس ويكون هذا وحده قد يمكن ان يفارق كما
يفارق الابدي الفاسد فاما سائر اجزاء النفس فظاهر من هذا

انها ليست مفارقة كما يقول قوم ○ وهذا الكلام من الفيلسوف
يدل دلالة بينة انه يرى ان العقل هو من قوى النفس وانه وحده
من بين سائر القوى التي لها يمكن ان يفارق ويكون ابديا بعد مفارقة
وذلك انه لما كان المفارق منه ما يصح ان يبقى بعد المفارقة
قائما بذاته ومنه ما لا يمكن ذلك فيه كالاعراض زاد فقال ان
العقل يمكن ان يفارق كما يفارق الابدي الفاسد ليعلمنا ان العقل
وان فارق فهو ابدي واضافانه يقول في المقالة الثالثة من كتاب
النفس هكذا قال فالشيء الذي من النفس المسمى عقلا واعني بالعقل
الشيء الذي به يتميز النفس وتتأتى ليس هو بالفعل شيأ من الاشياء
الموجودة قبل ان يعقل ولذلك صار بالواجب ليس هو مخالطا للبدن
فانه لو كان مخالطا لكان يصير بحال ما اما حارا واما باردا او كان يكون
له آلة كما للحاس لكنه الآن ليس هو على شيء من ذلك فقد اصاب القائلون
بان النفس موضع الصور الا انها ليست باسرها بل العاقلة ○ وهذا
القول من ارسطاطاليس يتبين منه بيانا تاما انه يريد بالعقل ههنا
العقل المسمى انسانيا لانه قال فالشيء الذي من النفس المسمى عقلا و
لم يقل العقل مطلقا بل زاد الذي من النفس ليعلمنا ان العقل الذي يريده في
هذا الموضع هو العقل الانساني لا الذي من خارج على ما ظنه قوم

فان العقل الذى من خارج ليس هو جزءا من النفس واضافا فان قوله
واعنى بالعقل الشئ الذى به تميز النفس وتروتانى ليس هو بالفعل شيا
من الاشياء الموجودة قبل ان يعقل من اولا البيانات على انه
انما اراد بالعقل ههنا العقل الانسانى فان العقل الذى من خارج
ليس بروتانى وليس هو فى حال من الاحوال بالقوة بل هو ابدا موجود
بالفعل يعقل فلذلك لا يصح ان يقال فيه انه ليس هو شيا من الاشياء
الموجودة قبل ان يعقل واذا كان الذى يريده بالعقل ههنا العقل
الانسانى وكان قد قال فى العقل انه غير مخالط البدن فانه لو كان مخالطا
لقد كان له آلة وليس له آلة على ما يقوله فهو اذن غير مخالط ومفارق
ولذلك يكون ابديا ونظهر من كلام ارسطوطالس هذا الذى ذكرناه
الآن انه يسمى هذا الجزء من النفس نفسا عاقلة وهى التى نسميها نحن
ناطقة فانه لما قال فقد اصاب القائلون بان النفس موضع للصور
الا انها ليست بامرها قال بل العاقلة فان قوله العاقلة اشارة منه
الى نفس عاقلة وهى النفس الناطقة ان شيت فقل والعقل الانسانى
او كيف ما اخترت ان تسميه فلا مشاحة فى الاسماء فقد بان
بما ذكرناه ان ارسطوطالس يرى ان النفس الناطقة من الانسان
غير فاسدة وابدية والحق يرى فان كلامه هذا الذى حكيناه

تضمن بالقوة البرهان على صدق الحكم ببقاء النفس فان كلامه الذى
اوردناه قبيل قوة قياس يتبين به بقاء النفس الناطقة من
الانسان على هذه الصفة كانه قال النفس الناطقة وهى العقل من الانسان
لا تحتاج فى افعالها الخاصة بها الى آلة جسمانية وكل ما لا يحتاج فى فعله الخاص
الى آلة جسمانية فهو غير فاسد وابدى فالنفس الناطقة اذن وهى العقل من
الانسان غير فاسدة وابدية فهذا هو القياس الذى يتضمن قوة كلام
ارسطوطالس المذكور انفا والان هذا القياس مولف من مقدمتين احديهما
القايلة ان النفس غير محتاجة فى افعالها الخاصة بها الى آلة جسمانية وهى
صغرى القياس والاخرى القايلة وكل ما هو غير محتاج فى افعاله الخاصة به
الى آلة جسمانية فهو غير فاسد وابدى وهى كبراه وكان وجوب النتيجة عنه
والتصديق بها انما يحصل بعد بيان صدق كل واحدة من مقدمتيه
اذ كان اقترانه لا شك فى صحة وانما ذكرت هذا للايسبق الى الوهم
من لا يدرب بالقياس ان هذا الاقتران غير قياسى لظنه ان صغراه سالبة
وهو فى الشكل الاول وليس الامر كذلك فان مقدمة الصغرى كما توخذ
على انها سالبة وذاك ان حرف السلب الموجود فيها لما اخذ مع باقى
القول وهية الجميع موضوعا فى مقدمته الكبرى صار فى الصغرى جزءا من المحمول
لا داخلا فى حيز المحمول لا تكون سالبة بل موجبة وهذا حال جميع المقاييس

التى تجرى هذا المجرى واضافانه ان عبّر عن هذا القياس بعبارة اخرى
كان اقرب فى ازالة الشبهة وهو ان نقول ان النفس غير محتاجة فى افعالها
الخاصة بها الى آلة جسمانية وكل ما هو غير محتاج فى افعاله الخاصة به الى آلة
جسمانية فهو غير فاسد وابدى فالنفس اذن غير فاسدة وابدية
لانه ليس فى واحدة من مقدمتيه حرف سلب مضافا الى ما يقوم مقام
موجود ولو لك يكون هذا الاقتران فى الضرب الاول من الشكل الاول
ومثال هذا الاقتران مثال الاقتران الذى بين به ارسطوطالس ان جرم السماء
ليس بثقيل ولا خفيف وهو قولنا الجسم المتحرك على استدارة ليس يتحرك الى فوق
والى اسفل وكل ما يتحرك الى فوق والى اسفل فليس بثقيل ولا خفيف ونتج
عن ذلك ان الجسم المتحرك دورا ليس بثقيل ولا خفيف ومثال الاقتران
الذى بين به افلاطون ان الله ليس يفعل شيأ من الشرور وهو ان قال
ان الله ليس بضار وكل ما ليس بضار فليس يفعل شيأ من الشرور فالله
اذن ليس يفعل شيأ من الشرور فالعلة فى صحة هذين الاقترانين واحد
وهو ان حرف السلب فيهما ليس مضافا الى حرف يوجد بل هو جزء
من المحمول فاذا كان الاقتران الذى اوردنا فى بقاء النفس قياسيا
لم يستغن فى وجوب نتيجته ولزومها والتصديق بها الا بتبيين صدق مقدمتيه
فنحن آخذون فى تبيين كل واحدة منهما وبداء بالصغرى منهما وهى العالمية

ان

ليس

ان النفس الناطقة وهى العقل من الانسان لا تحتاج فى افعالها الخاصة بها
الى آلة جسمانية والنظر السديد يوجب علينا اولا ان نذكر ما الذى نريده
بقولنا ههنا عقل ثم ننظر هل ذلك المعنى موجود او غير موجود وان كان موجودا
فما هو وما الفعل الخاص به فاذا فرغنا ذلك بحثنا هل تحتاج فى فعله الخاص به
الى آلة جسمانية ام لا تحتاج فى فعله الى آلة جسمانية بعد ان نذكر ما الذى نريده
بقولنا آلة جسمانية فنقول انا نريد بقولنا ههنا عقل الشئ الذى به
تميز النفس وتروّى وما اظن بنا كثير حاجة الى تكلف قول بان فى
الانسان شيأ به يميز ويروّى ويعرف العلوم والصنايع ويعلم ويتعلم
لظهور ذلك وبيانه فاما هو فانا نقول انه قوة هى جوهر بسيط
مدرك للامور ادراكا واحدا وبالسوية ولكما يتبين صدق هذا القول
ينبغى ان نذكر اولا المراد بكل من الالفاظ الماخوذة فى وصف ماهيته
فنقول انا نريد بقولنا قوة الامكان والاستعداد والتهيؤ لقبول الامور
ونريد بقولنا جوهر ما ليس بعرض اعنى ما ليس يوجد فى شئ لا كجزء منه
ولا يمكن قوامه خلوا مما هو فيه ونريد بقولنا بسيط ما لا تركيب فيه
البتة ونريد بقولنا مدرك اى متصور للامور اعنى ان صورة الامور الموجودة
تحصل فيه حصولا واحدا وبالسوية فلا يكون ادراكه لبعضها وتصوره اولى
من ادراكه للبعض ولا قبوله لشئ منها اسرع من قبوله لشئ بل يقبل جميعها قبولا واحدا

وبالسويه معان واذ قد بان المراد بكل واحدة من الالفاظ الماخوذة
في وصف العقل المذكور فلنأخذ في تبيين وجود ما يدل عليه هل الالفاظ
للانسان فانه يتبين ببيان ذلك وجود هذا المعنى له فنقول
اما ان في الانسان شيأ موجودا هذه حاله فان ذلك يتبين بادنى تامل
وذلك انا نرى الانسان زيدا مثلا غير عالم باشيآء ثم يصير عالما بها
فصيرورته عالما بها بعد ان لم يكن عالما هو لا محالة لتهيؤ فيه واستعداد
لقبول ذلك العلم فانه لو لم يكن فيه امكان وتهيؤ واستعداد لقبول
علم ذلك الشيء لم يكن قابلا له فانه لما كان ما ليس فيه امكان وتهيؤ
واستعداد لقبول العلم والمعرفة لا يكون قابلا لهما بتة مثل الحجر
الذي لما لم يكن فيه امكان لقبول العلم والمعرفة لم يكن قابلا لهما بتة
وجب ان يكون القابل للعلم والمعرفة فيه امكان وتهيؤ واستعداد
لقبول العلم والمعرفة وذلك من امره بين ففيه اذن امكان وتهيؤ
واستعداد لقبول العلم والمعرفة وهو ما اشرنا بقولنا قوة فقد بان
ان في الانسان قوة قابلة للعلم والمعرفة ومنزلة هذه القوة عند
ما يقبله من العلوم والمعارف منزلة قوة الابصار عند ما يقبله
من الالوان فكما ان ادراك العين الالوان انما يكون منها بالقوة الباصرة
كذلك ادراك النفس المعقولات يكون بالقوة العقلية وكما ان حصول

الانسان ٤

المرئيات

المرئيات في العين يكون باشعال القوة الباصرة وحصول صورة المرئي فيها
كذلك حصول المعقولات والمعلومات للانسان يكون باشعال العقل
وحصول صور المعقولات فيه وكما ان الاشيآء المرئية تحصل في البصر
حصولا واحدا وبالسوية كذلك العقل تحصل فيه الاشيآء المعقولة حصولا
واحدا بالسوية فكما ان الابصار وان شئت مقل المراة لبيبة موجودة
بالفعل قبل قبولها الصور شيأ من الصور القابلة لها بل هي عادمة
لجميعها وكالهوآء الذي لما كان قابلا لكل لون وبالسوية قبولا واحدا
كان عادما لكل لون كذلك العقل ليس هو بالفعل شيأ من الاشيآء التي
يقبلها وذلك واجب لان القابل لامر ما من الامور فهو لا محالة قبل قبوله
اياه عادم له ولغيره ولما كان العقل يقبل صور جميع الاشيا الموجودة
قبولا واحدا كالبصر الذي يقبل صور جميع الاشيآء المرئية لزم ان لا يكون في
نفسه واحدا من الاشيآء الموجودة التي يقبلها والا لم يكن له صورة
مخصوصة سوى انه قابل لكل صورة وليس هو شيأ له الامكان والقبول
بل هو نفسه الامكان والقبول والاستعداد والتهيؤ وذلك لازم
فانه لو كانت له صورة مخصوصة لم يكن قابلا لكل صورة كالصور المباينة
لصورته ولما كان قبوله ايضا للصور قبولا واحدا بل كان قبوله لما يجانس
صورته اكثر ولما يباينها اضعف واقل فلانه قابل لكل صورة بالسوآء

وجب ان يكون جاديا لكل صورة ولانه عادم لكل صورة ما يجب ان
يكون ضرورة ان يكون بسيطا فان الاشياء المركبة لكل واحد منها صورة
تخصه ولما كان العقل ليس له صورة تخصه كما بينا لم يكن مركبا واذا
لم يكن مركبا فهو بسيط وهو بين مما قلناه انه ليس بعرض وذلك انه لو
كان عرضا لكان بوجه ما اما حارا واما باردا واما مائعا واما يابسا او
كيفا بكيفية ما اخرى او منعوتا بواحدة من النعوت الباقية وللزم
من هذا ان يكون قابلا لما يجانس تلك الكيفية او النعت غير قابل لما
يباينها او ينافيها وكان لما يناسب تلك الحال اكثر قبولا ولما لا يناسبها
اقل وليس هو من حال العقل فليس هو اذن عرضا اذا لم يكن عرضا فهو
جوهر فقد بان بما ذكرناه ان في الانسان قوة هي جوهر بسيط مدرك
للامور ادراكا واحدا وبالسوية وهو الذي اردنا بيانه وهو بين مما قلناه
ما الفعل الخاص بالعقل وهو ادراك الامور ادراكا واحدا وبالسوية
وقد بقي الآن ان ننظر هل العقل يحتاج في شيء من فعله هذا الى
آلة جسمانية ام لا يحتاج فيه الى آلة جسمانية واريد بالآلات الجسمانية اشياء ما
حادثة عن امتزاج الاسطقسات الاربعة ولما كان القول بان العقل يحتاج
في فعله الى آلات جسمانية شديد الاقناع راسخا ايراد ما قاله بقوله
بروم ان من بين به ان العقل لا يتم شيء من فعله الخاص به الا بآلة جسمانية

وهو

ارسطوطاليس

وهو ان مبادي العلوم هي الحواس كما قال في مواضع اخر فاذا كانت مبادي العلوم
هي الحواس لم يمكن ان يدرك العقل شيئا من الاشياء الموجودة الا بعد ان
ياخذ مبادي العلم به من الحواس فالحواس آلات له وهي جسمانية والعلة
في ذلك ان الامور الموجودة كلها لما كان ليس شيء منها مفارقا للهيولى
او المادة بينة سوى الباري تعالى وكان الشيء انما يدرك الاشياء
الملائمة له لا المباينة والمنافية وجب ان يكون العقل ملائما للاشياء
الهيولانية وملائمته اياها انما تكون بمشاركته اياها ومشاركته اياها
تكون بان ياخذ من الحواس مبدأ لادراك المعقولات فتكون الحواس
كالآلات له وهذا القول ليس بالصغير ولا بالهين في ابطال القول بان
العقل من الانسان لا يحتاج في فعله الخاص به الى آلة جسمانية ٥
فنقول ان الغلط في هذا القول انما دخل من قلة العلم بالنحو
الذي عليه يكون التصور بالعقل ومن الوهم بان الاشياء الموجودة
كلها ليس منها شيء مفارق الهيولى والمادة سوى الباري تعالى وان
العقل لا يعقله وهذا محال فانه قد توجد اشياء مفارقة للهيولى
وهي جميع الاشياء التي يروم ارسطوطاليس ان يحصرها تحت عدد في كتابه
فيما بعد الطبيعيات وتعقلها غير فاسدة وسرمدية فان هذه
الاشياء معقولة انها مفارقة للمادة والطينة وهي عقول الاشياء العالية

على انا وان فرضنا ان الامر على ما ذكرنا الشك وهو انه ليس في الموجودات
ما هو مفارق للمادة والطبيعة سوى الباري تعالى فانا نبين
مع تسليم هذا ان العقل فعلا يتم بغير آلة وهو ادراكه الشيء الذي
ليس بهيولاني فان ادراكه لهذا يكون من دون آلة وكذلك ادراكه ذاته
يكون بغير آلة هكذا نقول ان الموجودات منها هيولاينة ومنها
غير هيولاينة فالعقل يدرك الامور الهيولاينة وغير الهيولاينة لكنه ليس يدرك
هذين بنحو واحد وذلك انه يدرك الامور الهيولاينة على غير النحو الذي يدرك
الامور غير الهيولاينة وذلك ان العقل اذا طلب معرفة الامور غير الهيولاينة
انبسط انبساط الواجد الى ذاته فادركها واذا طلب معرفة الاشياء
الهيولاينة عرض له تشبيه بالانعكاس الى الحس فاخذ من الحس مبدأ الادراك
المعقولات فهو يستعمل الحواس في ادراك الامور الهيولاينة كالآلات
يعتمد بتوسطها على اكتساب الصور وذاك انه من دون الحواس لا يمكنه
تصور الامور الهيولاينة البتة فان الاكمه لا يمكنه تصور الالوان فاما
في ادراكه الامور غير الهيولاينة فانه لا يحتاج الى آلة بتة بل يدركها بنفسه
ولست اعرف خلافا في هذا وهذا الاسكندر الذي يظهر منه مخالفة ما
نحن اه في هذه المقالة يقول هكذا فالعقل ليس ياخذ الصور على انه
على انه يصير هيولى لها ولا ان تلك الصور مع هيولى كما جرى الامر في التي

تدرك

تدرك بالحس بكنهها ياخذها انتهاها وعلى حيالة بافراده لها ونخصه
اياها من كل ما يعتور ها من الهيولى وينظر فيها وذلك انه في تصوره الابيض
ليس يتصوره على انه مع تشكل ومع عظم والسبب في ذلك انه ليس يحتاج في ادراك
المعقولات الى ان ينضم اليها آلة اصلا جسمانية لكنه مكتف بنفسه لنفسه
في تعرف ما يعقله ⊙ ونتضح ما قلناه وضوحا اكثر بما نحن قايلوه
وهي ان الامور منها هيولاينة وهي جميع الامور التي لا تفارق الهيولى
لا في الوجود ولا في المعنى وهذه هي جميع الصفات التي توخذ في حدود ها
الموضوعات كالنقطة التي لا تفارق الانف الذي هو موضوعها وذاك انه
انما يدركها انتقاء في الانف فلا يحصلها من دون الانف البتة ومنها
غير هيولاينة وهذه على وجهين فمنها ما هو مفارق للهيولى في الوجود
والمعنى جميعا كالباري تعالى فانه في الوجود مفارق لكل هيولى ومادة
ولا ينطوي في معناه شيء من الهيولى البتة لان الهيولى والمادة ليست
موضوعة له بوجه البتة ومنها ما هو مفارق في المعنى غير مفارق في الوجود
وهذه هي جميع الصور التي لا توخذ في حدود ها الموضوعات لها بل العقل
يحصلها ويفهمها من دون الهيولى كالسطح والخط والنقطة فان هذه لا توجد
مفارقة للمادة البتة والعقل يفهم معناها وحيثيتها من دون الهيولى فانه يجد
السطح والخط من دون الهيولى والموضوع ويحصل ان السطح كم متصل ذو طول وعرض

والحظ طول لا عرض له فتحصل فيه معقولة سور محضة مجردة من
الهيولا فان سلم فى تحصيل العقل لهذه الصور المفارقة فى المعنى لافى الوجود
انه لا يكون بآلة جسمانية لان عند تجريدها لا تحتاج فيه الى الحس والى آلته
فقد بلغنا المراد وان امتنع من ذلك وظن ان تحصل العقل الصور
من المادة انما يكون لادراكه المركب وادراكه المركب انما يكون بعد الاحساس
ولذلك لا يتم هذا القول من العقل الا آلة فى الحس فانه لا معارض على ان يمنع
وهو مصيب ان ادراك العقل البارى تعالى ليس هو بآلة جسمانية وذلك ان
البارى تعالى موجود والعقل يدرك جميع الامور الموجودة كما قلنا فى حد العقل
اذن يدرك البارى واذا كان يدركه وكانت ذات البارى تقدست ليست
محسوسة وكل ما يدركه العقل بآلة جسمانية فهو محسوس فما يلزم ضرورة ان
يكون ادراكه البارى ليس هو بآلة جسمانية وكذلك ادراكه ذاته ليس بآلة جسمانية
لان ذاته موجودة وقد قيل انه يعقل جميع الاشياء الموجودة فلذلك يلزم
ان يكون عاقلا لذاته وذاته ليست محسوسة وما يعقله بآلة جسمانية محسوس
فيلزم ان لا يكون العقل يدرك ذاته بآلة جسمانية ٥ فقد بان اذن
ان العقل يدرك اشياء ما من دون آلة جسمانية وهو فعله الخاص به
فقد ظهر صدق احدى مقدمتى القياس المذكور وهى القائلة ان العقل
لا يحتاج فى فعله الخاص به الى آلة جسمانية وبقى ان يتبين صدق مقدمته الاخرى

القائلة

القائلة وكل ما يحتاج فى فعله الخاص به الى آلة جسمانية فهو غير فاسد وابدى
بان نقول ان كان كل ما يحتاج فى فعله الى آلة جسمانية فاسدا فليس بفاسد
لا يحتاج فى فعله الى آلة جسمانية واذا كان هذا لازما كان عكسه البسيط واجبا
وهو انه ما لا يحتاج فى فعله الى آلة جسمانية ليس بفاسد فاما ان كل ما يحتاج
فى فعله الخاص به الى آلة جسمانية فاسد فان ذلك يتبين هكذا كل موجود له فعل
خاص فهو موجود من اجل فعله الخاص به فاذا كان يحتاج فى فعله الخاص به
آلة جسمانية وكانت الآلة الجسمانية بسقطية ما يكون فعله بسقطيا فانيا
وكان وجوده من اجل فعله ما يجب ألا يكون موجودا بل بسقطيا بائدا
لان فعله الذى كان من اجله موجودا بسقطيا فالفاعل بآلة جوهره وفعله
والآلة متناسبة فى البقاء والدوام لان وجود كل واحد منها معلق بالباقية
فقد بان صدق المقدمتين المأخوذتين فى القياس المذكور وبان ببيان
ذلك وبما قلناه من صحة مقدمتيه نتيجته وهى ان النفس الناطقة
من الانسان غير فاسدة وابدية وهو الذى اردنا ببيانه ٥

تمت مقالة الفاضل الحسن بن سوار بابن بهمام
فى بقاء النفس الناطقة من الانسان على راى ارسطوطالس

نقلت من نسخة نسخت من نسخة بخط
الفقير عبد الباقى النرسى المعوشى

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

احكام ص مقاله الحسن بن سوار بن بابا بن بهنام فى ذكر المبتدى بعلم النجوم كتبها الى رجل من اخوانه سأله ذلك ٥

قال سألتنى وفقك الله للصواب عن المبتدى بعلم احكام النجوم ورسمت تلخيص ذلك لك وايضاحه واول ما اقوله فى هذا ان علم ما سألتنى عنه من ذلك واجبت الوقوف عليه صعب شاق وان قلت انه لا يمكن تحققه لم ابعد عن الحق لاختلاف الناس فيه وقلة الثقة بالاخبار التى تتضمن ذكر والناس مختلفون فى هذا المطلوب بحسب اختلافهم فى اولية العالم والزمان وذلك ان منهم من قال انه لا اول له ومنهم من قال ان له اولا ومن قال باولية منهم من حدّ اوليته وعينها ومنهم من لم يحد ذلك ولم يعينه ومن حدّ اوليته وعينها منهم من قال انها منذ عهد ابينا آدم كما تقول نحن ومنهم من قال انها قبل ذلك كما تقول قوم من الصابئة وغيرهم فان كان الزمان لا مبداء له كان العلم باحكام النجوم ايضا لا مبداء له لانه ممتد مع الزمان الذى بلا نهاية وذلك انه ليس شئ من الآراء والاعتقادات او العلوم والصنايع على ما يقوله اهل المذاهب

الا وهو متكرر وتتردد من الناس بالنوع لا بالشخص وانه
لا يفيد واحدة من الصنايع العلمية او العملية وانما تكون في
بعض الزمان اظهر وفي بعضها اقل واخفى وبحسب قول هؤلاء
لا يمكن ان يعلم من المبتدى باحكام النجوم وان كان الزمان له مبدأ
الا انه قبل آدم بدور واحد او دورات من دورات الكواكب
الثابتة على ما يراه قوم لم يمكن ايضا بحسب هذا الوضع ان نقف على المبتدى
بعلم احكام النجوم لان اللغات تتغير لطول المدة والصحف لا تضبط
ما تحلد فيها لانقراضها والطوفات المائية والنارية تعوق عن ذلك
وايضا فان تغير اجزاء الارض في كونها مرة براً ومرة بحراً وانتقال
الناس من حزا الى حز يمنع من تحققه وان كان الزمان له مبداء الا
انه منذ آدم كما نراه نحن لا يمكننا ايضا ان نعلم من المبتدى باحكام النجوم لان
الطوفان الكائن في ايام نوح اهلك جميع ما على وجه الارض على ما ذكر
في الكتب المنزلة ولم يبق كتاب يستدل منه على المراد من هذا
ولا موسى النبي عليه السلم اخبرنا به كما اخبرنا بالاشياء التي كانت
قبل الطوفان وان كان الزمان له مبداء الا انه قبل آدم بمدة يمكن
ان تضبط فيها التواريخ فان علم المبتدى باحكام النجوم ايضا
يستصعب ويتعذر لبعد الاخبار عنا ولاختلافها ولانها اخبار

آحاد

آحاد وشاذة لا تقطع بمثلها وانه لم يقع التباشي من التواريخ
قبل المدة التي نقول نحن ان آدم كان فيها الا هذا الذاكر وهو اني
وجدت مقالة منسوبة الى الاسكندر الافرودريسي منقولة
بن اليوناني سقل فوريس بن روحون اظنها اما منحولة الى
الاسكندر واما ان يكون لرجل آخر يسمى بهذا الاسم لان فيها
آراء ومذاهب مخالفة لآراء الاسكندر المفسر لكتب ارسطوطاليس
ولاني لم اجدها ايضا في فهرست كتبه تتضمن هذه المقالة اخبار
قوم من الامم قبل آدم بقول واصعها فيها ان هرمودوروس
بن دريجينوس ذكر في بعض كتبه عن دوروا اسطوبيس
وتفسير هذا الاسم المعرب للكواكب انه كان قبل الطوفان المشهور
الذي كان في مدينة طروا وهي طرابلس التي في ارض الشام
بخمسة الف سنة وهذه المدينة خربت على ما نقله السبعون بعد آدم
ناقل لبطليوس باربعة الف وماتي سنة وعلى ما نقله اليهود
بالفي وتسعمائة سنة لانها خربت في ايام بعض حكام بني اسرائيل
وهما الرجل المعروف بيشمسون فتكون هذا الرجل قبل آدم
بحسب تاريخ السبعين بثمانمائة سنة وبحسب تاريخ اليهود
بالفي سنة وماية وهذا ايضا موافق لما يخرج هذا الرجل عن

ارسطوطالس فانه يقول ان ارسطوطالس يخبر في بعض كتبه ان
رور واسطريس هذا كان قبل موت افلاطون بستة الف سنة
وافلاطون مات في اول ملك الاسكندر بن فيلقوس وهذا كان
وهذا كان بعد آدم بنحو من خمسة الف سنة ومائتي سنة
بالتقريب على ما نقله السبعون وبثلثة الف سنة على ما نقلته
اليهود وبحسب هذا القول يكون رور واسطريس قبل آدم
بثمانية سنة على بعض النقول وبالفي سنة على بعضها نقدبان مما
وصفناه تعذر الوقوف على حقيقة المبحوث عنه في هذا القول
الان الصورة وان كانت على ما وصفنا فانه قد يمكن ان يذكر
ما وقفنا عليه من ذلك وانتهى الينا بعد ان نتيم انفسنا في
ذلك مقام المخبرين عن اقاويل غيرنا لا مقام المعتبرين المصححين لشيء
منها والمبطلين فما كان مما نذكر صحيحا مقبولا كان جاريا
على قائله وما كان منها باطلا مردودا كانت قباحته راجعة على
مورده ونحن من جميع ذلك براء استغفر الله جل وعز من
كل قول بعد عن الحق وبنافيه فنقول ان الاسكندر
هذا وقد تقدم ذكره تحكي عن بعض المورخين ان رور واسطريس
وهو اول من انتهى الينا خبره ممن تفلسف ونظر في النجوم كان من الفرس

وان

وان مدة عمره الى وفاة افلاطن ستة الف سنة على ما نقوله ان
ارسطوطالس وقد قال قوم انه من اليوناتيين وقال قوم انه من
الامة المنسوبة الى مديان وحكي عن رجل يقال له ايرقليدس انه
من جزيرة كيوس وانه سكن بلدان الفرش وبها سمي رور واسطريس
اي المقرب للكواكب وكما انهم اختلفوا في جنسه وبلده اختلفوا
ايضا في اسم ابيه واسم امه فقال قوم ان اباه فادوا سيسو
وامه انذرومیذا وقال آخرون ان اسم ابيه فاروس وامه
اروباس وتفسير ذلك الحسنة الاسم الذهبية فاما مولده
فانه كان على هذا السبيل حكي عن المورخين ان رجلا من عظماء
الفرس والفضلاء منهم ومن المشهورين بفعل الخير واصطناعه
ورد بلدة مليطون لمصلحة عامة واقتضى ابنة رجل من اهل
تلك البلدة وانتقل عنها فلما احس ابوها بما عرض لها اغتاظ
غيظا عظيما وهم بان يعاقبها عقوبة مولمة فاشار عليه ثقاته ان
يتوقف ويمضي الى بعض الهياكل التي في تلك البلدة ويسال الكاهن
عما ينبغي ان يفعله في ذلك ففعل ومضى الى الهيكل فاوحي اليه
على ما يزعمون انه يولد له وولد منه تنشوا الحكمة وانه يخالط
اليونانيين ويدبر بلدة اسنا براية الثاقب وتبيد الناس كافة

الاقصاب
والبرديات

الخبر

يعني الواقد
والمرثد

العلم والمعرفة ومن عجيب ماجرى في هذا على ما يقولون انه
لما انصرف الرجل الى منزله وجد في داره رسل الرجل الفارسي
الذي يقتضي الجارية فخطبها منه ومعهم هدايا والطاف
فاجابه الرجل اعني الاب الى ذلك وحمل الجارية اليه فتزوجها وولدت
منه روراسطريس هذا واما رينون المؤرخ فانه يخبر بخلاف
هذا ويقول ان رجلين من اهل مديان وردا ارض الفرس
اسم احدهما الاحمر والآخر الاصفر وان الاحمر منهما تزوج بامرأة
من الفرس فولدت منه روراسطريس هذا وتفسر اسمه
المقرب للكواكب وبدا بالتفلسف على ما يقول رينون منذ
الصبي وان الناس كانوا يعجبون من ذكائه وعلمه وانه
بعد ثلثين سنة من عمر دعا الملك الى الفلسفة وصيّر فيلسوفا
واقطس يقول انه استفاد من راوس العلم باحوال السماء وكون
العالم وطبايع الاشياء وتكوّن الناس والحيوان والسياسات
وانه كان يحيا حياة الاهبية فاضله وان قوما من الاسراب
عيطوه فهرب الى ميدنا الى اوسطانيوس الملك وانه لما دخل
على هذا الملك وعلم الملك انه متفلسف ويعرف امور السياسة
وتدبير الجيوش كرّمه وعظّمه وبدا يدعو الناس واهل المدن الى

تعظيم

تعظيم الكواكب ويحضّهم على الفضيلة والعدل ويحذرهم العدول
عن المذهب الالهي وانه لما لم يسمع الناس له واستهانوا
بقوله ونبذوه ترك المدن والكون مع الناس وصعد الجبل
وسكنه وكان يقتات البقول البرية والجبن ويشرب من المياه
التي هناك ولهذه العلة يقال ان المجوس يستعملون الجبن في اشياء
تتعلق بمذاهبهم وانه اقام في الجبل عشرين سنة ثم نزل منه ودعا
الى المجوسية فاستجابله قوم فعظّم وبجّل ودعم بعض المورخين
ان هذا الرجل هو الذي وضع ورتب امر المجوسية وهي العلم بطبايع
الاشياء الموجودة وعلم النجوم والسياسة ودعم بعض المورخين
ان هذا الرجل اورد هذه الفلسفة وقسمها سبعة اقسام
ووضع في كل قسم كتابا الاول منها الكلام في الجوهر وكون الكواكب
وما الذي يختاره وما الذي نسبته وما الذي تقدر على فعله
والثاني في المدن والتدبر والغذاء والثالث في النواميس
والسنن والرابع في النفس والبدن والامراض والموت وفي
جميع ما يعرض بعد الموت والخامس يذكر فيه جميع ما يحدث الى آخر
العالم والسادس يذكر فيه جوامع ما تقدم والسابع يذكر فيه تغير
الاجناس وبناء المدن وفضايل الملوك واحوال الحروب وترتيب الجيوش

النبذ الطبخ

الاقيات توت كرم

ان يقصد قتله

وتدبر العيش وهذه الاقاويل مضاهية لاقاويل اليونانيين
وذكروا ان ملك البلدان الراكبة دجلة والفرات صار الى مذهب هذا
الرجل وانه تفلسف وصار مجوسيا واعتقد بل ظن ان المجوسية
امر فاضل لانه اختدع بان اسم المجوسية واقع على خدمة الآله ومعرفة
الاشياء الالهية فهذا اول من انتهى الينا خبر ممن تفلسف ونظر في
النجوم وينبغي ان نذكر كيف كان آخر امر فنقول ان ربيون
يقول انه وارسطيانوس صعدا الى راس الجبل المعروف بقوقاس
وانهما كانا يقربان قربانا على النهر المعروف بغراودافي وان
اناسون الملك صار الى هناك في جيش كثير وان الخبر لما اتصل
باوسطانيوس الملك وبارورا سطرس هربا الى قلة الجبل والاماكن
العالية الشامخة منه وكان هناك فيرونوس ابن رورا سطريس
الذي يقول قوم انه من جارية التي سماها فانوقليس وآخرون يقولون
انه من امراة اوسطانيوس الملك وانه انفذ ابنه هذا وجميع العسكر
للناحية الشمال وان رورا سطريس هذا واسطانيوس الملك كما يقول
اهل مذهبهما احياء الى الآن وان الله اخذهما اليه تكرمة لهما واما
بحسب الحق فانهما ماتا على اقبح صورة واخس منزلة اما الملك فانه
مات مسلوع من حية ضربه واما رورا سطريس هذا فانه قتل نفسه

كما يلقى الى مكان سماه المخبر لمنام راه عجيب ليس هذا موضع ذكره
ويتلو هذا ممن وقفنا عليه من المتحلين للفلسفة الكلدانيين وهم
المنسوبون الى بابل فان الاسكندر المذكورة حاله فيما تقدم يقول
ان هؤلاء هم الذين اشتهروا بالفلسفة بعد من تقدم ذكره ويحكى ان
بلدان هؤلاء القوم هي الخزينة التي فيها دجلة والفرات وان هذين البلدان
غير منتظمة لعدمها السنن المقومة لها والشرائع المسددة لاحوالها
وانه ظهر فيهم بآخرة قوم فلاسفة جمعوا شمل الناس ورتبوهم في المدن
ووضعوا لهم السنن والشرائع وعرفوهم الواجب في الافعال و
عودوهم البحث عن طبايع الاشياء الموجودة فللنفع الواصل الى
الناس من هذه السيرة صيته والذين افادوهم هذه الحكم ملوكا عليهم
وسموهم بذلك واطاعوهم وكان فيهم رجل في غاية الفضيلة و
الحكمة وجودة الفهم وقوة العقل وهو الذي بنا بنيسوا التي يارى
الموصل واشتق لهم اسم من اسمها ويحكى انه هو الذي بنا بابل
التي على شط النهر وجمع فيها سايرحكماء الكلدانيين وبعثهم
على التفلسف بها وقال تلاركوس ان اسم هذا الرجل سوسطرين
ونعم انه كان عارفا ماهرا بالاشياء الالهية وبعض المؤرخين يقول
ان فلسفة الكلدانيين نقلت اليهم من الجزائر التي في البحر الاخضر التي

في مهب الجنوب من رجل يسمى ستابطوس وهو الذي يسميه
اليونانيون اوفلون فان هذا الرجل لما عرف التعاليم جمع اهل
البلد وافادهم التعاليم وحساب حركات الكواكب وامر كسوف الشمس
والقمر وما يجري هذا المجرى وقوم قالوا ان ملك بابل كان فيلسوفا
وكلدانيا وانه جمع الفلاسفة من ساير البلدان واسكنهم بلد بابل
وصير لهم مجمع يجتمعون فيه ويتدارسون العلوم والامور الالهية
فهذا ما قاله الاسكندر في امر اهل بابل واحق ان يكون الامر
على ما قاله في هذا ويشهد بذلك ما انا واصفه وهو ان بنيوا المدينة
بنيت على ما ضبطته تواريخ السوريانيين منذ الفي وتسعماية سنة
وكسر ومن هذا الوقت على ما قيل بدت فلسفة الكلدانيين اعني
اهل بابل واول من اظهر الفلسفة في اليونانيين واحد من الحكماء
السبعة الذين منهم ثالس بن اموس الاملیسي ومنذ زمان
هؤلاء الحكماء السبعة الى وقتنا هذا وهو سنة الف وماتان و
ثمان وتسعون للاسكندر الرومي فهو من المي وخمسماية سنة
وكسر فيلزم مما ذكرنا ان يكون اهل بابل اقدم من اليونانيين في النجوم
والفرس اقدم من اهل بابل وان اليونانيين اخذوا علم النجوم من اهل
بابل ويشهد بصدق ما ذكرناه ما قاله افوفلس في تفسير الوصايا

الاربعة

فانه يقول هكذا قال افوفلس ان فوثاغورس كان مصاحبا
لثالس بن اموس الاملیسي احد الحكماء السبعة فحضه ثالس على ركوب
البحر والمضي الى مصر والكون مع الحكماء الذين هناك فصار اليها وارتاض
بالهندسة واستفاد هناك منهم ويعلم الشرايع اعني السنن في الامور
التي يعانيها الاحبار ثم انتقل الى بابل وصاحب المجوس اعني المتمنين
الذين هناك فعلم منهم خدمة الآلهة فان المجوسية كما يقول افلاطون
هي خدمة الآلهة اي النظر في التنجيم فقد بان من قول افوفلس هذا
ان فوثاغورس تعلم علم النجوم من اهل بابل وهو تلميذ احد حكماء
السبعة الذين لم يكن قبلهم على ما بلغنا حكيما انتهى الينا خبره في اليونانيين
فقد بان ان اهل بابل اقدم في علم النجوم من اليونانيين فاما من البدء
بهذا العلم من الكلدانيين فانا لم نقف عليه حسنا واحق ان يكون سوسطرين
لانه يقول ان هذا الرجل كان عالما بالاشياء الالهية والاشياء الالهية هي
علم النجوم على ما يرون فاما المشهور بذلك من اليونانيين فان بعض
من عنى بالتواريخ يقول انه انيذيمس الذي من كيوس وانه اول من تكلم
على الغرانات ويوافقه على رايه اودوكسس وسلوه اسطوا طيس
وقد زعم قوم ان هرمس تكلم في امر احكام النجوم وكان من اليونانيين وليس
اعرف الزمان الذي كان فيه بهذا ما وقفت عليه من هذا الكتاب تعسفا ٥

الدهير

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

تبارك اسمك اللهم وتعالى ذكرك وعظمت قدرتك
وجلت كلمتك لك الحمد في البدو والرجعى ولك الحمد في
الاخرة والاولى سبحانك مبدع الماهيات وواهب الحيوة
ومفيض النور ونور الانوار ومدبر كل دوار انت الغاية
القصوى والمبدأ والمنتهى ولك الكمال الذى لا يتناهى والمجد
الذى لا يزاحم ولا يباهى لست ذا حين فتقع تحت تصرف وهم
وحس ولا جوهرا فمقع تحت عموم جنس ولا عرضا فتحتاج الى
حامل ومحل انت وراء ما لا يتناهى بما لا يتناهى صل
على الذوات الكاملة والنفوس الفاضلة وخصص صاحبنا محمدا
بافضل صلواتك وازكى تحياتك ووفقنا لما يقربنا منك
ويبعدنا عما يبعدنا عنك انك انت الجواد الكريم ٥
وبعد فلما توارت مكانبات الملك العالم عماد الدين
قرا ارسلان بن داود وقد امرنى بتحرير عجالة شديدة الايجاز
بينة الاعجاز تتضمن ما لا بد من معرفته فى المبدء والمعاد
على ما نراه من متالهة الحكماء واساطين الفضلا فبادرت الى امتثال
مرسومه وتحصيل مطلوبه وقد صادفت مختصرات صنفها
بعض المتاخرين لامراء زمانهم بطول زمانهم وسمعت انهم ما انتفعوا بها

لانهم ذهلوا عن مصلحة التعليم وطرق التفهيم وما عرّوا شيأ من
الاصطلاحات الغامضة الماخذ فعفوتا الرعاية فابدت جزوية
مصلحة كلية فرأيت ان اقرب الاصطلاحات الى الفهم فى مواضع
لا يختل به القواعد الكلية والمطالب الاهليه وسميته
الالواح العماديه تيمنا بعلو ذكر ونفعا لاسمو قدر واوردت
فيه جملا من اللطائف ولمعا من الغرايب وما اظن انه قد صنف
قبلى مثله وبرهنت فيه المبانى ثم استشهدت فيه بسبع المثانى
واسست فى الاصول الكلية معنى معنى وعقبته بشهادة مشى مشى
وغرضنا منه منحصر فى مقدمة واربعة الواح ٥

مقدمة اعلم ان المعنى العام هو الذى يشترك فيه الكثرون
كالانسانية والحيوانية فانه ليس شركة زيد وعمرو فى اسم الانسانية
وشركة الفرس والطير فى اسم الحيوانية فحسب بل فى معناهما حتى اذا
رايت رجلا ما رايته قط او طيرا تحكم عليهما بالانسانيه والحيوانيه
وان لم تسمع حينذا انهما يسميان بالانسانيه والحيوانيه ٥
والامر المتشخص هو الذى لا يصح فيه الشركة اصلا مثل هذا الانسان
وكل ما يشار اليه والمعنى العام انما يصح وجوده فى الذهن فقط
اما فى الخارج الذهن فلكل شئ هوية متشخصة لا يشاركه غيره
ولما كان ادراك الشئ هو حصول صورة ومثال منه فيك فان الذى

حصل

تحصل فيك من المعلوم ليس ذاته بل امرا يطابقه حتى اذا
لم يكن الذى عندك مطابقا له فلا تكون قد علمته كما هو فاذا
رايته اسدا حصل منه فى ذهنك مثال كلى للاسد فكل اسد
تراه بعد ذلك تحكم عليه بانه اسد صغيرا كان او كبيرا او اسود
او احمر لانه حصلت عندك صورة الاسدية المطلقة تطابق
كل اسد على اختلاف الاسود واعلم ان الشئ قد يكون عاما بالنسبة
الى شئ خاصا بالنسبة الى غيره كالحيوان فانه اعم من الانسان واخص
من الجسم والجسم فانه اعم من الحيوان واعلم ان الاشياء التى تشارك
فى امر لابد لها من ان يمتاز بعضها عن بعض بامور تخص كل واحد منها
مثل اشخاص الناس فانهم اشتركوا فى الانسانية وامتازت الاشخاص
بعضها عن بعض بالهيآت من السواد والبياض والمقادير والاوضاع
والاحيان والجهات واعلم ان لكل ان يعلم ان الوصف الذى يوصف به
الشئ قد يكون ضروريا كالزوجية للاربعة فان فاعلا لو اراد ان يحصل
اربعة ليست بزوج لا يمكنه ذلك اذ يمتنع انفكاك الزوجية عن
وقد يكون ممتنعا له وهو ضرورى العدم كالفردية للاربعة
وقد يكون ممكنا وهو الذى لا ضرورة فى وجوده ولا عدمه كالقيام
والقعود للانسان ٥ وصف الشئ قد يكون اعم منه كالابيضية
للثلج فكل ثلج ابيض وليس كل ابيض ثلجا وقد يكون مساويا له

شركة

في العموم والخصوص مثل الزوايا الثلث للمثلث فان كل
مثلث له زوايا ثلث وكل ما له زوايا ثلث فهو مثلث
والوصف الذي يلزم الشئ باعتبار خصوصه لا يلزم ان يثبت
لمشاركاته في المعنى العام فالحرارة ثابتة للنار لانها نار لا لانها
جسم اذ لو كانت للجسمية لكان كل جسم حارا والعلماء اذا
حكموا على شئ بامكان امر او وجوبه او امتناعه له فانما يعتبرون
ما يلزم الماهية واعني بالماهية ما به يكون الشئ هو ما هو ولا يعتمدون
على الاستقراء والاستقراء على سبيل المشاهدة هو ان يقال
رايت الاكثر كذا فينبغي ان يكون الكل كذا وهو غير قوي فانه يجوز
ان يخالف حكم ما لا يعهد حكم ما عهد كمن يحكم بان كل حيوان اذا
لبث في النار يحترق لانه رايت اكثر الحيوانات من الانسان والفرس
والطير وغيرها كذا وليس بصحيح فان من لم يشاهد هذا القائل السمندر
مثلا فانه لا يضره اللبث في النار واعلم انك تفرق بين البياض
في العاج وبين كون الماء في الكوز وكون الانسان في البيت
فان البياض بكليته شايع في العاج ليس له سمك لم يجامع البياض
بخلاف الانسان والماء فانه هو مثل البياض والسواد في كونه شايعا
نسميه على تقريب الاصطلاح هيئة وما هو فيه محلا لها ٥
والهيئة لا تنتقل من محل الى محل فانها عند الانتقال يلزمها
الاستقلال بالحركة والقيام بنفسها فيكون جوهرا لا عرضا وقد
كان هيئة وعرضا هذا محال ويلزمها ايضا جهات طول وعرض
وعمق فتكون جسما وقد كان هيئة وهذا ايضا محال والعام
لا في محل مما يمكن وجوده يصطلح عليه باسم الجوهر وان كان اصطلاح
العلماء المشائين على تفصيل ذكرناه في مواضع اخر لنا الآن
هذا لا يضرنا في غرضنا هذا فالجسم يصح ان يكون له مكان ولا
يصح ان يكون له محل ذو المكان يصح انتقاله عنه بخلاف الحال في
المحل والجوهر الذي يصح ان يقصد بالاشارة الحسية هو الجسم
ويلزمه لا محالة طول وعرض وعمق فالاجسام لما اشاركت في الجسمية
فلا بد من الفارق بينهما والفارق هو الهيئة ولما رايت افتراق جسمين
بالسواد والبياض بعد اشتراكهما في الجسمية فعلم انهما زادا على
الجسمية اذ لا يفترق شئان بما اشتركا فيه والهيئات
يتمايز بعضها عن بعض بثلاثة اشياء احدها ما يكون الاختلاف
بالحقيقة كاختلاف السواد والطعم فانهما وان كانا في محل واحد
يتمايزان بحقيقتهما والثاني ما يكون باختلاف محلين اذ السواد
كما يمايز السوادان بمحلهما والثالث ما يكون باعتبار الزمانين
اذا اتحد المحل لشخص نوع واحد كالحرارة كانت في الجمر عام اول واخرى
حصلت السنة وبالجملة كل اختلاف فاما بالحقيقة كابن الانسان

الاستقلال

والفرس واما بعارض كابن انسان وانسان واعلم ان جماعة
من الناس يعتقدون ان الجسم يتجزى الى ما لا يتجزى في الحس ولا في الوهم
وسموه بالجوهر الفرد وقالوا الاجسام مركبة من هذه الاجزاء والحكماء
ينكرون صحة وجود جزء في الجسم لا يقبل التجزية الوهمية وان كانوا
يسلمون انه يجوز ان ينتهي في الصغر الى حد لا يقبل التجزية بالفعل
ولكن لا بد من امكان التجزية الوهمية واحتجوا بان هذه الاجزاء
ان كانت وتالف منها الجسم فلا شك انها كلما ازدادت يزداد المقدار
بتاليفها فاذا فرضنا جوهرا من جوهر فلا بد وان يحجب بينهما عن التماس
فلقي كل واحد منهما منه شيئا غير ما يلقاه الآخر فانقسم وايضا
اذا فرض جوهر على ملتقى جوهرين فلاقى كل واحد منهما منه شيا وهو
من كل واحد منهما شيا فانقسمت الثلاثة وفي الجملة هذا الجزء ان كان
فما منه الى صوب غير ما منه الى آخر فانقسم واعلم ان الداخل
الممتنع هو ان يلقى كل واحد من الجزئين كل الآخر بحيث لا يزيد
مقدار مجموعهما على الواحد ويكفي لمجموعهما جيز احدهما هذا ما اردنا
ايراده في المقدمة لتوطية الغرض ○

اللوح الاول في تناهي الابعاد وفي طرف من السماء والعالم وفي بسائط العنصر

واعلم ان الابعاد كلها متناهية اذ لو كانت الامتدادات غير متناهية
من جميع الجهات لكانت سعة العالم غير متناهية فاذا فرضنا جسما ذا
استدارة ولكن ترسا وفرضنا خروج ستة خطوط من جوانبه
بحيث تقسمه الى ستة اقسام متساوية ذاهبة الى غير النهاية
فلا شك انها كلما بعدت من الجسم المذكور اتسعت زواياها
وظاهر انها تقسم سعة العالم الى ستة اقسام فاما ان يكون بين
كل خطين من جملة الستة الذاهبة الى غير النهاية قدر غير متناه
وهو محال لانه محصور بين حاصرين واما ان يكون بين كل اثنين
قدر متناه فمجموع الستة الاقسام المتناهية تكون متناهية ونذكر
ويذكر ههنا حجج اخر مشهورة ولكن هذا الذي وقع لنا اظهر فاعلم
واذا ثبت نهاية الابعاد فللامتدات غايات هي منتهى الاشارة
والحركة ولا تعدياتها ومن الظاهر ان الحركة والاشارة لا تقعان الى
غير شيء بل لا بد وان تقعا الى صوب بعدي فالجسم الذي هو غاية
الاشارات لا يجوز ان يخرق لانه يلزم من خرقه اختلاف حركتي جزئيه
الى صوبين مختلفين وقد قلنا ان ليس وراءه شيء واذا علمت هذا
فاعلم انه لا يصح ان تكون غايات الاصواب اجساما مختلفة تتالف
منها فانها حصل ثم تتالف وممكن اجتماعها وافتراقها وقد قلنا لا يصح
خرق الغاية فمكون حركاتها الى لا صوب ولا شيء وهو محال فينبغي ان
ان يكون غايات الاصواب جسما واحدا محيطا بالكل ابدا عالم غير مركب
من الاجزاء ولا يصح ان يكون شيء منه يقتضي السفلية وشيء منه

بقتضى العلوية فانه جسم واحد متشابه الاجزاء لا اولوية لعلوية
بعضه وسفلية الآخر فاذن كله علو ولكان السفل في غاية البعد
عنه وغاية البعد من المحيط انما هو المركز فغاية السفل هو المركز والمركز
لا يعين المحيط لجواز وقوع دوائر غير متناهية بالقوة على نقطة واحدة
فالمحيط هو المحدد وهو السماء الاقصى والمحدد لا يتحرك على الاستقامة
اذ ليس وراءه صوب بل هو مقتضى جميع الاصواب لمحيطه ومركزه
ومما يشهد عاذكرنا من التنزيل مشى قوله تعالى بعد ذكر السماء
وما لها من فروج وغير الكري يلزمه الزاوية والفرجة يثنيه
قوله تعالى فارجع البصر هل ترى من فطور وعلى غير الطريقة المذكورة
يلزمه الفطور ويدل ايضا على عدم الخلاء ومحال ان يكون حشو المحدد
او فيما بين اي جسمين كانا خلاء فانه اذا عنى بالخلاء لا شيء وقد يفصل
ما بين جسمين متباعدين ما بين جسمين متقاربين وما يسع الجسم الاكبر
اكثر مما يسع الجسم الاصغر فالخلاء متقدر وكيف يكون ما ليس بشيء
متقدرا واذا كان متقدرا فهي جميع اقطاره فهو جوهر مقصود بالاشارة
ذو طول وعرض وعمق وليس معنى الجسم على ما هو الضابط في النظر
الاهذا ان وقع فيه الجسم ولم يحسه فقد تداخل البعدان وهو
محال وكيف لا يوجد مجموع المقدارين على احدهما فالعالم كله ملأ
وليس وراء المحدد خلاء ولا ملاء والمكان امارات من جملتها

ان يكون الجسم فيه ويصح توهم انتقاله عنه فليس المكان ما يستقر
عليه الجسم لانه ليس فيه وليس حامل العرض مكانا له اذ ليس يصح
توهم انتقاله عنه فمكان الشيء هو باطن حاوية المماس لما يحاذيه
لا مكان له **فائدة** الحركة هيئة لا يتصور ثباتها وهي تنقسم
الى طبيعية كحركة الحجر الى اسفل والى ارادية وهو ما يتصح على جهات
مختلفة كحركة الحيوانات والى قسرية كحركة الحجر الى فوق وانت
تعلم من تاخيرك لامر اذا ادى الى فواته مما تختلف بالقبلية
والبعدية ان في الوجود شيأ غير ثابت منصلا منه القبليات
والبعديات ولتجدده وتقدره يجب ان يكون شيأ اذ العدم
البحت لا يتجدد ولعدم ثباته ينبغي ان يكون امرا متعلقا بالحركة
وهو الزمان والزمان هو مقدار حركة الفلك اذ اجمع في الذهن
متقدمه مع متاخره وقسم الزمان الى اجزاء من السنين
والشهور والايام والساعات ودوام الوجود الماضي يسمى الازلي
ودوام الوجود في المستقبل الابد والمحدد به يعين مكان كل جسم
وبه صحت جهات الحركات المستقيمة فحركة اليومية اعتبر الزمان
واذا دارت الشمس والكواكب غربت وظهرت من مشارقها فلا بد وان
يكون وصولها الى مشارقها بحركة دورية اذ لو رجعت قبل تتميم
الدورة لتعود الى المشرق ولم تغرب ويتشتى النهار لعود الشمس

وليس كذا فهي قاطعة المسافة مما يلي الجانب الآخر من الارض

والمتحرك ينقسم الى ما يتحرك على الوسط كالمحدد والافلاك
والى ما تحرك عن الوسط ويلزمه حرارة والى ما تحرك الى الوسط
ويلزمه برودة وكل ما تحرك على الاستقامة فهو قابل للخرق
اذ لابد له ان ينفصل عن كلية نوعه وكل قابل للخرق فاما ان يقبل
الاتصال والانفصال والتشكل وتركه بسهولة او بصعوبة
والاول هو الرطب والثاني هو اليابس واذا لم تخرج الاجسام التي
عندنا من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة فركبت هذه الكيفيات
الاربع حصلت اربعة اقسام حار يابس كالنار نحو اقصى الفوق
وهو الخفيف المطلق وحار رطب كالهواء وهو الخفيف بالنسبة
وبارد يابس يقصد اقصى السفل وهو الارض وبارد رطب وهو الماء
يستقر فوق الارض وتحت الهواء وهو الثقيل بالنسبة
ولولا ان الهواء اخف من الماء ما كان الزق المنفوخ من الهواء
يرسب قسرا ويطفو طبعا ولولا ان الارض اثقل من الماء
ما رسب التراب اذا وقع في الماء ٥ والسماويات
لما لم تقبل التفصيل والخرق اصلا لا بسهولة ولا بصعوبة
فهي لا رطبة ولا يابسة ولما لم تتحرك على الاستقامة لا عن الوسط
ولا الى الوسط فهي لا حارة ولا باردة وليست خفيفة ولا ثقيلة

لان

لان الخفة قوة تحرك الجسم الى فوق والثقل قوة تحرك الجسم الى
اسفل وهي لا تتحرك لا عن الوسط ولا الى الوسط فبطل قول من ظن
انها مائية او نارية والعناصر مرتبة تحت السماويات في مقعر
فلك القمر فانقسمت الاجسام الى اثيرية ثابتة الصور والى
عنصرية كائنة فاسدة متغيرة الصور ٥ والعنصريات منفعلة
عن الاثيريات واعتبر بما تشاهد من آثار النيرين وهذه العنصريات
تستحيل من كيفية الى كيفية كالماء يزول عنه البرودة بمجاورة النار
وتحدث فيه الحرارة تؤثر بعضها في بعض اما بمقابلة كالنير يضيء
ما يقابله او بمجاورة كالنار تسخن ما يجاورها او بملاقاة كالنار
تحرق ما يلاقيها مما يقبل اثرها ٥ واسباب الحرارة ثلثة
الاول مجاورة جسم حار كالنار وقوم انكروا الاستحالة وزعموا
ان الماء ما تسخن بل فشت فيه الاجزاء النارية وحار معها الحرارة
ولو كان كما زعموا كانت قوائم الحديد والنحاس ابطأ تسخنا من اواني
الخزف على نسبة منع الغشوة وليس كذا مع ان الجديد يبرد ما فوقه
واجزاؤه لاستصاعده فلابد بالاعتراف بالاستحالة السبب الثاني
الشعاع كما ترى من تسخن شعاع الشمس واعتبر بالمرآة المحرقة فانها
تحرق ما يقابلها لشدة قبولها الشعاع بسبب انعكاس الشعاع
من جوانبها الى مقعرها وقوم زعموا ان الشعاع جسم وانما

يسخن تعبوره على كرة النار وقولهم باطل فانه لو كان الشعاع
جسما لكان اذا سدت الكوة بغتة او كب على المصباح شئ
شوهد محرك او تثبت فلما وجب بطلانه فهو عرض ولو كان
جسما لكان يجب ان تحرك بطبعه الى فوق لا الى اسفل وليس كذا
بل هو عرض وليس انه ينتقل من الشمس فان العرض لا ينتقل بل هو هيئة
تحدث فيما يقابله اذ لا انتقال السبب الثالث
الحركة فانها تسخن واعتبر بالمحلوك والمخضخض وقوم زعموا ان الحركة
لا تسخن بل التسخن ههنا بظهور اجزاء نارية كامنة ونكذبهم بما
نرى الماء وغيره من المايعات قبل الخضخضة باردا ظاهره
وباطنه وبعدها يتسخن ظاهره وباطنه فلو كان بظهور اجزاء
نارية كامنة لبرد الباطن حين يسخن الظاهر وليس كذا وما نرى
من حصول النارية بالقدح ليس بان يخرج من حجر او حديد كل ذلك النار
بل بان الحركة تسخن الهواء الذي بينهما فينقلب نارا ثم اذا زال
السبب ينقلب النار هواء والشعل والشرر التي تغيب عن
البصر تصير هواء اذ لو بقيت نارا لاحرقت ما يقابلها
وليس كذا وبالنفخ الشديد ينقلب الهواء نارا فاعتبر مما ذكرنا
ان الهواء ينقلب نارا والنار هواء وقد ينقلب الهواء بالبرد
الشديد ماء كما نرى من تركيب الزجاجات التي فيها الجمد والطاسات

المكبوسة

المكبوسة مما عليها من القطرات وليس ذلك من الرشح الشديد فان الماء
الحار اولى بالرشح من الجليد ولا يوجد ذلك من الماء الحار فليس الا
ان الهواء انقلب لشدة برد الجمد بمجاورة ذلك ماء والماء يصير
لشدة الحر هواء والماء يصير ارضا كما نرى مياها سنجرفية تتحجر في الحال
والارضيات تصير ماء كما نرى من اصحاب الكيميا انهم كللون الحجارة
الصلبة فيتركونها مياها سيالة واذا رأيت في الحمام صعود البخار
بالحرارة وتكاثفها عند فتح باب الحمام ونزولها قطرات وعدم ظهور
تفصيل في حر الصيف وتكاثفه في الشتا وصيرورته قطرات
وتجمد على شعورك احيانا فلا تعجب من تكاثف البخار بالبرد التي
يسمى سحابا ومن نزوله قطرات التي تسمى مطرا ومن صيرورته ثلجا
وغيره وما تسخن بالشعاع وتلطف وتصعد من اليابس يسمى
دخانا وما من الرطب يسمى بخارا ومن هذين يحصل الآثار في الجو
فسبحان المدبر بالحكمة والاتقان وسبحان منعض الجود قدم الاحسان
سبحانه اليه المصير واعلم اذا قلنا ان النطفة صارت انسانا
فليس معناه ان النطفة كانت باقية مع الصورة الانسانية حتى تكون
الشئ الواحد نطفة وانسانا لان النطفة بطلت بكليتها وخلق الانسان
بكليته اجزاء فانه لا تكون النطفة قد خلق منها الانسان فليس الا ان الجوهر
الذي فيه الهيات التي بها صارت النطفة نطفة بطلت عنه صورة النطفة

وحصلت فيه صورة الانسانية وكذلك اذا صادت الماء هو آ
او غيره وذلك الجوهر الذي تبدل عليه هذه الصور هو المسمى هيولى
فاذا اخذ مع اعتبار امتدادات طولية وعرضية وعمقية فهو الجسم
وانما اخذ بالنسبة الى الهيآت التي فيه فهو المحل واذا اخذ بالنسبة
الى ما يحصل منه من الانواع وتتبدل عليه من الصور فهو الهيولى كما
يسمى زيد بالنسبة الى ابيه ابنا وبالنسبة الى ابنه ابا وبالنسبة
الى ابن اخيه عما ونسبة الهيولى الى الصور على سبيل المساهلة كنسبة
الحديد الى السيف والنحاس الى القمقمة وقد يسمى الهيولى باسم المادة
والعنصريات هيولاها مشتركة تخلع صورة وتلبس اخرى و
الافلاك هيولاها غير مشتركة اى صورها ثابتة لا تزول ولا تتبدل
عليها وتخلق عن هذه الامهات الاربعة المواليد الثلثة المعدنيات
والنبات والحيوان وكلما كان الامتزاج بينها اعدل كان قبولها
لنوع اشرف ٥ اللوح الثاني في النفس واشارة خمسة الى قوا

فاعدة اعلم ان الحس كالبصر لا يدرك الا مع علاقة وضعية
حتى اذا زال الشئ عن المقابلة زال الابصار والخيال مجرد عن تلك العلاقة
فيرتسم فيه صورة الشئ مع غيبته ولكن لم تقدر على التجريد عن العوارض
الغريبة من اين وكيف و وضع والعقل بجردة فيجعل ما كان محسوسا
ومتخيلا مع عوارض غريبة معقولا مجردا عنها فاخذ من الحيوان صورة

طابت

انواع
طابقت جميع الحيوانات صغارها وكبارها من حيث الحيوانية و
اشترك فيها النمل والفيل وبرهن عن هذا فنقول لو كانت
هذه الصورة المطلقة في جرم الزمهاء ضع خاص ومقدار خاص
فما طابقت المختلفات فيها ولما طابقت فليست في جرم ولا في امر
جرماني اصلا فمحلها منك برئ عن الابعاد والجهات وهو النفس
برهان آخر هو انك عقلت الشيئية المطلقة دون خصوص
انسانية وسوادية ومقداريه فلو كان محلها جسما فاذا قسم في
الوهم كانت تنقسم صورة الشيئية فان العرض ينقسم بانقسام
محله فاما ان يكون كل جزء من الشيئية شيئية فحسب فيكون
لا فوق من الكل والجزء فان الكل كان ايضا شيئية فحسب وان كان
كل جزء شيئية مع امر آخر من خصوص مقدار وغيره فقد زاد
الجزء على الكل وان لم يكن كل جزء من مفهوم الشيئية شيئية
ولا شيا مع خصوص فيكون للشيئية جزء هو لا شئ فكل هذا محال
فمحلها ليس بجسم ولا منقسم وعقلت ايضا مفهوم الواحد
المطلق البرئ عن خصوص مقدار فلو انقسم محله لا نقسم فلا يكون
الواحد واحدا وقد فرض انه واحد لا غير فلا نقسم محله
فمحل المعقولات ليس شيئا ينقسم في الوهم او يشار اليه او له
مقدار و وضع بل هي ذات اخرية برية عن الاين والجهات و المحال

لقد افلح من عرفها واستكملها وخسر من جهلها وضيعها كما ورد في
التنزيل قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها وقد ورد فيمن يجهلها
مثالان وهو قوله نسوا الله فانسيهم انفسهم مع قوله ان الله يحول
بين المرء وقلبه والقلب ههنا اشارة الى النفس لا الى العضو المشهود
وورد في التنزيل فيها مثالان من جملتها قوله تعالى ثم سويته ونفخ
فيه من روحه يثنيه ونفخت فيه من روحي وهذه الاضافة
تؤذن بشرف النفس وتجردها وكونها جوهرا الهيا ومثنى آخر
في حق المسيح وهو قوله انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته
القاها الى مريم وروح منه وظاهر كون المسيح من نوع البشر
يثنيه قوله والتي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا ومثنى
آخر وهو قوله قل الروح من امر ربي والامر هو المفارق واضافة الى نفسه
يثنيه قوله مثل نوره كمشكوة فيها مصباح فالنفس امر ونوره
والكل متقيد بالاضافة الى الربوبية وهي التي اشار النبي عليه السلم
بقوله ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني وهي التي تطلب الرفيق
الاعلى واياها عنى علي رضي الله عنه بقوله لما ذكر قلع باب خيبر
فقال قلعته بقوة ملكوتية ونفس بنور ربها مضيئة واياها
عنى ابو يزيد بقوله انسلخت عن جلدي فرايت مزانا وقول طلبت ذاتي
ذاتي في الكونين فما وجدتها واليها اشار الحلاج بتين ذاتي حيث لا اين

وقوله عند صلبه حسبوا الواحد افراد الواحد والى معادها اشار بقوله
اقتلوني يا ثقاتي ان في قتلي حياتي فمأتي في حيرتي وحيوتي في مماتي
واياها عنى بقوله هيكلي الجسم نوري الصميم صمدي الروح ديان علم
عاد بالروح الى ارباها وهو الهيكل ذو الترب الرميم واشار اليها شيخ
من الصوفية لما قال الصوفي مع الله بلا مكان وقال انه كائن بائن
واليها اشار المسيح عليه السلم ابي وابيكم كنسبة النفس القدس
واياها عنى لما قال لا يصعد من السماء الا من نزل منها وكذلك انا
وابي واحد من راني فقد راى ابي وفي حق نبينا صلى الله عليه وسلم
ورد في التنزيل مثنى وهو قوله دنى فتدلى يثنيه قوله فكان
قاب قوسين او ادنى ولولا تجرد نفسه من الجبر ما صح دنوه
من عدم الجبر ومثنى آخر قوله وهو بالافق الاعلى يثنيه قوله
ولقد رآه بالافق المبين اشار الى العروج الروحاني لخفة علاقة
البدن

تذكيرات منبهة

اعلم ان الانسان يتبدل عليه جلده ولا يتبدل المدرك لذاته منه وقد يبقى نوعه
دون كثير من اجزائه والقلب والدماغ والاعضاء الباطنة تحتاج
في معرفتها الى تشريح وانت تعلم ذاتك مع غفلتك عن جميع الاعضاء
والعالم نهي مبانية عن الكل لانك دايم الذكر لها متى نسيت الكل
فكيف تعقل الشيء وتذكره دون اجزائه فليس شيء من هذه جزء الك

تعول تشبهوا بالكم السماوي وبقوله

دقوله

طريق آخر تقول انت تشير الى ذاتك بانا وتفرد عن انا بتلك
جميع ما في البدن وعالم الاجرام وتشير الى ذاتك بانه هو وتخيله
مفردا عنك ولا يمكنك ان تفرد انك عن ذاتك وتشير الى
نفسك بهو فلست بشئ من عالم الاجرام ٥ طريق آخر
لو انت الغاذية بما تاتي ولم يتحلل من بدنك شئ لزاد مقدار بدنك
على ما هو عليه كثيرا وليس كذا فلا بد من التحلل وما يخرج من اجزاء
بدنك الا وينقصه الحرارة او يحلله بالكلية الى بدل وكذا
المزاج والروح وانا بتلك لم يتبدل ولم يتنقص فليست هي بمزاج
ولا شئ من عالم الاجرام وقد ركبت للحيوان
حواس خمس ظاهرة وهي اللمس والذوق والسمع والبصر وله حواس اخر
باطنة اولها الحس المشترك والثاني الخيال وهذان في التجويف الاول
من الدماغ الاول في مقدمه والثاني في مؤخره اما الخيال فلا
يشك فيه بما تخيله من المحسوسات والمبصرات والمذوقات وغيرها
فدل ان جميع المحسوسات سقي فيه اما الحس المشترك فتعلم بما
تفرق من ما تخيله ومن ما تشاهده معاينة في المنام وغيره عند
غمض طويل فانه لو كانت المشاهدة بالخيال كان كل ما تخيل مشاهد
فادن هذا الذي يشاهد الصور هو جميع المحسوسات هو الحس المشترك
نسبته الى الحواس الخمس نسبة حوض تصب اليه المياه من انهار خمسة

ضربا

صورا للمثل فهي قابل اولا مثل جميع المحسوسات والخيال خزانته
وليس من شرط كل قابل ان [illegible] فان القابل المستعد بسهولة
يحتاج الى فضل رطوبة والحفظ يحتاج الى فضل يبوسة الثالث
الوهم وهو الذي يحكم في الحيوانات على المحسوسات بمعان غير محسوسة
كادراك السنور معنى في الفار يحمله على الطلب وادراك الفار
معنى في السنور موجبا للهرب وهذا في الانسان ينازع
العقل امتحن في تجويز عقلك الانفراد في البيات في بيت
ميت وتغيير وهمك فدلت بنازعتهما على اختلافهما ٥
الرابع المتخيلة وهي التي تركب الاحكام وتسمى عند استعمال
العقل مفكرة وبها يستنبط العلوم والصناعات وبها
المحاكاة في الاحلام وغيرها وهي غير الخيال فان الخيال لا يتصرف
بل يحفظ الصور كما جاءت والمتخيلة تركب وتفصل وهي التي
تركب حيوانا من اعضاء مختلفة كراس انسان وعنق جمل وظهر
نمر وهذان في التجويف الاوسط المتخيلة منهما في مؤخره ٥
الخامس الحافظة وهي التي تحفظ جميع احكام الوهم والمتخيلة والوقائع
على تفاصيلها ونسبها وسلطانها في التجويف الاخر من الدماغ
وعرف تغايرها باختلال بعضها مع بقاء بعض وعرف مواضعها
باختلال القوة لاختلال الموضع لزوما مطردا وفي الحيوانات

قوة محركة على انها الباعثة وهي النزوعية . وتنشعب الى شهوانية
وهي الطالبة للملائم وغضبية وهي التي تدفع ما لا يلائم وتفعل
عن تخيل وادراك وفي الجملة هي مطيعة للمدركات اذ لا شوق
الا ما لا يدرك ولو من وجه واحد ۞ وقوة محركة على انها المباشرة
للحركة تنبث في الاعضاء وتطيع النزوعية وسلطان المحركات
في القلب كما ان سلطان المدركات في الدماغ وهاتان القوتان
اعني المدركة والمحركة من خواص الحيوان وله قوى يشترك فيها
النبات الغاذية وهي قوة تتصرف في مادة الغذاء ليتحيل الى
شبيه جوهر المغتذى بدل ما يتحلل ومنها النامية وهي قوة
توجب الزيادة في اجزاء المغتذى في جميع الاقطار على تناسب
مخصوص ومنها المولدة وهي قوة توجب احتراز فضلة من المادة
لتكون مبدأ لشخص آخر ليتحفظ به نوع ما لم يتحفظ شخصه و
تخدم الغاذية الجاذبة للغذاء والماسكة والهاضمة والدافعة
للثفل وجميع القوى في الحيوان حاملها الروح وهو جسم لطيف
ينبعث من الجانب الايسر من القلب فما يصعد منه الى الدماغ
ويعتدل بتبريده ويكتسب السلطان النوري من النفس الناطقة
يسمى روحا نفسانيا وبه يتم التحرك والادراك وما يسري الى
الكبد من القلب في الاوردة يسمى روحا طبيعيا وبه تتم افعال

القوى النباتية

القوى النباتية ولولا لطف هذا الجسم ما نفذ في شباك الاعضاء
واذا حصلت سدة تمنع نفوذ هذا الروح الى عضو يموت ذلك العضو
وهذا غير الروح المذكور في المصحف في قوله تعالى قل الروح من امر ربي
فان المراد بذلك النفس الناطقة كما سيجيء واعلم ان النفس لا
تتصور وجودها قبل البدن لانها لو كانت وجودها قبل البدن لكانت
اما ان تكون متكثرة والتكثير دون مميز محال ولا مميز قبل
البدن من الافعال والانفعالات والادراكات واما ان تكون
متحدة فان بقيت واحدة تتصرف في جميع الابدان فكان لجميع
الناس نفس واحدة وكان يجب ان يدرك جميع الناس ما ادركه واحد
وليس كذا وان انقسمت بعد الوحدة فهي جسم وتدبرهن على
امتناع جسميتها فالنفس حادثة مع البدن ويدل عليه شان النفخ
المذكور ومثنى آخر وهو قوله فارسلنا اليها روحنا فتمثل
لها بشرا سويا قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا
قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا يثنيه
قوله ثم انشاناه خلقا آخر بعد ذكر تركيب الجسدي ۞
وحد النفس الناطقة انها جوهر غير جسمي من شانه ان يدرك المعقولات
وتتصرف في الاجسام وهي نور من انوار الله العالمة لا في اين

الاحتراز الزائد
اريجي جداكون

فسبحان فاعل العجائب مبدع الهويات ومظهر الآيات
آله العوالم واهب الحيوة والامر واليه الآيات تبارك الله
رب العالمين وصلى الله على محمد وآله اجمعين

النوع الثالث واثبات واجب الوجود وما يتعلق من صفات الكمال

مقدمة اعلم ان كل موجود اما واجب الوجود لذاته واما
ممكن الوجود وقد علمت ان ممكن الوجود غرضروري الوجود والعدم
فالممكن هو الذي لا يقتضي الوجود لذاته اذ ليس وجوده من ذاته
اولى من عدمه ولو اقتضى الوجود لذاته كان واجبا لا ممكنا ولو
اقتضى العدم لذاته كان ممتنعا فترجح وجود الممكن على عدمه
وترجح عدمه على وجوده انما يكون لاستناد المرجح والممكن اذا وجد
يكون وجوده لسبب مرجح واذا حصل السبب المرجح على الكمال يجب
يجب به وجود الممكن فالممكن بشرط حصول العلة يجب لا بذاته بل
بالعلة وبشرط عدم العلة يمتنع لا بذاته بل باعتبار شرط عدم
العلة واذا نظر الى ذاته دون الشرطين فهو في نفسه ممكن
واذا توقف وجود الشيء على امور كثيرة كان كل واحد منها جزء
السبب ويكون المجموع هو السبب التام والعلة التامة هي التي
يجب بها وجود الشيء والشيء قد يكون له علة فاعلية كالنجار

للكرسي

للكرسي وعلة مادية كالخشب له وصورية كهيئة الكرسي وغائية
وهي التي لاجلها اتخذ الكرسي كحاجة الاستقرار على الكرسي ○
وفي الجملة كل ما له مدخل في تحقق الشيء فهو جزء علته كان ارادة
او آلة او ارتفاع مانع او حصول وقت او مادة او معاونا
فالمجموع علة تامة ووجود المسبب يتعلق بوجود السبب
وعدمه بعدم السبب او انتفاء جزء من السبب فانه اذا انتفى
جزء واحد من العلة لا يحصل المعلول حتى ان حصل جميع الحاج
الكرسي ولم يحصل الآلة او وجدت الآلة ولم توجد ارادة
الفاعل لا يحصل الشيء واذا تم السبب المرجح للشيء يجب وجود
ذلك الشيء والا فهو موقوف على شيء آخر فلم يتم السبب بعد ذلك وكل
ما يتوقف على غيره يكون ممكنا في نفسه اذ لو كان واجبا لذاته لا يستغني
عن غيره واعلم انه لا يتصور ان يكون شيئان كل واحد منهما سببا للآخر
والسبب يتقدم على المسبب فكل واحد منهما يتقدم على المتقدم عليه
وعلى نفسه فتتقدم على نفسه لتحصل ما يحصله وهو محال فاعلم
لا شك ان الاشياء موجودة فان كان فيها واجب الوجود فقد
صح لنا وجود شيء هو واجب الوجود وهو مطلوبنا وان كان الكل
مما نعلمه ممكنا وقد عرفت ان الممكن يحتاج الى مرجح ويعود
الكلام اليه فلا نذهب الاسباب الممكنة الى غير النهاية فان

مجموع الممكنات ممكن اذ كل مركب من الآحاد موقوف عليها فان
كانت الآحاد ممكنة فالمجموع اولى بالامكان فيحتاج المجموع الى مرجح
ولا يكون ذلك المرجح ممكنا والا لدخل في تلك الجملة المحتاجة
الى مرجح فلا يكون علة للمجموع فاذن لابد وان يكون المرجح واجب
الوجود بذاته فصح واجب الوجود على كل التقديرات فنقول لا يصح
ان يكون شيئان هما واجبا الوجود فانهما حينئذ يشتركان بالضرورة
في وجوب الوجود وكل مشتركين في شيء يجب ان يفترقا بشيء
آخر والا لكونا واحدا فلولا ما به الافتراق في كل واحد مما صح
تحقق ما به الاشتراك في كل واحد وما به الاشتراك هو وجوب الوجود
وقد توقف على المميز وكل ما توقف على مميز فهو ممكن فيلزم ان
يكون وجوب وجود كل واحد منهما ممكنا فيحتاج الى مرجح آخر
فليسا بواجبين فصح ان واجب الوجود واحد ○ طريقة اخرى
نقول لو اقتضى وجوب الوجود التخصص بواحد فلا يكون غيره
واجب الوجود وان لم يقتض التخصص بواحد فهو ممكن بالنسبة الى كل واحد
فيحتاج الى مرجح فجعل الشيء واجب الوجود بذاته وهو محال فواجب الوجود
واحد لا ثاني له وهو واحد باعتبار انه لم يتركب من الاجزاء
فكل مركب هو متوقف على اجزائه معلول لها فيكون ممكنا في نفسه
ثم الاجزاء لا تكون واجبة الوجود لما بينا فقد واجب الوجود فاذن

قد صح

وقد علمنا

قد صح ان واجب الوجود واحد فهذا الواجب الواحد ليس بجسم
لان الاجسام فيها كثرة وقد قلنا ان واجب الوجود واحد ولا
اجسام مركبة من مادة وصورة اذ قلنا ان واجب الوجود لا يقوم
بالاجزاء وليس بهيئة فان قام الهيئة انما تكون لمحل وكل ما كان
قوامه بشيء فهو ممكن وكل نوع من الهيئات يتكثر وقد بينا امتناع
تكثر ما يجب وجوده فواجب الوجود اذن لم يكن جسما ولا جسمانيا
فهو قائم بالذات برئ عن الاحياز والجهات ○ طريقة اخرى
نقول قد صح لك ان الاجسام كثيرة ولزمها من ضرورة النهاية
شكل ومقدار ولا بد من افتراقها بالهيئة فلو كانت الهيآت
تقتضيها الجسمية لما هي جسمية لاشتركت الاجسام في المقادير
والاشكال والهيآت لاتفاقها في الجسمية وليس كذا واذا
لم تقتضها مجرد الجسمية ولا قيام لها اي للاجسام الا بخصصاتها
ولا الهيئة الا بحواملها فجميعها ممكنة محتاجة الى واجب الوجود
لذاته ولا يكون جسما واجب الوجود جسما ولا جسمانيا والا لكان
حاله حال سائر الاجسام ○ طريقة اخرى هي ان الحركات
ظاهرة والحركة لا تقتضيها نفس الجرمية الجسمية والا لكان كل جسم متحركا و
لكانت الحركات غير مختلفة وليس كذلك فلا بد للاجسام من مبدإ
الحركة فان كان واجبا لذاته فهو المطلوب وان كان غيره من الممكنات

ستنتهي الى واجب الوجود بذاته وحينئذ يلزم ان يكون هو غير متغير
ولا متحركا وهذه الطريقة استعملها الخليل عليه السلم في قوله لا احب
الآفلين وايضا في احتجاجه ان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها
من المغرب فهذا مشتمل ٥ طريقة اخرى نقول قد صح لكل ان
وجود النفس الناطقة البشرية وقد بينا انها جاهدة مع البدن
فهي ممكنة الوجود مفتقرة الى مرجح ولا يكون مرجحها الجسم اذ لا تعقل الشيء
وجود ما هو اشرف منه فمرجحها ان كان واجب الوجود فهو المراد
وان كان من الممكنات فتنتهي السلسلة الى واجب الوجود بذاته ٥
ونقول النفس الناطقة حية بذاتها مدركة لذاتها ولا يصح ان يكون
ادراكها لذاتها بصورة فان الصورة التي في ذاتك هي بالنسبة اليها
هو فكيف يكون ادراك ما هو غيرك ادراكا لانانيتك فذاتك
مدركة لنفسها لا بصورة بل لانها جوهر مجرد عن المادة غير غائب عن ذاته
وقد علمت ان المانع عن المعقولية هو المادة اذ ما لم تجرد الصورة
عنها وعن عوارضها لا تصير معقولة ٥ وواجب الوجود هو واجب الحضور
والعلوم ولا يعطى الكمال القاصر عنه فهو حي عالم ولا تزيد حيوته
وعلمه على ذاته بل هو كونه مجردا عن المادة غير غائب عن ذاته وعن لوازم
والحي هو الدراك الفعال وواجب الوجود فعال لجميع الماهيات
مدرك لذاته فهو حي ومثاني العلم ياتي فيما بعد واذا امكن ان يكون

للنفس

للنفس علم بذاتها لا بصورة فهو اولى بالوحدة والتجرد منها فقد
دلت فقد دلت النفس على مبدعها وعلى تجرده عن الابوين والجهات
وعلى علمه بذاته كما قيل من عرف نفسه فقد عرف ربه فالنفس
جوهر حي قائم برئ عن المحل والمواد فقد دل الحي القائم على الحي القيوم
ووحدته كما ورد المشتمل في المصحف الله لا اله الا هو الحي القيوم
يشتمل قوله الم الله لا اله الا هو الحي القيوم ومعنى القيوم القائم بذاته
الذي يقوم به ما سواه وهذا هو واجب الوجود ٥ وواجب الوجود
لا يتصف بصفة فان الصفة لا يمكن ان يكون واجب الوجود لغيرها
بمحالها ثم كيف تكون الصفة وصاحبها واجبي الوجود وقد بينا ان
لا واجبان في الوجود ٥ ولا يصح ان يكون له صفة ممكنة فتحتاج الى مرجح
فان كان ذاته مرجحها فمفعل ومقبل بذاته فيكون فيه جهتان فاعلية
وقابلية فان جهة الفعل غير جهة القبول والذي ينطق راسه
منا فعله بجهة من قبل نفسه وتحريك يده وتبوله براسه ٥ ولا يصح
تركب واجب الوجود من جهتي فاعله وقابله لما سبق فليس له صفة
الا سلوب كالقدوسية والوحدة وكونه سلاما فان هذه راجعة
الى سلب صفات النقص والعيوب وسلب الفتنة وله صفات اضافية
كالمجيد آية والخالقية وكل كمال ثبت للشيء بزوائد فعله فله ذلك
بذاته الوحدانية اذ لا واجب غيره فلا ند له واذ لا مانع له مساو في القوة

فلا سند له على اصطلاح العامة واذ لا عمل له فلا صدق له على اصطلاح
الخاصة كتضاد السواد والبياض ۝ وكل قوة مستفادة منه
فلا يفاد ولا يعاد له شيء ۝ وهو حق بمعنى انه موجود لذاته وما
سواه باطل كما انه ممكن في نفسه والممكن لا يستحق الوجود بحقيقته
بالحق الاول لا بذاته ۝ وواجب الوجود لا يصح عليه العدم لانه
لو صح عليه ذلك كان ممكن العدم وممكن العدم ممكن الوجود وقد كان
واجب الوجود لذاته هذا محال ۝ وواجب الوجود هو الخير المحض
فان الخير قد يراد به النافع ولا شيء انفع من واجب الوجود فانه
مبدع الماهيات ومفيد كما لانها اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ۝
وواجب الوجود اجل الاشياء واكملها فان كل جمال وكمال
ورشح من جماله وكماله فله الجلال الارفع والبهاء الاكمل والنور الاقهر
سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وكما انا اذا ابصرنا
الشمس ومنعنا نورها عن الاكتناه بها فشدة نورية حجابها
فتعرف الحق الاول ولا تحيط به كما ورد في التنزيل ولا تحيطون به علما
يثنيه قوله لا يدركه الابصار وهو يدرك الابصار فالحق
محتجب بجمال نوريته وشدة ظهوره **فائدة** ان قوما يرون
ان الحق الاول لم يفعل شيئا في الازل ثم شرع ففعل وحجتهم انه
لو دام الصنع مع الصانع لساواه فلا تكون بينهما فرق ۝

وحجة

وحجة اخرى قالوا لو كان العالم دائم الوجود لكان عدم ابتدائه غير متناه
وقالوا اليوم آخر ما مضى فيتناهى به قد انتهى ۝ وقوم آخرون وهم
الفلاسفة مثل ارسطاطاليس وهو امام القوم وساحر المشائين
يرون ان الحق الاول لم يزل فاعلا للاشياء وان وجوده دائما معه
واحتجوا فقالوا قد بينا ان الممكن لا يحصل الا بالمرجح فان
كان المرجح والسبب هو ذات الاول او ذاته مع اي عدد من الصفات
نفرض صفة له ولم يحصل الفعل فهو موقوف على وقت او شرط او زوال
مانع مما يتوقف عليه الفعل وقبل جميع الممكنات لا وقت ولا شرط
فانها من جملة المخلوقات وليس في العدم الصرف حال يكون له فعل
شيء اولى به من حال اخرى ولا تجدد له ارادة او قدرة فيزيد بعدما
لم يرد او يقدر بعد ان لم يقدر مع ان كل ما تجدد هو من جملة الممكنات
ولا سعد على جميع الممكنات الا هو وهو دائم فالمرجح هو لا غير
فيدوم به الترجيح وافعالنا انما تختلف عن وجودنا للتوقف
على ارادة او مادة او آلة او وقت او زوال مانع حتى اذا
حضرت جميع الشرائط لا تختلف عنه وقبل جميع الممكنات لا تفرض
شيء موقوف عليه الفعل فهو كما يرون هذا الراي ۝

وهو دائم لدوام الترجيح وان كان هو حاصلا مع جميع ما تفرض م

والتقدم ينقسم الى تقدم بالزمان كتقدم ابراهيم على موسى عليهما السلام
والى ما يكون بالوضع والمكان كتقدم الامام على المأموم بالنسبة الى المحراب

واما بالنسبة من الداخل الى الباب فقد سقدم المامور على
الامام ومن المقدم ما يكون بالذات كتقدم حركة الاصبع على
حركة الخاتم تقول تحرك الاصبع فتحرك الخاتم ولا تقول تحرك الخاتم
فتحرك الاصبع فحركة الاصبع متقدمة على حركة الخاتم تقدما بالذات
والعلية لا بالزمان ○ وللتقدم اقسام اخر مذكورة
مواضع اخرى لا يليق ههنا فواجب الوجود يتقدم على فعله تقدما بالذات
لا بالزمان فان الزمان ايضا من جملة الممكنات وهؤلاء يقولون
لا يلزم من دوام اثر الشيء مساواتهما فان وجود احدهما من الآخر
وليس وجود الآخر منه وكيف تساوي النير شعاعه مع انه لا تخلف
عنه فاذا دام النير دام الشعاع بدوامه واما الحركات والحوادث
فليس لها كلية حاصلة تعا في الوجود بل الحركة لا يبقى متقدمها مع متاخرها
وكما ان الزمان الحاضر يوجد بدداء ما سيأتي فهو اول الابد
والابد لا آخر له فهو آخر الازل والازل لا اول له وليس بآخر لا آخر له
بل تنعقبه الى ما لا يتناهى وقوم قالوا ان الشيء يحتاج الى السبب
عند الايجاد واذا وجد استغنى عن الفاعل حتى لا يضره عدم الفاعل
كما سقى البناء ولا يضره عدم البناء والحكماء يمنعون هذا ويقولون
الممكن بذاته لا يصير واجبا بذاته اذ لو استغنى عن المرجح صار واجب الوجود
وهو محال بل ما دام موجودا يحتاج الى مرجح. بل قد يكون الشيء علة ثبات

وليس بآخر حركة لا حركة بعد بل

بل قد يكون علة ثبات الشيء غير علة حدوثه

غير علة

غير علة حدوثه كالصنم مثلا فان علة حدوثه فاعله وعلة ثبات صورته
ليس العنصر وقد تكون علة الحدوث بعينها هو علة الثبات ايضا كالنير
والشعاع الذي له وجميع الممكنات علة وجودها وثباتها بمعنى واجب الوجود
بذاته ودوامها بدوامه ○ والشيء لا ينسب الى الفاعل لعدمه السابق
فان العدم السابق ليس بفعل الفاعل لوجوده الممكن وقدرة الفاعل
في وجوده على ما يجب به دليا اتم مما يجب به وقتا ما واذا حصل الفاعل
ولم يحصل الفعل فهو متوقف على شيء منتظر هو شريك الفاعل
فقال هؤلاء لا شريك لله في صنعه ومن اشرك فقد كفر وقد ورد
في التنزيل الله لا اله الا هو الحي لا مدخل في وجوده لغيره الحي القيوم
وقيوميته لذاته فيكون دائما له فيدوم قيام الاشياء به والا
لم يكن قيوما في اوقات معدودة لا غير والقيوم تتضمن المبالغة
للاشارة الى قيامه واقامته ودوامها به وهذا واحد من المثنى
والثاني من المثنى قوله شهد الله انه لا اله الا هو شهد الله شهادة
هي علمه بذاته ولوازم ذاته التي لا ترتد على ما هيته وهو بعينه حيوته
لا اله الا هو سلب المعاون وجزم به سببيته قائما بالقسط
دوام وجوده بكمال قيوميته ويشهد به مثنى آخر وهو قوله
ولن تجد لسنة الله تبديلا لعدم تغير في ذاته وما تقتضيه هويته
ولن تجد لسنة الله تحويلا اذ لا سبطل لقيوميته ومثنى آخر خالدين

فيها ما دامت السموات والارض يثنيه مثله عقيبه ومثنى
آخر وهو قوله ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره وامره
وامر دائم والامر الدائم لا تغير يثنيه قوله ان الله يمسك
السموات والارض ان تزولا ذلك لكمال قيوميته وجلال قدسه
وذلك لفور قدرته وسعة جوده وسبوق رحمته ما يبدل القول لدي
اشارة الى استحالة تغير اقتضائه يثنيه قوله لا تبديل لخلق الله
فهذا يشير الى اقتضائه تعالى والواحد من جميع الوجوه
لا يقتضي الا واحدا لانه لو اقتضى شيئين فاحدهما غير الآخر فاقتضاء
احدهما غير اقتضاء الآخر بعينه فجهة الاقتضاء يختلف فيه
فيلزم فيه جهتان مختلفتان لتختلف اقتضاءاهما فيه تركب ذاته
وقد فرض واحدا من جميع الوجوه ونحن انما نكثر افعالنا لتكثر
ارادتنا واغراضنا وبارادة واحدة واعتبار واحد لا تحصل عنا
الا شيء واحد مع تكثر الجهات فينا فالواحد الحق الاول اولى بما
يجب به شيء واحد ليس بجسم فانه يحتاج الى صورة وهيأت من الاشكال والمقدار
فهي امور كثيرة وقد قلنا ان ما يجب به واحد وليس بنفس فان النفس
يلزم ان يكون لجسم تدبره فيلزم كثرة في الاقتضاء فاول ما يجب
بالاول
جوهر واحد اي مجرد عن المادة وعوارضها والتصرف فيها وهو ما
يسمونه العقل الاول والمعلول الاول وقد ورد في التنزيل ما

بدل

يدل على ان المعلول الاول مستعل على كل من دونه حيث يقول
والسموات مطويات بيمينه والشمس المقدس جوهر عقلي
ويثنيه قوله يدالله فوق ايديهم ومثنى آخر قوله تعالى
تبارك اسم ربك يثنيه قوله سبح اسم ربك الاعلى
واسم الحق المتعالي ليس بصوت فانه ليس بسبح له بل يسبح به
وقوله تعالى تبارك الله بيده الملك ووصفه بذلك يدل على انه
حي سماه قبل لذاته وما امرنا الا واحدة يشير الى اقتضاء الوحدانية
بصيغة المبالغة يثنيه قوله كلمح بالبصر اشارة الى عدم تاخر
الاقتضاء عن ذاته المقدسة وقال رسول الله صلى الله
صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله العقل وهذا العقل الاول
له وجوب بالحق الاول وامكان في ذاته ووجوبه بالحق الاول
اشرف من امكانه بنفسه فهو غني بالاول فقير في ذاته فتختلف
جهة اقتضائه بما يعقل من نسبته الى الاول ومن امكانه فبالجهة
الاشرف يقتضي شيئا اشرف وهو جوهر آخر عقلي وبجهة
امكانه يقتضي شيئا اخس وهو جسم فلكي ومن العقل الثاني ايضا
يحصل بالجهة الاشرف جوهر عقلي وبالاخس جرم ومن الثالث
ايضا كذا حتى تكثر عقول وافلاك والمناجزون يرون ان عدد
العقول عشرة تسعة منها هي التي تقتضي الافلاك التسعة على الترتيب

وواحد للعالم العنصرى والحق انها كثيرة جدًا كما ورد المشى
فى التنزيل وما يعلم جنود ربك الا هو تنبيه قوله وخلق
ما لا تعلمون واعلم ان النفوس الناطقة وان كانت تشترك
فى انها غير جسمية ولا تشار اليها ولا منقسم فى الحس ولا فى الوهم لانها
برية عن المقادير الا ان النفس تتصرف فى الجسم والعقل لا تتصرف
فى الاجسام فالعقل هو جوهر مجرد عن المادة من جميع الوجوه والنفس لها
تصرف وعلاقة مع الاجسام وقد ورد فى التنزيل فالسابقات سبقا
يعنى المفارقات من جميع الوجوه فالمدبرات امرا يعنى الجواهر المفارقة
المدبرة للاجرام وهى النفوس ○ والعقول فعالة كما ورد فى التنزيل
مثنى والسماء بنيناها بايد تثنيه قوله انا خلقنا لهم مما عملت
ايدينا انعاما فالحق الاول له يد فعالة لا جوارح جسمانية
بل ذوات عاقلة روحانية فعالة بامره فاعلم اذا وجد الممكن
الاخس فيجب ان يكون الممكن الاشرف حصل قبله فان واجب الوجود
ان اقتضى بجهة الوحدانية الاخس وترك الاشرف فاذا فرض
الاشرف موجودا استدعى جهة اشرف مما عليها واجب الوجود
ومحال ان نتوهم او نعقل اشرف من واجب الوجود والاشرف
يجوز ان يعطى ما هو دونه والاخس لا يمكن ان يعطى ما هو اشرف
منه فوجب بالاول الاشرف وبواسطة الاشرف الاخس

ولا يمكن

ولا يمكن ان يكون الوجود اتم واكمل مما هو عليه كما ورد فى التنزيل
صنع الله الذى اتقن كل شئ اشارة الى النظام المحكم بتشبيه
قوله ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت تشير الى المناسبة
المحفوظة والنظام المضبوط لم يوجد شئ معطل ولا عرى عن آثار
العناية والوصول الى الكمال اللايق به ○ والاول وان كان
لفعله وسائط فهو الفاعل المطلق والمبدع المطلق ليس لغيره
رتبة الابداع فالاشياء وسائط لا مبدعات وتلك الوسائط
ايضا تنتهى اليه فاعلم الجسم المتحرك على الاستدارة لا تتصور ان يكون
حركته طبيعية فان الجسم لا يتحرك طبعا الا بلائم بل الى ما يلائم حتى ان كان
الجسم على جميع ما يلائمه من الاحوال لا يتحرك اذ لا مرجح لحركته من طبعه واذا
وصل الجسم المتحرك الى مطلوبه الطبعى وقف والجسم الذى حركته دورية
كل نقطة تقصدها تفارقها فان كانت غير مطلوبة فلم تقصد وان كانت
مطلوبة فلم فارق ومحال ان يصير مرغوب طبيعة واحدة بعينه مهروبا
فالمحدد والافلاك حركتها ارادية فلها حسوة وادراك فهى ذوات نفوس
وكل متحرك بالارادة فله غرض تحرك لاجله ولولاه ما ترجح وجود الحركة عنده
على عدمها فالافلاك لها اغراض فى حركاتها وليس غرضها امرا جزئيا يقف عنده
لانها لو وجدت او قفت لوقف على التقديرين فما دامت حركتها
وستبرهن على دوام حركتها فاذن لها ارادة كلية وايضا غرضها

ليس حيوانيا فانه لا نموّ لها ولا تغذّى لها اذ لا تقبل التحلل والحركة المستتبعة
والكون والفساد فلا شهوانية لها ولا خوف ولا مزاحمة فلا غضبية لها
والاغراض الحيوانية بما هي حيوانية لا تخرج عن هذين فلها مراد عقلي
وارادة لامر عقلي فلها نفس ناطقة تدرك المعقولات واذا كانت اجرامها
اشرف من اجرامنا ففوسها اشرف من نفوسنا واقوى ونحن مع
سوء اغذائنا ونزوعنا الى اللذات البدنية اذا طهرنا نفوسنا وقللنا
اتباع الشهوات وتفكرنا في الملكوت ولطفنا بمطالعة عجائب النسب الروحانية
لم نلبث حتى نجد البارقات الالهية تومض لنا والانوار القدسية تشرق
علينا ونجد من ذلك لذة لا تشبهها لذة والنفوس الفلكية لاشاغل لها
عن عالمها اصلا من شهوة وغضب ولو تبدلت ارادتها كارادتنا
لاضطربت حركاتها كحركاتنا فهي مستغرقة في النور الالهي واللذة القدسية
وتنبعث عنها حركاتها الدائمة على سياق واحد لا تغيير وليس مطلوب
جميعها على وتيرة واحدة والا ما اختلفت حركاتها وليس بعضها يشبه
ببعض وليست تشبه شيئا واحدا والا لاتفقت حركاتها والسائل
ليس له عندها من القدر ما تتحرك لاجله على الدوام فلكل واحد معشوق
قدسي يتشبه به نفسه وتقتبس منه النور الدائم واللذة المتوالية
اذا اشرق عليه النور اوجب حركة والحركة تستدعي اشراقا آخر
فالاشراق متواصلة والحركات بها متتالية كما قال الصوفي اذا تغيبت

بدا وان بداء غيبني فلكل واحد معشوق خاص وهو العقل الخاص بها
المفارق الذي هو ظله وطلسمه ومنه وجوده وكماله ولاجل ذلك اختلفت
حركاتها وللجميع معشوق واحد هو نور الانوار واجب الوجود ولاجل ذلك
تشابهت حركاتها في الدورية والافلاك هي بالفعل لا من جهة الوضع فانها
لو بقيت على وضع واحد بقيت سائر الاوضاع بالقوة ولما لم يتصور
اخراج جميعها الى الفعل دفعة اخرجت على سبيل التعاقب ٥
وكما ان نفسك اذا تاثرت بالنور المبرق انفعل من ذلك بذلك للعلاقة
حتى ربما تتادى الى رقص وتصفيق فنفس الفلك اذا انفعل باللذات
القدسية والاشراقات سفعل عن ذلك بدنها بالحركات المناسبة الراسخة
للخير الدائم تشبها بالعالي لا التفاتا الى السافل فسبحان من وهب
الحيوة للعالمين وحرك في عشق جلاله هياكل المقدسين واقام باشواق
الدائرات المنظام العجيب والخطب العظيم والامر الحكيم قال الاصباح
وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم
ويدل على لهاعة السماويات لما فوقها مثنى من التنزيل وهو قوله والشمس
والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر والامر ليس الا المجرد
عن المادة يثنيه قوله والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان
في ذلك لآيات لقوم يعقلون ويعتبرون الآيات والعجايب فاعلم
اذا حدث الشئ فلا بد من حدوث موجه لجميع اجزاءه او بعضها

والا لدام واذا لم تخلف المعلول عن علة وهو حادث فهي حادثة
ثم يعود الكلام الى العلة المرجحة الحادثة واما ان تسلسل علل حادثة
واقعة معا الى غير النهاية وهو محال لما برهنا ان جميع الاسباب تنتهي الى
واجب الوجود بذاته او يكون علل غير متناهية لا تجتمع وهو المتعين
فكل حادث فكل حادث يستدعي ان يكون قبله حوادث لا يتناهى
متعاقبة لا تنصرم والا عاد الكلام عند الانصرام والحوادث التي
يصح فيها ان لا تنصرم ابدا هي الحركات الدورية فان الحركات المستقيمة
لها انصرام لما سبق فان قيل كيف يصح ان تكون الحركة المتقدمة
علة للمتاخرة والمتقدمة لا بقى عند وجود المتاخرة اجاب
بان النفوس المحركة للسماويات لها ارادة كلية ثابتة لحركة دائمة
لغرض دائم الوصول وارادة جزئية من نقطة الى اخرى فالارادة الكلية
مع الوصول الى النقطة علة لارادة الحركة منها الى غيرها والارادة
علة الحركة والحركة علة الوصول الى الغير فلا زال الوصول مع الارادة الكلية
علة الارادة الجزئية والارادة الجزئية علة الحركة والحركة علة للوصول
وينضبط الكل بارادة كلية لا تنصرم ولا يتوقف ارادة جزئية على نفس
حركة توقفت عليها وان توقفت على اخرى من نوعها فلا دور ممتنع
فصح ان الحركات السماوية لا تتصور انصرامها وبدل دوامها على دوام
السماويات وتنزهها عن الكون والفساد والعقول التي هي المجردة

عن علائق الاجسام من جميع الوجوه لا تغير ولا اذى تغيرها
الى تغير واجب الوجود والحوادث انما تحصل من المفارق لتجدد
استعداد القوابل لا لتغير الفاعل ويجوز ان يكون الفاعل
غير متغير يحصل منه شئ في قابل بعد ان لم يكن لا لتغيره بل لان
استعداد القابل كان جزء السبب وما كان يحدث تم السبب
فوجد الشئ ويجوز ان يحصل عن فاعل واحد آثار مختلفة لا لاختلافه
بل لاختلاف القوابل كالشمس يبيض الثوب المقصور وتسود وجه
القصار والمفارق من جميع الوجوه انما يصح ان يكون محركا غير متحرك
لانه يحرك بالعشق والتشوق كالمعشوق الذي يتحرك العاشق اليه
وفرط عشقه وهو غير متحرك فقد حرك من غير ان يتحرك

النوع الرابع في النظام والقضاء والقدر وبقاء النفس والسعادة والشقاوة واللذة والالم النفوس وفيها فوائد وقاعدة

اعلم ان الرحمة الالهية تلائم بحيث ان تفيض على حد يسقى وراءها الغير
المتناهي على الامكان الذي لا يخرج الى الوجود وحدث هيولى ذات
قوة القبول الى غير النهاية كالفاعل قوة الفعل الى غير النهاية وكان
لا بد ايضا لتجدد الفيض من تجدد امر ما فوجدت اشخاص فلكية
دائرة لاعراض علوية يتبعها استعداد غير متناه ينضم
الى فاعل غير متناه قوة الاثر وقابل غير متناه قوة الانفعال فينفتح

نزول البركات وربح الخير الدائم ازلا وابدا ويحصل الفيض
على القوابل بحسب استعداداتها اذ الواهب لا تغيير فيه
ولما كان اشرف الحوادث وما تعلق بالهيولى النفس الناطقة و
لم يكن خروج الممكن منها دفعة دون الابدان لانها غير متناهية
وجهات اقتضاء العلل متناهية لما تبين من نهاية سلسلة العلل
ولامع الابدان لوجوب تناهي الاجسام فبحسب الادوار والاستعدادات
المتعاقبة الغير المتناهية تحصل نفوس ناطقة غير متناهية قرنا
بعد قرن ليتم الازل بالابد ولا تصير نعمة بترا كما ورد في التنزيل
وما عطاء ربك محظورا يثنيه قوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
ودل على سبب النهاية عن النفوس بحسب دوام الفيض يثنى
من التنزيل وهو قوله لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي يثنيه
قوله ما نفدت كلمات الله والكلمة في التنزيل يعني الجوهر المفارق
العاقل من الانسان ويشهد بهذا يثنى قوله في حق المسيح عليه السلام
وكلمته القاها الى مريم وروح منه وقوله اليه يصعد الكلم الطيب
والا صعود الى الحق الاول بغير الجوهر الباقي ويثنى انه الصعود
قوله تعرج الملائكة والروح اليه فقد يثنى العروج الصعود ۞
ومن آثار رحمته وضع الارض في الوسط فلو كانت عند الفلك
لاحترقت بتسخن حركة الفلك ولو جاورت الفلك غير النار وكانت النار

في حيز آخر لتسخن بحركته وصار نارا فانفصلت العناصر عن النار
ولما كانت الجمادات الارضية ذوات آلات التحرك والادراك
محتاجة الى عناية العنصر اليابس وغلبته اذ به تحفظ اشكال الاعضاء
وصور المدارك جعل مكانها عنده في الوسط وما احاطها الماء
لحاجتها الى التنفس ووضع عند النار ما بينا سببها في الحر وعند
الارض ما بينا سببها في البرد وكان الماء له مع الهواء مناسبة الميعان
فوضع عنده ۞ ولو كانت الافلاك كلها نورية لا احترقت بالشعاع
ما دونها ولو كانت عرية عن النور لعمت الظلمات ولو كانت انوارها
ثابتة لاحترق ما يقابلها وحرم عن النور ما لم يقابل ولو كانت لها
حركة واحدة للازمت دائرة واحدة غير واصل اثر الشعاع الى النواحي
فجعل لها حركة سريعة تابعة لحركة الكل وحركات اخرى بطيئة
يميل بها الى النواحي جنوبا وشمالا وانظر كيف وصلت رحمته وحكمته
الى كل شئ كما اشار التنزيل بالمشتى وهو قوله ورحمتي وسعت كل شئ
يثنيه قوله ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما وكيف قدر الاشياء
على حسب استعداداتها ووهب لها ما يلايمها من الكمالات كما
يشهد به المشتى وهو قوله وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله
الا بقدر معلوم يثنيه قوله انا كل شئ خلقناه بقدر وانظر
الى النبات لما كان اخس نفسا كان منكوس الراس وهو اصله الذي

الذى فى الارض اذا قطعت بطلت قواه والحيوان غير الناطق
لما كان اتم منه صار راسه من المنكس الى التوسط ولكنه ما استقام
والانسان لما فضل عليهما بالنفس الناطقة صار راسه الى السماء
وانتصب قامته كما تشهد به المثانى ولقد خلقنا الانسان فى احسن
تقويم من امر نفسه واعتدال مزاجه وتناسب صورته بثنيه
قوله وصوركم فاحسن صوركم بمعنى آخر وهو قوله ولقد كرمنا
بنى آدم بما يختص به من النفس الناطقة الباقى جوهرها الآمن من
العدم والفساد المستعد للفضائل وحملناهم فى البر
اى مداركم الحسية والبحر اى مداركم العقلية ورزقناهم من
الطيبات اى من العلوم اليقينية والمعارف الحقيقية وفضلناهم
على كثير ممن خلقنا تفضيلا بمزيات ظاهرهم من تناسب صورهم
وباطنهم باعتدال المزاج وباطن باطنهم من القوى المحركة والمدركة
التى زاد بها على الحيوانات الارضية ومن سوانا ة احوال شهوته
وغضبه وتخيله وتفكره وباطن باطن الباطن من نفسه وعقله
النظرى والعملى وانما خصص بكثير ممن خلقنا لانه لم يفضل على المفارقات
من جميع الوجوه والاشخاص الكرة العلوية بثنيه
واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة من المدارك العقلية وانظر الى
الحيوانات كيف اعطاها ما تحتاج اليها وهداها حتى ان النحلة

من الصور والمدارك الحسية

اول ما تولد

اول ما تولد تعتمد الزرع وتحرز من الجب وانظر الى الهام النحل
ومسدسانه ونسج العنكبوت ومثلثاته ومحاب الحيوانات كما
اشار اليه التنزيل وهو قوله اعطى كل شئ خلقه ثم هدى بثنيه
قوله الذى فهدى وانظر انه كيف جعل لكل شئ كمالا وجعل له شوقا
وعشقا اليه للطبيعى بحسبه وللارادى بحسبه وكيف اقام الوجود
وحفظ النظام بعشق جلاله فلولا عشق العالى لانطمس السافل

قاعدة الحق الاول لا يجب عليه شئ البتة اما عن غيره ولكن يجب
اشياء وهو الغنى الملك المطلق والجود المطلق الغنى المطلق المطلق و م
هو الذى لا تتوقف ذاته ولا كمال ذاته على غيره والفقير هو الذى
تتوقف منه اما ذاته او صفة كمالية على غيره ولما علمت ان الممكنات
كلها مفتقرة الى واجب الوجود فلا غنى على الاطلاق الا واجب الوجود
ولا يصح وجود غنيين مطلقين اذ لو دخل احدهما تحت قدرة الآخر
واذا لم يدخل فقد عدم الاولى فهو فقير عادم لما هو الاولى فالغنى
المطلق واحد وما سواه فقير كما ورد فى التنزيل مثنى وهو قوله
ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغنى عن العالمين بثنيه
ومن كفر فان الله لغنى عن العالمين ومثنى آخر قوله وربك الغنى
ذو الرحمة بثنيه قوله والله غنى وانتم الفقراء ومن البين ان
الالف واللام فى المحمول حصر للمحمول فى الموضوع ٥ والملك المطلق

هو الذى له ذات كل شئ وليس ذاته لشئ ولا يصح ان يكون مكذا
الا واجب الوجود ويشهد به مثنى من التنزيل وهو قوله قل
اللهم مالك الملك يثنيه قوله ولله ملك السموات والارض
انظر كيف يشبه بدنك الى مجموع العالم العنصرى وكيف يشبه
العالم العنصرى الى العالم الاثير فان اصغر كوكب من الثوابت
اكبر من الارض مرارا كثيرة وانظر كيف صارت الجرمانيات فى
حيز قهر النفوس والنفوس مقهورة تحت شعاع العقول
والعقول فى حيز قهر العقل الاول والعقل الاول فى نور التوحيد
والشعاع القدسى الواجبى يستغرق خاضع لهويته ازلا وابدا
منطمس فى شعاع جلاله كما قال سبحانه وتعالى والله غالب على امره
يثنيه قوله والله من ورائهم محيط ومثنى آخر قوله يخافون
ربهم من فوقهم يشير الى ما وقع عليهم من هيبة الحضور فى
المحل الشاهو الالهى تحت شعاع القيومية ويفعلون ما يؤمرون
اى هم متوسطون فى وصول الفيض يثنيه قوله وهم من خشيته
مشفقون ومثنى آخر وهو قوله وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم
الخبير يثنيه وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة
والعقل الاول يده المقدسة وتحت قهر ابداعه جميع الملك
اى عالم الاجرام والملكوت اى عالم المفارقات ويشهد به مثنى

فى التنزيل وهو قوله تبارك الذى بيده الملك اى تحت حكم شعاع
نور الاول ويثنيه قوله بيدك الخير ومثنى آخر وهو قوله سبحان
الذى بيده ملكوت كل شئ يثنيه قوله قل من بيده ملكوت كل شئ
وملكوت كل شئ هو الروحانى الذى يكون ذلك الشئ كالكل وضم له
كما ورد فى مثال الانبياء ان لكل شئ ملكا فقد سبق ان مبدعات
الحق ينقسم الى الجسمانيات والى مفارقات عن الاجسام التى لا تشار
اليها وهى النفوس والعقول التى تعقل ولا تحس كما ورد فى التنزيل مثنى
وهو قوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون يثنيه قوله
الاله الخلق والامر فالخلق كل ما له مقدار ومساحة وهو عالم الاجرام
والامر ما لا حجم له ولا مقدار له وهو المفارق فالمفارق هو ما لا يبصر
ولا يحس كما جاء مثنى وهو قوله فاطر السموات والارض عالم
الغيب والشهادة الكبير المتعال وفيه مثنان كثرة والغيب
ما لا يحس ولا يشار اليه ثم المفارق ينقسم الى عقل ونفس
والعقل ممد للنفس بنوره وبهائه والنفس مدبر الجسم وهاديا الحق
تعالى اى واسطتا فيضه ويشهد بهذا مثنى وهو قوله بل يداه
مبسوطتان اى غير ممنوعتين من الفيض ولا مقطوعتى الاثر سفق
كيف يشاء دائم جوده متواصل رحمته يثنيه قوله لما خلقت
بيدى اى النفوس السماوية بتحريك اجرامها الى هيئة التاثير فى

تيسير التركيب والتحلق والعقل المفارق بعض هيئاته ونفسه
المدركة ○ ثم النفوس تنقسم الى نفوس متصرفة في السماويات
ونفوس متصرفة في الارضيات ويشهد بهذا من التنزيل شيء
وهو قوله ولله جنود السموات والارض من محركي هياكلها
يثنيه مثله عقيبه ولما كانت الهياكل الارضية كائنة فاسدة
واعدلها المزاج الانساني وهو مع ذلك واقع تحت الكون والفساد
سمي في التنزيل ضعيفا كما ورد فيه شيء وهو قوله خلق الانسان
ضعيفا يثنيه قوله وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه
وهي هيآت الحركات المقربة والمبعدة للعالي اي العقول وسميت
بذلك لضعف وجود الحركة لعدم تصور ثباتها لا يستنقذوه منه
اي لا يقدروا ان يستخلصوا ما سلبت عنهم الحركة المبعدة عن فوز العقول
ضعف الطالب والمطلوب ولما كانت السموات تامة الصور
مباينة عن الفساد سميت شدادا كما ورد مثنى في التنزيل وهو قوله
وبنينا فوقكم سبعا شدادا يثنيه قوله عليها ملائكة غلاظ شداد لجرمتها
لثبات صورها وعدم انفعالها مما تحتها لا يعصون الله ما امرهم
لاستحالة التفاتهم الى ما تحتهم ولعدم شواغلهم ويفعلون ما يؤمرون
ذكره بلفظ الجمع بعد ذكر ما امر الله اشارة الى طاعة النفوس المعشوقة فانها
العقلية ويثنى قوله ويفعلون ما يؤمرون قوله مطاع ثم امين
ويثنيه

يدل على ان في المفارقات مطيعا كعالم النفس ومطاعا كعالم
العقل ويدل على دوام ايثارهم وعدم انقطاع ما هم بسبيله
من الحركة الراسخة في التخير والشوق الدائم والعشق الثابت
مثنى وهو قوله فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له
بالليل والنهار وهم لا يسأمون العندية اشارة الى سلب الخير
عن النفوس وعدم شواغلها التسبيح ودوام طاعتها لثبات
اشواقها وتعاقب اشراقاتها قوله لا يسأمون يدل على عدم ملالها
وانتفاء كلالها وان مددها من العالم الاعلى غير متناه يثنيه
قوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون يشير الى دوام تحركاتها
لتعاقب التشوقات العقلية هذا ثنى الاول من جهة عدم الفترة
ومن جهة العندية يثنيه قوله ان الذين عند ربك لا يستكبرون
عن عبادته قاعدة الشر لا ذات له على ما هو مشهور بل
حاصله يرجع الى الاعدام فالوجود من حيث هو وجود خير ما لم يؤد
الى عدم كمال الشيء كانتفاء حدة زيد او زوال صحته او تعرض اتصاله
الذي به الالم والعدم بما هو عدم لا ينتسب الى الفاعل الا بالعرض فالشر
لا ينتسب الى الفاعل الا بالعرض فلا يحتاج الى فاعل آخر كما ظن ملحدة
المجوس كيف وقد دريت ان لا واجب في الوجود الا واحد والامور التي
ليس فيها شر من وجه ما هي التي لا ينتفي عنها كمال كذوات العالم الاعلى

وفى الاجسام خير كثير يلزمه شر قليل لا تحوز رحمة المبدع اهماله
لان فى ترك خير كثير لشر قليل شرا كثيرا كالنار فانها منافع كثيرة
وان كان يلزم منها احيانا حرق ثوب فقير فان قيل لم خلق هذا القسم
برا بريئا عن الشر نجاب بان هذا السوال فاسد فكانه قال
لم ما جعل الماء غير النار وللنار غير الثمار فاهمال الخيرات والمصالح
الكلية الجزئى لا يجوز الم ترى ان الحكمة توجب قطع عضو لسلامة جسد
ولك ان تعلم ان المبدع الاول لم يفعل الا شيآ لغرض لان كل فاعل لغرض
انما يفعل لان ذلك الغرض اولى به والا لم يترجح فعله على تركه وما هو الاولى
بشئ يستكمل به وتركه يكون نقصا له فهو فقير الى الفعل وواجب الوجود
لا يمكن فيه جهة فقر واستكمال بالصنع فان قيل انما تفعل الاشيآء
لان الخير حسن فى نفسه نجاب بان الشئ وان كان حسنا
فى نفسه ما لم يكن الاولى عند الفاعل والاحسن ان يفعله لا يفعله
فالاول غنى عن الاشيآء والجود افادة ما ينبغى لا لغرض فمن اعطى
ليحمد او يشكر او ليتخلص عن المذمة فهو معامل لا جواد فالحق تعالى
لا غرض له فى الصنع والاشيآء ما لم يلزم لا يكون والعالى لا يعمل للسافل
وانما طول حديث البشر من ظن ان حركات الافلاك وسلاسل الاسباب
كانت لمصلحة الانسان وترقيه زيد وعمرو بل هذه لوازم ممن لا يلتفت
اليها وقد اشرنا الى ان الوجود لا يصح ان يكون اتم مما هو عليه

لا غرض له فى السافل

والممتنع

وقد ثبت فضله

والممتنع غير مقدور ولو كان للبارى غرض ما ثبت فضله كما ورد
المثنى وهو قوله ولكن الله ذو فضل على العالمين بتثنيه قوله
ذو الطول لا اله الا هو اليه المصير ولبس ان البارى الاول تعالى
مشتغل الذات بان يحيى ارملة او يهمل يتيما رضيعا بامانة
مرضعية او بيتك ستر ذبابة ستنزل هى لوازم مقدرة لحركات
كليه كما شهد به مثنى من التنزيل وهو قوله وكل شئ عنده بمقدار
بتثنيه قوله وابتنا فيه من كل شئ موزون فموازين الحوادث
حركات السموات وحركة الحق منزهة عن الظلم كما ورد به المثنى
وهو قوله وما ربك بظلام للعبيد بتثنيه قوله وما انا بظلام للعبيد
وتمام دل ان للحركات مدخلا فى الحادثات مثنى من التنزيل وهو قوله
لكل امة اجل اذا جآء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون
والاجل بحضور الوقت وهو الزمان والزمان بمقدار الحركة
فاشترطت الحادثات بالحركات بتثنيه مثله غير ان اذا
تقترنه فيه بالفآء فان قيل ان كان الكل بالقدر فلماذا يعاقب
من ابلاه القدر بالخطيات نجاب بان العذاب ليس
لان الاول المتعالى عن سمات الحادثات يتسلط عليه الغضب
كالملك الجابر بل يعذبهم بهيآت فى نفوسهم ساقتها اليهم العذر
كمن ادنى نعمته السابقة الى مرض وقد شهد بهذا مثنى وهو قوله

يعجزهم وصفهم يأتون ويعاقون بصفات انفسهم كالمريض
المفرط تعذب بافراطه يثنيه قوله جزآء وفاقا اى يوافق
مكاسبهم ومثنى آخر وهو قوله واحاطت بهخطيئته تثنيه قوله
وان جهنم لمحيطة بالكافرين اى الشواغل الهيولانية والوذائل الحسآنية ○

فاعلم في بقاء النفس لما تبين لك ان اجزآء البدن تتحلل
وتتبدل والمدرك منك ثابت فلو كانت النفس تبطل ببطلان الجسد
لبطلت عند التبدل الاول فان علاقتها مع الروح وهو ابدا في التحلل
وليست النفس ذات مكان او محل لتكون لها مزاحم او مضاد يبطلها او
يغير استعداد المحل فتبطل وليس بينها وبين البدن الا علاقة شوقية
وهي اضافة والاضافة اضعف الاعراض فانه ينتقل على عينك الى اليسار ك
ويتبدل اضافتك اليه دون تغير في ذاتك فان كانت النفس تبطل ببطلان
البدن لكان اضعف الاعراض مقوما للجوهر وهو محال ولما كان المفارق
الذي هو علتها دايما وليست ذات محل فتبقى ببقائه ومن الدليل على بقائها
من التنزيل مثلان منها قوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
امواتا بل احياء عند ربهم احياء بذواتهم المدركة عندهم بالتبري
عن الحيز وانتفاء الشواغل الجسدية مرزقون الانوار الالهية الشاغل الحسدى
فرحين بما آتاهم الله من فضله من اللذات العلوية والبهجة القدسية
يثنيه قوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله امواتا بل احياء ولكن

لا تشعرون

لا تشعرون ومما ورد المثاني في عودها قوله الى ربك يومئذ المستقر
تثنيه قوله الى ربك يومئذ المساق ومثنى آخر قوله ارجعي الى ربك
راضية مرضية يثنيه قوله وان الى ربك الرجعى فاعلم ان
النتائج محال فان النفس لو انتقل بتعرفها الى بدن آخر من جنس بدنها
لكان لصلوح مزاج البدن المتأخر لتعرف النفس فيستحق من مواهب الصور
نفسا اخرى وينتقل اليها نصف فصل للحيوان الواحد نفسان مستنسخة
وقابضة وهو محال وايضا ان نزلت من الانسان الى الحيوانات فتفضل
الابدان على النفوس المستنسخة وان صعدت منها الى الانسان ازدادت
النفوس على الابدان وكل ذلك محال فاعلم ظن العامة ان لا لذة
غير الحسية ولم يعلموا ان لذة الملائكة بشهود جلال الله ابهج والتم من لذة
البهايم باكلها وشربها فاعلم ان اللذة هي ادراك ما وصل من كمال المدرك
وخيره اليه اذا لم يكن مضادا ولا شاغلا ولكل من المشاعر لذة والم بحسبه
فللبصر ما تتعلق بالمبصرات فلذته فيما يلائمه منها والمه فيما لا يلائمه
وللشم ما تتعلق بالمشمومات وللذوق في المطعومات وللشهوة
ما يحسبها وللغضب ما يحسبه من القهر والغلبة فلكل واحد من هذه
لذة تخصه بما يلائمه والم بما لا يلائمه حتى ان التذاذ الشم تخصه برآئحة
طيبة والمه برائحة كريهة لا تدرك فيها السمع والبصر وكمال الجوهر العاقل
منوط بالانتقاش بالحقائق ومعرفة الحق وعجائب ملكوته وملكه من جهة

علاقته مع البدن بان يستولى على القوى البدنيه ولا تستولى هى عليه وان
تكون شهوته وغضبه وفكره فى تدبير الحيوة على الاعتدال وعلى ما ينبغى
الرأى الصحيح ونقصه فى الجهل وتسلط قوى البدن عليه وكما
ان النفس اشرف من القوى البدنيه فمقوماته ومدركاته من حيث الحى الاول
وملكوته اشرف مما يدركه الحواس مما لا يتقايس فلذته اتم من لذة الحواس
ايضا مما لا يتقايس وانما لا يلتذ العالم ولا تتم الجاهل للشواغل
البدنيه كالسكران الطافح يزوره معشوقه فلا يلتذ ويشتهى العدو
ويضربه فلا يتالم فاذا افاق عظم المه وقد ينكر البدنيون لذة الروحانيات
لانهم ما ذاقوا كالعنين ينكر لذة الوقاع فاذا ارتفع شواغل البدن
تلذ النفس العارفه بمشاهدة الملكوت وباشراق انوار الحق وقد
جاء فى التنزيل مشيرا يدل على الحضور القدسى وهو قوله وجوه يومئذ ناظرة
الى ربها ناظرة يشبه قوله فى معقد صدق عند مليك مقتدر العنديه
يرفع الحجب البصر بشروق النور والبهجة القدسيه النظر بتجلى الحق الساطع
كما شهد به المثنى من التنزيل وهو قوله لهم اجرهم ونورهم يشبه قوله
يسعى نورهم بين ايديهم وقد نالت اقصى مطالبها كما اشار اليها المثنى
وهو قوله لهم فيها ما يشاؤن من اللذات الروحانيه يشبه قوله
فيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين من الانوار الربانية والاشعة
القيومية وهى قوله وتلذ الاعين قوله فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين

من جهة

من جهة العين ومن جهة الاخفاء يشبه قوله ولقد علمتم النشأة الاولى
تشير الى ولادة الانسان الصغرى معروفة والكبرى الموت اخفى لهم
بالامثال والرموز وبما امتنع عليهم الاحاطة بكنهه فلك لذة لا يشبهها
لذة وبهجة لا تشبهها بهجة وسعادة موبدة ومملكة مخلدة فى
جوار الله والروحانيين من انواره وقد اكتسب النفس لباس العز والبهاء
والسنا وتسربلت بسربال الشرف والجلال تالهت بقدس الله
فتقطعت ووصلت الى ايها المقدس فاولها واكرمها ودعاها
فدعته فلبتها ولا تجد النفس روح الحيوة الحق الا بعد مفارقة
ظلمات البدن كما اشار اليه المثنى من التنزيل وهو قوله وان
الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون يشبه قوله فاما ان كان
من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم من ماء حيات المعارف
القدسيه والمشاهدة العقلية واللذة السرمدية والحى الاول
اشد بستجه بذاته لانه اشد الاشياء كمالا واشد ادراكا للكمال فهو
عاشق لذاته فحسب ومعشوق لذاته ولغيره وبعد عشقه ولذته
عشق المقربين ولذتهم به واما الاشقياء فيتالمون بجهلهم المركب
وهو عدم اعتقاد الحق مع اعتقاد نقيضه والجهل البسيط هو عدم
اعتقاد الحق فحسب فالجهل المركب لا خير له كما ورد به المثنى من التنزيل
وهو قوله ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى يشبه قوله

فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
وتتالمون بعذاب البعد والحجاب عن النور الاول والحيرة
وسلب الالات والهيآت الردية كما جاء في المثنى وهو قوله
كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
يثنيه قوله تعالى ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا
يزكيهم وتتالمون بشوقهم الى الابدان ولذتهم وهم ممنوعون عنها
كما ورد به المثنى وهو قوله وحيل بينهم وما يشتهون مما فعلوا
وتعودوا به يثنيه قوله وتقطعت بهم الاسباب سبلت قوامهم
فلا بصر يرى به النور ولا سمع فيسمع به صفير صافر ولا رجل
تخلص فتظهر لهم ما لم يحتسبوا كما ورد به المثنى وبدا من الله ما لم يكونوا
يحتسبون يثنيه قوله وبدا لهم سيآت ما عملوا فاعلم
فان قيل كيف تمتاز النفوس عن بارئها وبعضها عن بعض بعد مفارقة البدن
يجاب بانه ليس ما بعد مفارقة البدن كما يتوهم قبلها اما النفوس
فتمتاز بعضها عن بعض بما حصل معها من هيآتها وملكاتها وما
اكتسبت من الخواص واما عن البعض المفارق والباري واجب الوجود فبا خلاف
الحقايق وان جميعها ممكن الوجود والاول واجب الوجود لذاته وليس المميز
المكان والمحل فحسب كما ظن ضعفاء العقول فان الطعم والحلاوة كلاهما في
محل واحد كالسكر ويمتاز احدهما عن الآخر بحقيقته فالعقول ونحوها يمايز

بحقايقها

بحقايقها ومرابتها وقد ورد به المثنى وهو قوله وما منا الا له
مقام معلوم من مرتبة ماهيته يثنيه قوله والطير صافات
يشير الى المجردات المتخلصة عن شبكة الابدان كل قد علم صلوته وتسبيحه
قال كيف تتصور ان يكون الباري والمفارقات غير متصلة ولا
منفصلة عن العالم ولا داخلة ولا خارجة تقال ان الانفصال لا
يقال الا على ما يصح عليه الاتصال كما ان الاعمى لا يقال الا ما يصح عليه البصر
فلا يقال الخياط اعمى ولا بصير ولا انه عاقر ولا ولود فان هذه
المقابلات لا يقال واحد منها الا على ما يصح عليه تقابله فلما لم يصح عليه
الاتصال لا يصح عليه الانفصال لانهما عن عوارض الاجسام
ولذا الحركة والسكون كما قال الصوفي لا بون ولا صلة هذا مقام لنا معنى
معاينة فاعلم النفوس من سنخ الملكوت فلو لا شواغلها
لانتقشت بالنفوس الملكوتية والنفوس الفلكية عالمة بلوازم حركاتها
وما كان وما سيكون كما ورد به المثنى وهو قوله ما اصاب من مصيبة في
الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها يثنيه قوله وعنده
ام الكتاب ومثنى آخر قوله وكل شيء فعلوه في الزبر يثنيه قوله وكل صغير
وكبير مستطر وكتاب الله لا يكون من جلد البقر والكاغد بل ما ليس بملكوتية
وهي العقول المدركة والنفوس المدبرة في صحف مكرمة مرفوعة
مطهرة عن علائقها بايدي سفرة كرام برررة

معنى الكلام

يكون

اى الروحانيين الذين فوقهم وهم تحت فهو شعاعهم يشبه قوله
الم يعلم ان الله يعلم ما فى السموات والارض ان ذلك فى كتاب ان
ذلك على الله يسير وشئ آخر قوله ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات
يعنى الروحانيات المنتقشة بجميع الكائنات يشبه قوله حكاية
عن موسى عليه السلام لما سأله السائل ما بال القرون الاولى قال علمها
عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى وورد بعلم الاول والكتاب الثانى
شئ آخر وهو قوله وما يعزب عن ربك مثقال ذرة فى السماء ولا فى
الارض ولا فى السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين
فالغرض ان الروحانيات منتقشة بجميع الاشياء وقد تتصل
بها نفوسنا احيانا كما فى النوم فيتنقش نفوسنا بنقوش الكائنات فيطلع
على الغيب لان مشاغل الحواس قلت ولولا تشوشات المتخيلة
لسهل لنا الاطلاع الا انها ايضا فى النوم تشغل فان النفوس
ان تضعف سلطانها انتقشت النفس شئ من الغيب فيكون منه
المنام الصادق والا فان المتخيلة لا تزال تنتقل من صورة الى صورة تناسبه
وتشابهه او تضاده فان رأت النفس العدو حاكته المتخيلة بالذئب
والحية وان رأت الملك حاكته بحر او جبل فاذا نسيت النفس ما رأت
وبقى فى الذكر ما سارع اليه المتخيلة فتحتاج الى تعبير فحدس المعبر حدسا
ان هذه المحاكاة عن اى شئ والانبياء والفضلاء المتألهون قد يتيسر

لهم

لهم فى اللمحة الاطلاع على اى شئ شاءوا لان نفوسهم اما قوية فى الفطرة او
تقوى بطرائقهم وعلومهم فيتنقشون بالمغيبات لان نفوسهم كالمرايا
المصقولة يتجلى فيها نقوش من الملكوت وقد يسرى شبح الى الحس المشترك
ويخاطبهم الذى يخاطبه فى اشر صورة وربما يرون الغيب بالحس المشترك
مشاهدة وربما يسمعون صوت هاتف او يقرؤون من مسطور
كل ذلك نفوس تنسوى الى التخيل ومنه الى الحس المشترك والحس المشترك
انما لا تفسه المتخيلة فى عامة الاوقات لان الحس المشترك يشغله
الحواس الظاهرة والمتخيلة تستعملها العقل فاذا اختل الضبط كما
فى المنام او غيره تسلط التخيل على الحس المشترك ولوح فيه اما صورا
جزافية كما فى اضغاث احلام او صورا هى محاكات امور قدسية فيكون
منامات صادقة او وحيا صريحا وقد تنفتح للصرع وغيره والممرورين الاطلاع
على بعض المغيبات لغلبة سوداء لهم وفساد آلاتهم وقد تشغل المستنطقون
الصبيان بامور تحير البصر وتدهش الخيال كالعدح الذى فيه الماء
او لطخ من سواد براق وغيرها فتفع لنفوسهم بعد حيرة الحواس و
ركود التخيل صورة غيبية ويطلعون على امور صحيحة

فائدة

وتعلم ان نفوسنا بالقوة اول ما يحصل ثم تحصل فيها الاوائل وتنتقل منها
الى الثوانى بواسطة توجه نفوسنا ومكملها ومخرجها من القوة الى الفعل
هو ما سماه الحكماء العقل الفعال وسميه الشرع روح القدس نسبته

الى عقولنا كنسبة الشمس الى ابصارنا وهو الروح الذى اضيف الى الحق
فى المثانى التى اوردناها من قبل كقوله فنفخت فيه من روحى واخواته
وهو واسطة وجود العنصرى وكد خداى العنصريات بامر الله
وهو الذى سقش نفوسنا بالفضائل اذا اتصلنا به كما ورد به مثنى
وهو قوله اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم وقلم الخ الاول ليس من
خشبة او قصبة بل ذات عقلى هو عقل بالفعل نسبة نفوسنا اليه
نسبة اللوح الى القلم فنفوسنا الواح مجردة وهو قلم ينقشها بالعلوم
يثنيه قوله كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ومما
يشهد بان التعلم من القدس قوله فى حق نبينا صلى الله عليه وسلم
علمه شديد القوى يشير به الى العقل الفعال الذى ايده الله بالقوة
الغير المتناهية يثنيه قوله نزل به الروح الامين على قلبك وقوله
ذو مرة فاستوى يثنيه قوله ذى قوة عند ذى العرش مكين وقوله
الروح الامين يثنيه مطاع ثم امين ومثنى آخر وهو قوله قل نزله
روح القدس من ربك بالحق يثنيه وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم
عليم وقوله علم الانسان ما لم يعلم اشارة الى خروجه من القوة الى الفعل
يثنيه خلق الانسان علمه البيان **فاعلم** فى قوله عليه السلم من مات
فقد قامت قيامته يشير الى انه انفطرت سماؤه التى هى ام رأسه
وانتثرت نجومه التى هى حواسه وكورت شمسه التى هى قلبه وعطلت

عشاره التى رجفه وزلزلت ارضه التى هى بدنه وحشرت وحوشه
التى هى قواه سيما الغضبية وكل جباله التى هو عظامه وغير
ذلك مما يشهد به مثنى من التنزيل وهو قوله ولقد جيتمونا فرادى
كما خلقناكم اول مرة اى نفوسكم التى تجردت عن آلاتها فنى عالمه وحدها
وقوله وكل آتيه يوم القيمه فردا اى فرد انية الذات يشير الى
الشاعر الدراكة **فاعلم** لما علم ان علاقة النفس مع البدن
باعتبار الجسم الذى هو الروح والروح الذى فى الدماغ نورانى
حتى ان قلت نورانيته اضطربت الحيوة وحصل المانع لها وغير
فاول علاقة النفس مع النور واول رونق للحيوة النور ولهذا ترى
سيل الحيوانات الى النور وركود الحواس وهدو الحركات فى ظلمة الليل
مفرح النفوس بالنور اشد من جميع الاشياء ٥ ونعلم ان النور
الجرمى هيئة فى الجرم فهو ظهور لغيره ونور لغيره ولو كان قائما
بنفسه لكان نورا لذاته وظاهرا لذاته وكان حيا وكل حى لذاته نور
مجرد وكل نور مجرد حى بذاته والاول هو نور الانوار لانه معطى كل حيوة
ونورية وهو ظاهر لذاته مظهر لغيره وورد فى المصحف مثنى وهو قوله
الله نور السموات والارض فنورية ظهور لذاته واظهاره لغيره
فانارت بنور السموات والارض يثنيه قوله واشرقت الارض بنور ربها
واذا كان اشرق ما فى المحسوسات النور فاظهر الانوار واتمها

مظهر نور الانوار ونوريته
الذى ينكل نوره

اشرفها واشرف الاجسام هو رخ الشديد قاهر الغشوم ملك الكواكب
رئيس السماء فاعل النهار بامر الله كامل القوى حارس المجايب شديد الهيبة
المستغنى بنوره من جميع الكواكب تعطيها ولا ياخذ منها ويكسوها
النضرة والبهاء والاشراق سبحان من صوره ونوره وفي شوق حلاله
سيتر وهو المثل الاعلى المذكور في قوله تعالى وله المثل الاعلى في السموات
والارض لانه نور انوار الاجسام كما ان الحق نور جميع الانوار العقلية وغيرها
تشبيه قوله تعالى ولله المثل الاعلى فهذا مشتق على المثل الاعلى وآية الآية
العليا الظاهر بنوره الخفي بشرفه على الجاهلين وآية الله اظهر الايات
واظهر الآيات هو الرخ الشديد فهو الآية الكبرى العلامة
الفعالة بامر الله وقد اختفى اي لم يظهر شرقه وهو سبب النهار بظهوره
والليل بخفائه والفصول الاربعة بميله جنوبا وشمالا وهو قرة عين السالكين
ووسيلتهم الى الحق تعالى وهو الحي الناطق الاظهر وهو الحجة على عباده
وهو آية التوحيد لانه واحد في المرتبة يشهد بواحد وهو وجهة الله
العليا على لسان الاشراق وهو للعالم وجه وعين وقلب وراس
تارك الذي اظهره والذي به الحجة على العالمين وقد شهد به مشتق
من التنزيل المرتبط به التقدير في قوله والشمس والقمر حسبانا ذلك
تقدير العزيز العليم تشبيه قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها ذلك
تقدير العزيز العليم وظن بشرف الانوار السماوية شيء من التنزيل

وهو

وهو قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم
وموافقها مظاهرها كما هي مظاهر الروحانيات يشبهه قوله
فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس فائدة اذا تطهرت النفس
استنارت بنور الحق كما ورد في التنزيل وهو قوله الله ولي الذين آمنوا
يخرجهم من الظلمات الى النور اي من ظلمات الجهل الى نور المعارف
تشبيه قوله يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام اي
الظلمات
تيسر طرق التخلص الى عالم القدس والطهارة ويخرجهم من
الى النور واذا بزغت عليها الانوار الالهية وحلت فيها السكينة الفائدة
ترفعت واثرت في الاجسام والنفوس كالحديد الحامية يكسوها مجاورة
النار هيئة نورانية وخاصية الاحراق واذا نالت بسناء المجد
واستضاءت بضوء القدس سفل عنها النفوس وتاثر عنها المواد
ونسمع دعاها في الملكوت سيما الملك اذا دام فكره في آيات الحدوث
واشتاق الى عالم النير وتلطف بالعشق النوراني واتصف بالجود
والخير والكرم والعدل فينتصر من الاقوال الاعلى ويتقوى على الاعداء
ويصير محفوظا عظيم الصيت شديد الهيبة لانه يكون حينئذ
لشدة استضائته وقوة تاييده من جملة حزب الله وقد ورد في
التنزيل فان حزب الله هم الغالبون يشبهه من جهة النسبة الحزبية
قوله الا ان حزب الله هم المفلحون بشعاع القدس وتاييد القهر

وتثنيه وان قولنا وان جندنا لهم الغالبون من حيث تصريح الغلبة
وقد ثنى آية واحدة بجهتين آيتان وبيان النور الذى ناله قدماء الفرس
من عظماء الملوك وما كانوا هم من المجوسية والثنوية فان هذه الآراء
الخبيثة من بعد كشف ظهرت والنور المعطى للتائيد الذى تألق
به النفس يسمى فى لغتهم خرة وما يختص بالملوك كيان خرة ومن
جملة ما ناله صاحب النيروز الملك افريدون ذو الايد والنور الحاكم
بالعدل لما اعطى حق التقديس على حسب وسعه ظفر بمنطقية الأب
الكريم واتصل بطريق المثال والتجريد فادرك السعادة القصوى و
استعد لاعلى ما ناله الفاصدون واوتى لما تألق باشعة انوار الله العليا
بسطة كيانية حكم بها على النوع وتسلط بقوته على عدو الفضائل
ذى العلامتين الخبيثتين فاباده بامر الله ورد السبايا وبسط ظل
ظل عدله على المعمورة كلها واعطى من العلوم ما زاد به على كثير
من هذه الاعصار ونشر العلم ومهد العقل وقهر الشر وابرم الامر
وقسم الارض وترك الملك الطويل الثبات فى بيته مثوبة من الله
وتمر فى عصره نشو النبات والحيوان وثانية من ذريته الملك الظافر
كيخسرو المبارك اقام التقديس والعبودية فاتته منطقية
القدس ونطقت معه الغيب وعرج بنفسه الى العالم الاعلى
متنفسا بحكمة الله وواجهته انوار الله بوجوهها فادرك

منها

منها المعنى الذى سمى كيان خرة فخصت له الاعناق واهلك بقوة الله
الشرير محب العدوان والتلف شديد المساواة التركى افراسياب
الجاحد للحق المنكر لانعم الله رافض التقديس صاحب الجنود الذى
اعجز العادين فقضى عليه فى الجانب الغربى والملك القدوس حين تسلط عليه
مشاقل بسكينة المجد تشغل عنه العناصر بالبركات مارات العيون
من قتلى الاشرار مارات فى تلك المعارك ذات الوف خمسة من عساكر
الفجار ولما اثر الملك الفاضل فى العالم باحياء السنن الشريفة وتعظيم
الانوار وحكم تبايد الحق على البسيطة كلما توالت عليه مشاهدات
الجلال فى مواقف الشرف الاعظم دعاه منادى العشق فلباه وامره
حاكم الشوق المقدس بامره فلقاه بالسمع والطاعة ناداه ابوه
وسمع انه بدعوه فاجابه مهاجرا الى الله الحق تاركا فى سبيل ملك
المعمورة كلها امتثل حكم المحبة الروحانية تترك الاقارب والاوطان
ما عهدت الاعصار غيره ملكا على قوة حركة القوة الالهية على
الخروج من الديار فسلام عليه يوم فارق الاطلال ويوم توفى ذرة
مصعد المفارقات قاعدة القوة الفكرية اذا اشتغلت بالامور
الروحانية واقبلت على المعارف الحقيقية فهى الشجرة المباركة لانها
ذات اغصان الافكار تتوصل بها الى نور اليقين كما ورد فى التنزيل
وهو قوله هو الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا الشجر هو الفكرة والخضرة القوة

فان هذه المسائل الثلث لما كانت غاية ما منتهى اليه البحث ونهاية ما يحرص
عليه العقل لم يبق خاطر الا وقد كد وكدح لها ولا ناظر الا وقد سبح وبرح فيها
فقد تداولها الناس خاصة وعامة وان كانت طرقهم فيها متغايرة ووجوه نظرهم
فيها متفاوتة وحتى تكلم واحد من اهل عصرنا فيها احتاج الى تتبع الكتب وحكاية
الاقوال واستخراج النكت وتتبع آثار السلف وما زاد خلف بعد خلف
نعم ويحتاج مع ذلك الى زمان واسع وجاش ساكن وراى مجمع وخاطر الامير
عادم جميع ذلك اما عدمه كتبة فلانه على جناح سفر قد خلفانيه من امثال هذه
الصنعات واما عدمه الزمان فلانه على قلعة واوفاز حركة واما عدمه
سكون الجاش واجتماع الراى فلشغله بما يستقبله من التأهب للعود
الى مستقره من الخدمة ولكن امتثال امر مخدومي واجب والانتهاء الى المرسوم
فرض لازم على شريطة الاختصار والايماء الى النكت والدلالة فيما احتاج الى
البسط على مظانه من الكتب المشروحة وقد قسمت المسائل الثلث الى تلخيص
كل مسئلة تحتوى على عشرة فصول

المسئلة الاولى

فى اثبات الصانع جل ذكره وهى تشتمل على عشرة فصول

ا فى ان هذا المطلوب صعب جدا من وجه سهل جدا من وجه ٥

ب فى ان حكماء الاوائل متفقون على اثبات مبدع العالم وانه واحد
فرد ازلى لا خلاف فيه بينهم ح فى الاستدلال عليه باركه واوضحه واظهر الاشياء

وحصرتها ارتوا وها بمسالك النظر وانصرافها بالتعود الى عالم القدس
بثنيه قوله افاتيكم النار التى وزون اى انوار العلم والنفحات
القدسية يتواصلون اليها من الاوائل واستم انشأتم شجر نظام نحن
المنشئون وتويد هذا مثنى آخر قوله وشجرة تخرج من طور سيناء
وطور سيناء هو الافق العقلى تنبت بالدهن وصبغ للآكلين اى يكتسب
بها دهنية المعقولات التى تعد النفس للوميض واشتعال مصباح
اليقين وناريه السكينة فى النفس بالمعارف فالمعارف حريم وهو
حرم الملك الذى اشار اليه فيثاغورس فى رموزه وداود النبى فى
مزاميره وادهم الانوار المبرقة وقد اشير الى هذه الشجرة حيث قيل
توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية اى ليست عقلية محضة
ولا غربية اى ليست هيولانية محضة وهى بعينها شجرة موسى عليه السلام
التى سمع منها النداء فى البقعة المباركة من الشجرة قوله ولوم تمسسه
نار وهذا النار هو الاب المقدس روح القدس وهو النار التى جاء فى قوله
ان تورك من فى النار اى المتصلين به ومن حولها اى المحبين للمتصلين
ونفوسنا مصابيح انتقدت من هذه النار المقدسة العظيمة
فهذه المثنى تبشر الى هذه النار المقدسة وجاء مثنى فى حق موسى عليه السلام
انه راى نارا فقال لاهله امكثوا اشار الى ترك اهله اى حواسه الظاهرة
والباطنة كما قيل اخلع نعليك ومثنى راى نارا اقوله من جانب الطور

نارا

واولاها بالدلالة على الصانع عز وجل د في ان المحرك الاول غير متحرك
ه في انه واحد و في انه تعالى ليس بجسم ز في انه ازلي ح في انه
يعرف بطريق السلب دون الايجاب ط في ان وجودات الاشياء كلها
سي بالله عز وجل ي في ان الله تعالى ابدع الاشياء كلها لا من شيء ٥

المسئلة الثانية في النفس واحوالها
وهي ايضا تشتمل على عشرة فصول

آ في اثبات النفس وانها ليست بجسم ولا عرض ب في ان النفس تدرك
الموجودات كلها غايبها وحاضرها معقولها ومحسوسها ح في كيفية ادراكها بهذا
وهل هو منها بانحاء كثيرة ام باخر آء كثيرة ام هناك مدركات كثيرة بعدد المدركات
د في الفرق بين الجهة التي تعقل بها النفس والجهة التي تحس بها والاشياء
التي تشترك وتتباين فيها ه في جوهر النفس وانه حي لا يقبل الموت ولا الفناء
وانه ليس الحياة بعينها بل الذي يعطي الحيوة ما يكون فيه و في اقتصاص
مذاهب الحكماء والوجوه التي اثبتوا منها ان النفس باقية ابدا لا تبطل
ولا تموت ز في هيئة النفس والحيوة التي لها وما ملك الحيوة وما الذي
يحفظها عليها حتى تبقى دايما سرمدا ح في ان للنفس حالا من الكمال تسمى سعادة
واخرى من النقصان تسمى شقاء ط في تحصيل حال السعادة وذكرها والحث
على السبل التي تودي اليها ي في كيفية حالها بعد مفارقتها البدن وما الذي

تحصل

تحصل لها بعد موت الانسان ٥

المسئلة الثالثة في النبوات
وهي تشتمل ايضا على عشرة فصول

آ في مراتب موجودات العالم واتصال بعضها ببعض ب
في ان الانسان عالم صغير وقواه متصلة ذلك الاتصال ح في كيفية
الوحي د في كيفية ارتقاء الحواس الخمس الى القوة المشتركة ومنها الى
ما فوقها ه في كيفية الوحي و في ان العقل ملك مطاع بالطبع و
في المنام الصادق وانه جزء من النبوة ز في الفرق بين النبوة
والكهانة ح في الفرق بين النبي والمرسل وغير المرسل ط
في اصناف الوحي ي في الفرق بين النبي والمتنبي ٥

هذه فصول المسائل التي سأل عنها ادام الله تاييده وانا اتبعها
بمسئلة اخرى تشتمل على عشرة فصول لتم بها الكتاب في سيرة الانبياء
صلوات الله عليهم واخلاق الحكماء رضي الله عنهم اذ كان الانسان يلزمها
بلغ السعادة القصوى وبالله استعين وهو حسبي كافيا ومعينا ٥

المسئلة الاولى في اثبات الصانع
جل ذكره

الفصل الاول في ان هذا المطلوب صعب جدا من وجه سهل جدا من وجه

ان مطلوبنا هذا امر اصعب الاشياء واغمضها وابعدها عن العادات واقصاها
وهو مع ذلك اظهر الاشياء واجلاها واوضحها وابينها ولكن بوجه ووجه
اما ظهوره فمن قبل الحق نفسه لانه نير واما غموضه فلاجل ضعف عقولنا
وعجزها وكلالها وقد ضرب الحكيم لهذا مثلا فقال ان العقل بلحقه
من الكلال اذا نظر الى الحق الاول ما يلحق عين الخفاش اذا نظر الى الشمس
ولذلك درج ابناء الحكمة الى هذا المطلوب وراضهم بالرياضات
وعالجهم بالعلاجات حتى امكنهم ان يلحظوه بنحو ما يستطيع المخلوق ان
ان يلحظ خالقه ولا سبيل الى هذا النظر الا بهذا الوجه وبهذه الطريقة
من التدريج والارتياض وقد ظن كثير من الناس ان الحكماء سترواهذا الامر
عن الناس وكتموه ضنا به وبخلا وليس الامر كذلك بل الصورة على ما ذكره الحكيم
في المثل الذي ضربه فلا بد اذن من الترقي فيه من اسفل الى فوق والصبر على الدرجات
التي من الحضيض والذروة كما سنورد على طريق الاجمال دون التفصيل وعلى
سبيل الاشارة الى الاصول فاما السبب الذي لجئنا هذه الآفة في عيون
عقولنا من الغشاوة والضعف فهو ما قد بين في المباحث الفلسفية من ان
الانسان آخر الموجودات وان التركيبات تناهت اليه ووقفت عنده
فكثرت الاغشية والتلبسات الهيولانية على جوهره النير اعني العقل الذي
يدرك به هذا المعنى البسيط وذلك ان البسائط الاول ابتدأت من الوحدة

كما سنصفها وتركبت ولزمها الاختلاط والكثرة ولم يكن ذلك بلا نهاية
اذ الامور التي تخرج الى الفعل تكون ابدا متناهية فلما بلغت الانسان تناهت
ووقفت ولما حصل الانسان آخر الموجودات صارت الاشياء التي هي في
انفسها اوايل اخيرة عنده وقد ذكر الحكيم ذلك في كتابه المسمى سمع الكيان
اذ يقول ان ما هو اول عند الطبيعة فهو آخر عندنا وما هو آخر عند الطبيعة
فهو اول عندنا واذا كان هذه حالنا عند الطبيعة التي هي اقرب الامور الينا
فما ظنك في الامور الالهية التي هي على غاية البعد منا وعنها ومن الطبيعة اكثر
تحاجبنا ومن الطبيعة فبالواجب يلزمنا اذ همممنا بالنظر في هذا المعنى
الشريف ان نرتاض اولا بالطبيعيات وننتدرج منها الى ما بعدها من المراتب
الى ان نصير الى آخر الفلسفة بالصبر الدائم والرياضة الطويلة عالمين انه لا طريق
لنا الى ما نطلبه الا بهذا الوجه وعلى هذه السبل كما قال افلاطون بقريب من
هذه الالفاظ من التمس غرضا لا بد له من الوصول اليه صبر على الطريق
طال ام قصر وانما قال افلاطون ذلك لما نظر الى حاجة الى علم
حقايق الاشياء والانتهاء فيها الى معرفة اسبابها ومباديها الاول الى ان يبلغ
المبدأ الاول على الاطلاق اعني الذي لا سبب له البتة وعلم ان الانسان يدرك
حقايق الامور بنحوين وعلى طريقين احدهما ما يدركه بالحواس الخمس اعني الصور
الهيولانية التي لا تستغني عن مادة وموضوع وهي التي يشارك فيها في ادراكها البهائم

وبالجملة الحيوانات كلها والآخر يدركه بالعقل وهو ما تختص به الانسان
وتتميز به عن البهايم وينفصل عليها وهذا الادراك لا يكاد يخلص له دون
ان يشوبه الادراك الحسي الا بالرياضة الطويلة وذلك ان الحس معنا منذ
اول كوننا والصور التي يستفيدها منه راسخة في نفوسنا بالاوهام التي هي بالجملة الحواس
فاذا اردنا ان ننظر في المعنى العقلي لندركه عارضتنا تلك الصورة الحسية التي في
اوهامنا لغلبتها علينا والفتنا لها فلم تدعنا وما نروم من ذلك والجل
ذلك اذا همنا بادراك العقل نفسه او النفس الناطقة او غيرها من الامور المفارقة
للمادة لم نتمكن من ذلك الا بان نتصورها ونتوهمها حالا جسمانية او صورة طبيعية
مما الفناه واعتدناه وكذلك يكون حالنا اذا اردنا ان ننظر فيما بعد
كرة الفلك التاسع اعني جرم الكل هل هناك خلاء ام ملاء فان النظر البرهاني
يوجب انه ليس هناك خلاء ولا ملاء الا ان تصور ذلك صعب علينا
لما ذكرنا فنحن نعالج انفسنا في تحصيل ذلك فلا نكاد ندفع مع ابجاد العقل
اياه وهذه حالنا في تصور اشياء كثيرة تجري هذا المجرى وذلك كله لانطباعنا
بالحس والفتنا اياه منذ مبدا كوننا فاذا ارتضنا بالرياضات ونفعنا الله
بما يفتح عيون عقولنا وادمنا النظر الى المعقولات حتى نالفها وانتقضنا
عن الحس بقدر الامكان تبين لنا شرف المعقولات وفضلها على المحسوسات
وظهر لنا ظهورا بينا ان المحسوس عند المعقول بمنزلة الشيء المموه عند الشيء المحقق

وذلك

وذلك ان الحواس كلها وان كانت تدرك محسوساتها بالمازمان والاموونة والكلفة
فان تلك المحسوسات كلها متبدلة سيالة لا تثبت على حال واحدة ولا قدرا
يسيرا من الزمان لانها ذوات هيولى تتفاضل بالاقل والاكثر والاشد والاضعف
وتتغير بانواع الحركات فاذا ادرك الحس شيئا منها وظن انه قد حصله
لم يلبث ان يتبدل ويتغير عما كان عليه ومثال ذلك ان العين
اذا ادركت شيئا من المبصرات في حال من الزمان فانها في الحال الثانية
منه تقصر عن الاول لحركة الهيولى وسيلانه وتبدله وبقوله الحركة كالناظر
الى صورة زيد فانه في الحال الاولى من نظرنا اليه على قدر من اعتدال التركيب
وله قسط من مزاج العناصر ولان الحرارة التي فيه تتحرك دايما وتعمل في
رطوبته وتحلل منه بخارات وتعاوض البدن غيرها من الهواء مرة ومن
الاغذية اخرى فهو في الحال الثانية على غير ذلك من الاعتدال وفي غير تلك
الصورة من المزاج وان كان يخفى على الحس فليس يخفى على العقل انه كذلك وهذه
حال كل مشاهد مدرك بالحواس من هذا العالم الكبير واما المعقولات
كلها فانها ثابتة ابدا غير منتقلة ولا متحركة ولا قابلة شيئا من انواع التغيرات
ولهذا كان افلاطن يسمي عالم الحس العالم السوفسطايي اي المموه ولذلك
ارذله الحكماء وتهاونوا به وطلبوا المعقولات وعظموها وتخشعوا بها
فنحن اذن محتاجون الى ان ننظم انفسنا عن الاوهام الماخوذة من الحواس التي

الاوهام
هي المموهة

تغالطنا عن المعقولات الصحيحة وهو نظام عسير شديد لانه مفارقة
العادة ومباينة العامة في اكثر من نظرها · وعلة صعب والعمل بموجبه
أصعب لان الانسان كائن يستأنف لنفسه وجودا غير وجوده الاول
ولكن ثمرته لذيذة غير منقطعة وعاقبته شريفة والطف ما يوحى اليه هو
الملك الذي لا يزول والنعيم الذي لا يبيد · وآخر ما يفضي اليه الجنة والقرب
من الباري جل ثناؤه ومجاورته مع الملائكة · وسنوحي الى ملك الحال ايضاً
اكثر من هذا في موضعه من الكتاب ان شاء الله · ولاجل صعوبة هذا
المرام رتبت له المراتب التي ذكرتها وهي المسماة العلم الادنى والعلم
الاوسط والعلم الاعلى · وقد بدئ منها باقربها الينا فعملت له منازل
يبتدأ باولها وينتهي الى آخرها من حيث لا يتخطى منزلة الى اختها الا بعد
تحصيلها وبعد الاشتمال عليها وكذلك عمل بما يليه حتى بلغت الغاية القصوى
فمن لم يبدأ بالرياضيات فيتدرب بها · ثم بالمنطق الذي هو آلة الفلسفة
ثم بالطبيعيات · ثم بما بعدها على الترتيب الى ان يصل الى اقصى المراتب
وسلخ الغاية التي لا غاية بعدها وهي اقصى الغايات فليس مستحق لاسم الفلسفة
بل انما يستحق لاسم من الرتبة التي ارتاض بها ووقف عندها يعني انه
يسمى مهندسا او منجما او طبيعيا او منطقيا او نحويا او غير ما من اجزاء الفلسفة
فاما من ارتاض بجميعها وبلغ اقصاها فهو الفيلسوف ○

الفصل الثاني في اتفاق الاوائل على اثبات الصانع جل ذكره وانه لم يمتنع احد منهم من ذلك ○

ولاجل ما ذكرته لم نجد احدا ممن استحق هذه السمة في اثبات الصانع جل اسمه
ولا حكي عن احد منهم انه جحد اوانكر شيئا من صفاته التي يستحقها من البشر
بقدر طاقتهم اعني الجود والقدرة والحكمة فان فرفوريوس قال كلاما هذه حكايته
بلفظه · ان احد الاصول البينة للعقل التي قال بها من اتبع الحق من اليونانيين
انه لا يحدث شيء من الاشياء من غير علة ولا يتحرك متحرك من غير محرك له سواه
وذلك ان من قال انا نجد حركة من غير علة تغر لا يستحقون الذكر وقد اوقعهم
ذلك مرارا كثيرة في ضد ما يدركه العيان على ان هؤلاء ايضا لم يبنوا اقوالهم
هذا على اصل ولا خطر في اول عقولهم بل انما وقفوا فيه لبنائهم امرهم على اساس
غير صحيح ثم لما رأوه متناقضا اضطروا الى ان يضعوا له هذا الاصل الفاسد
حكاية منهم لعقولهم وانا لا ارى بما قضت من هذه حالة ولا اكلم من عقله
ثابت على الحد الطبيعي فقط حتى اراه قد قوته وهذبته واعانه بالتدرب
والارتياض على دوام لزوم الحق · فهذا فصل كلام فرفوريوس موافق لما ذكرته
عن القوم وبالواجب وقع هذا الاتفاق منهم لان الانسان متى ارتاض بما
ذكرناه ثم استرسل الى العقل وسلك معه حيث سلك فمحال ان لا يلحق بالاوائل
التابعة له فيما قضى به وما قضى بغيره من اهل الحكمة ووقف به حيث وقفوا ورأى ما

الارتياض يكسب العقل

رآه الحكماء ودعا اليه الانبياء عليهم السلام فان جميعهم انما امروا بالتوحيد
ولزوم احكام العدل واقامة السياسات الايلية بالازمنة والاحوال
وحملوا الخواص من الناس على طريقة النظر والبحث ودعواتهم على طريق الادب والتعبد
فان الانبياء صلوات الله عليهم منزلتهم من نفوس الناس منزلة الاطباء من الابدان
فهم يعالجونهم معالجة المرضى وذلك ان كثيرا من المرضى تحتاج الى ان يعالج بالمكروه منه
وربما يهدد بالضرب بل ربما اوقع به ليقبل ما ينفعه اذا لم يكن مناك منة
تعلم بها ما يشير به الطبيب ولذلك لا يشتغل معه بذكر السبب والعلة التي
من اجلها يتناول المكروه ويمنع المحبوب لان جلوى ذلك عليه قليلة ولان
فهمه بعيد عن تحصيله وكما ان كثيرا من المرضى اذا برئ على تدبير الطبيب حمله
الهوى على التناول لشهوته فيخرج لها طبعا في مصالحه وان كانت ضارة له
كذلك حال كثير من اهل النظر تحكم العادات واستثقال ما ذكرته من نظام
النفس عن احكام الحس وصعوبة النظر بمجرد العقل على ما اول ما امر به الحكيم
وشرعه الرسول صلى الله عليه وسلم لا سيما اذا انضاف الى ذلك حب
غلبة او طلب رياسة فيردونه الى الامم الاسهل الاقرب معاندة من نيل اللذة
ثم يجدون لا محالة اتباعا على ذلك وحفدة ومتسرعين احوالهم مثل احوالهم
فحينئذ يكثر الخلاف ويفترق الناس ويتاول من استطاع التاويل لنفسه
مذهبا في الشهوات ويضطرون الى تكذيب من خالفهم وتنقصه والخروج من

ذلك الى

ذلك الى عداوته ومحاربته وسنورد بمشية الله من الحجج البالغة على ما شرطناه
من الايجاز والاختصار ما يعلم به ان ضرورة البرهان تقود من نظر حق النظر
الى التوحيد والاقرار بالصانع الاول الاحد الذي ابدع الاشياء كلها وتعالى عنها علوا
كبيرا وان القوم الذين علموا بهذه الطريقة وحرصوا على افهامنا اياها لم يكونوا
ليتخطوا غيره ويعتمدوا سواه ○

الفصل الثالث في الاستدلال بالحركة وانها اظهر الاشياء
واولاها بالدلالة على الصانع جل ذكره

قد علمنا ان الاجسام الطبيعية اقرب الاشياء التي نحس عنها البتة لانا بعضها
ومناسبون لها ولذلك نحسها بالحواس الخمس وذلك ان لكل حاسة انما تحس من
الامور ما لائمها لان لكل حاسة اعدادا موضوعة لها فاذا ورد عليه من جنسه
ما يخالفه بكيفية ما احس به مثال ذلك ان الذوق حس بالرطوبة للرطوبة
المخالفة والسمع حس بالهواء للهواء المخالف والملمس حس بالارض للارض
والبصر حس بشعاع نار لشعاع نار ○ فاما الشم وهو الخامس فانه
مركب لانه ادراك بالبخار للبخار والبخار مركب من الهواء والماء ○
ومعنى ان يذكر حال واحدة منها ليستدل على احوال الباقيات فاقول ان الهواء
الموضوع لتجويف الاذن له اعتدال موافق له فاذا تغير بهواء آخر بطريقة مما
حركه واقتراع احس به الانسان وكذلك حال الرطوبة الموضوعة للسان ○

ونقول الآن ان لكل جسم طبيعي حركة خصة وذلك ان الجسم ما كان منه موجودا ما كان منه متكونا فانما قوامه بصورته الخاصة به وصورته الخاصة هي المقومة لذاته والصورة المقومة لذاته هي طبيعته وطبيعته مبدا حركته الخاصة به وحركته الخاصة به هي التي تحركه الى تمامه وتمام كل شئ هي ما لا يفقد واقفة ولذلك كل متحرك فانما تحرك الى تمامه والى ما يواقفه ولهذا قيل ان كل متحرك تحرك الى تمامه فهو بالشوق والذي يشتاق نحو معلول ما تشتاق اليه فالعلة تتقدم على المعلول بالطبع ولذلك صار الاستدلال بالحركة اظهر الاشياء واولاها بالدلالة على الصانع جل ذكره ونعود فنقول ان الحركة المطلقة للاجسام الطبيعية هي ست حركات الكون والفساد والنقصان والاستحالة والنقلة وذلك لان الحركة نقلة وتبدلا ما والتبدل في الجسم اذا كان طبيعيا لا يخلو اما ان يكون بالمكانة واما بكيفيته واما بجوهره فاما التبدل بالمكان فاما ان يكون بكله او بجزئه فان كان بكله كانت حركته مستقيمة وان تبدل بجزئه كانت حركته مستديرة وعرض للمستدير ان يتحرك ايضا اما من محيطه الى مركزه واما من مركزه الى محيطه فان تحرك من مركز الى محيط كانت حركته نموا وان تحرك من محيطه الى مركزه كانت حركته نقصانا واما التبدل بالكيفية فليس يخلو ان يحفظ جوهره او لا يحفظه فان حفظ جوهره كانت حركته استحالة وان لم يحفظ جوهره كانت حركته فسادا وهذه الحركة الاخيرة

والنمو

اذا نظر اليها بالقياس الى الجوهر الثاني اعني بالاستحالة سميت كونا

الفصل الرابع في ان كل متحرك فانما يتحرك من محرك غير

نريد ان نبين ان لكل متحرك من الحركات محركا سواه وان محرك جميع الاشياء غير متحرك وانه علة قيامها وعلة حركتها فنقول ان كل متحرك فانما تحرك من محرك وذلك انه لا يخلو المتحرك من ان يكون حيا او غير حي فان كان حيا وادعى مدع ان حركته من ذاته لا من غيره فقلنا له لو كان كذلك لكنا اذا رأينا عاجزا من اجزائه الشريفة بيت حركة الحي وحركة الجزء المشوق حيا وليس الامر كذلك بل هو بالضد فليس اذن ذات جرم الحي هو المحرك له بل غيره وان كان المتحرك غير حي فهو اما نبات واما جماد فان كان نباتا لزم في حركته ما يلزم في حركة الحي ايضا وان كان جمادا فانه اما ان يكون احد الاستقصات او احد مركباتها فان كان احد الاستقصات لم يخل فيه ان كانت حركته من ذاته الا يقف اذا بلغ موضعه الخاص به اذا انتهى اليه او لا يقف فيه لزم ان يقف في غيره كما يقف الحيوان حيث يريد وليس الامر على ذلك فليست حركة الاستقصات من ذاتها فهي اذن من غيرها وكذلك حال المركبات من الاستقصات فان قال قائل ان حركة الاستقصات انما هي لطلبها المكان الذي يخصها فقلنا له فالمحرك اذن هو المكان الذي يخصه لانه المطلوب المشوق وكل مطلوب متشوق فهو المحرك للطالب

فس هذه الجهة ايضا محرك الا مستقصات غيرها ٭ ويمكن ايضا ان نبين على هذه الجهة الحيوان انما يتحرك بالشهوة او بالكراهة اما بالشهوة فليدنو من المشتهى شوقا اليها ٭ واما بالكراهة فليبعد من المكروه هربا منه ٭ فمحركه اذن غيره ٭ ثم ننظر في هذا المحرك فان لزمه نوع من انواع الحركة لزم فيه ما لزم في المتحرك الاول ولا زال كذلك حتى ينتهي الى محرك لا يتحرك بنوع من انواع الحركة ولزم عن هذا البحث انه ليس يلزم ايضا لانا قد بينا ان كل جرم متحرك فمحركه هذا المحرك الذي لا يتحرك مبدأ وعلة لوجود جميع الاشياء وبه قوام كل جوهر ووجود كل موجود ٭ واذ قد تبين ذلك فقد علم ان الوجود في جميع الاشياء بالعرض وهو في المبدع الاول بالذات ٭ وقد اطلقت الحكماء ان كل ما يوجد في شيء ما بالعرض فهو في شيء آخر بالذات وذلك ان العارض في الشيء اثر والاثر حركة ما ولا بد له من مؤثر ويرتقي الامر فيه الى مؤثر لا يقبل اثرا من غيره بل هو مؤثر فقط ٭ فالوجود اذن ذاتي للمبدع الاول لانه لم يقبله من غيره ومنه فاض على جميع الاشياء التي دونه وبه قوام صور الموجودات ٭ واذا كان الوجود فيه كما قلنا ذاتيا فليس يجوز ان يتوهم معدوما فهو واجب الوجود وما كان واجب الوجود فهو دائم الوجود وما كان دائم الوجود فهو ازلي واذا كان كذلك فليس يجوز ان يتوهم كمالات شيء من انواع الموجودات لم يتوفر عليه لانه عز وجل الذي فاض بره واعطاه ما دونه فهو اذن من الوجود في اعلى رتبة ووجودات سائر الاشياء كلها ناقصة عنه ٭

ومستفادة منه ٭ ويمكن ان نبين ايضا ان كل متحرك يتحرك من محرك سواه على هذه الجهة ٭ كل متحرك فاما ان تحرك حركة طبيعية او غير طبيعية فان كانت حركة طبيعية فالطبيعة هي التي حركه كما بين ذلك في كتاب السماع الطبيعي وان كانت حركة غير طبيعية فهو يتحرك اما بارادة واما بقهر والمحرك بارادة انما يحركه الى المراد كما بينا والمحرك بالقهر يحركه الذي قهره ٭ فكل متحرك اذن انما يتحرك من محرك غيره ٭ وكذلك يكون حال الغير الى ان يصل الى محرك لا يتحرك هو اول المحركين ٭ وايضا فقد كان تبين ان لكل جسم طبيعة وتبع ذلك ان له حركة ايضا اذ الحركة آية الطبيعة فليس يجوز ان يكون المحرك الاول متحركا لانه لو كان متحركا كان له محرك ولو كان له محرك لم يكن اولا وقد قلنا انه اول هذا خلف ٭ ويتبين من ههنا انه ليس بجسم لان الجسم متحرك ويلزم منه ما ذكرنا ٭ ن

الفصل الخامس في انه تعالى ومتقدس واحد

فاما انه تعالى واحد فانه يتبين على هذه الجهة نقول انه لو كان الفاعلون اكثر من واحد للزم ان يكونوا مركبين وذلك انهم اشتركوا في انهم فاعلون واختلفوا بالذات ٭ ولا بد من ان يكون الشيء الذي به احدهم الآخر غير ما وافقه به فيجب من ذلك ان يكون كل واحد منهم مركبا من جوهر وفصل والتركيب حركة لانه اثر ولا بد له من مؤثر على ما تبين من قبل فيجب من ذلك ان يكون للفاعل فاعل وهذا يمر بلا نهاية هذا بالضرورة

يرتقي الى فاعل واحد. ونعرض في هذا الموضع بعد ان نحقق ان الفاعل
واحد موضع شك وحيرة وهو ان قول القائل كيف يمكن ان يحدث افعال
كثيرة مختلفة من فاعل واحد لا سيما وفي ملك الافعال التي هي متضادة ايضا
لانه من البين ان الواحد البسيط يفعل فعلا واحدا بسيطا فنقول
ان الجهات التي يمكن بها ان يفعل الفاعل الواحد افعالا مختلفة كثيرة اربع جهات
احديها ان يكون مركبا من اجزاء وقوى كثيرة والثانية ان يكون افعاله
في مواد مختلفة والثالثة ان يكون بآلات مختلفة والرابعة ان يكون ليست
بذاته فقط بل عنه وسطات من اجزاء المركب من اجزاء وقوى كثيرة اشياء م
فمثاله الانسان الذي يفعل افعاله بعضها بالشهوة وبعضها بالغضب
وبعضها بالعقل واما الذي يفعل افعالا كثيرة في مواد مختلفة فكالنار
يليّن الحديد ويصلب الطين واما الذي يفعل افعالا كثيرة بآلات كثيرة
مثل النجار الذي يجر بالقدوم ويثقب بالمثقب واما الفاعل الذي
يفعل بعضها بذاته وبعضها بتوسط اشياء غيره على طريق العرض فمثاله
الثلج يبرد بذاته ويسخن بطريق العرض وبتوسط غيره وذلك انه
يكثف بذلك التبريد وينبض فيحتقن الحرارة ويسخن الشيء المبرد فيكون
اسخان الثلج بتوسط غيره. وليس يمكن ان يكون الفاعل الاول ذا قوى
كثيرة لانها توجب الكثرة والتركيب وقد ابطلنا ذلك ولا يمكن ان يفعل افعالا كثيرة

باب

بآلات كثيرة لان تلك الآلات لا تخلو ان تكون منفعولة او غير منفعولة فان كان
منفعولة فعلى اي جهة فعلها الواحد فانه يلزم من هذا كثرة في الواحد وهذا
محال وان لم تكن منفعولة وجب من ذلك ان يكون اثر من غير مؤثر وهذا
محال كما بيناه ولا يمكن ان يكون كثرة الافعال لكثرة المواد لانه يلزم في المواد
ان تكون منفعولة او غير منفعولة والكلام عليها كالكلام على ما تقدمه فلم يبق
الا ان نقال ان السبب في كثرة الافعال ان الواحد يفعل بعض افعاله بذاته
وبعضها بتوسط شيء او اشياء. واول من اخترع هذا الراي على ما ذكره فرفوريوس
ارسطاطاليس قال وذلك ان افلاطن كان يقول بالصور فلزمته
الكثرة فتبين من هذا المذهب انه واحد فاعل اول وجميع ما حكيناه
في هذا الفصل انما هو عن فرفوريوس ⊙

الفصل السادس في انه تعالى ليس بجسم

قد تبين مما قدمناه ان الجسم يلزمه التركيب والكثرة والحركة وكل واحد
من هذه يستحيل ان يطلق على الواحد الاول اما التركيب فلانه اثر لابد له من مؤثر
لان الاثر من باب المضاف واما الكثرة فلانها تضاد الوحدة. واما
الحركة فلانها محتاجة الى المحرك كما بينا على انا قد كنا قلنا ان الاثر حركة ما ويمكن
ان يساق البرهان على انه ليس بجسم على هذا ⊙ المحرك الاول ليس بمتحرك وكل
وكل جسم متحرك فالمحرك الاول ليس اذن بجسم وهذا مساو لقولنا ولا شيء من المحرك الاول

متحرك لان عكس السالبة الكلية سالبة كلية ما يجب ان يكون من قولنا ولا شئ
من المحرك الاول متحرك يصح انه ولا شئ مما يتحرك محرك اول فقد وجب انه
ولا شئ مما يحرك محرك اول فكل جسم متحرك فلا شئ من الجسم محرك اول ثم
نعكس النتيجة فنكون ولا شئ من المحرك الاول جسم فالمحرك الاول ليس بجسم ○

الفصل السابع في انه تعالى ازلي

قد كنا بينا ان الوجود ذاتي للمبدع الاول وانه واجب الوجود وهذه
حال الازلي وسنوضح الآن بوجه آخر ان المحرك الاول ليس بمتحرك وكل متحرك
متكون وكل متكون محدث فما ليس بمتحرك فهو غير متكون لان التكون
لا يكون الا بحركة ومالم يكن متكونا فليس بمحدث ومالا يحدث فلا اول له
ومالا اول له فهو ازلي وممكن ان ننظم مقدمات هذا القياس على النحو الذي
نظمناه في القياس الاول سواء واذا انعم الانسان النظر فيما قدمناه
ووفاه قسطه من الاستقصاء والروية ظهر له شئ واحد منفرد بذاته يرى
من كل مادة تظهر صورته خلوا من كل كثرة تشوب وحدانيته نوع من الانواع
وعلى وجه من الوجوه لا تشبه شيا من جميع ما يلحقه التصفح والتامل الا انه لا يجد
بدا من وصفه والاشارة اليه فيضطر الى استعمال الالفاظ البشرية بالالات
اللحمية فيستعير الصفات التي يجدها في المبدعات التي الفها وعرفها اذ لا سبيل له
الى غير ذلك فالاحسن حينئذ والاشبه ان يستعمل احسن ما يقدر عليه من الالفاظ

وذلك ان

وذلك انه اذا وجد لفظ متقابلين وجب عليه ان يختار احسنهما واطلقه
على ذلك الشئ الشريف المتعالي عن كل اسم وصفة كالموجود والمعدوم
والقادر والعاجز والعالم والجاهل وسائر الالفاظ المقابلة التي تشبه هذه
ويسعى مع ذلك ان يتحرج فلا يطلق الا ما اطلقته الشريعة وتعارفته الامة
وجرت به العادة ويجب عليه مع ذلك ان يعتقد ان الشئ الذي يشير اليه اعلى
من جميع الصفات التي يصفها بها واشرف وافضل لانه مبدعها وسببها
وموجدها وانه غير ممكن لاحد بوجه ولا سبيل ان يحيط علما به ولا يعرف شيا منه
الا انه ليس شيا مما عرفه من الموجودات بل هو مبدعها فقط ومن ههنا تبين
انه عز اسمه وتقدس ذكره لا يبرهن عليه بطريق الايجاب بل بالسلب ○

الفصل الثامن في انه تعالى يعرف بطريق السلب دون الايجاب ○

ان البراهين المستعملة الموجبة تحتاج فيها ضرورة الى اثبات مقدمات موجبة
يبرهن عليها ذاتية اولية وهي التي يوجد الشئ بوجودها ويرتفع بارتفاعها
والله عز وجل اول الموجودات كما بيناه وبرهنا عليه فهو فاعلها ومبدعها
فاذن ليس لاول يوجد في المقدمات وهو واحد فليس له ما يوجد فيها وليس
معنى ذاتي ولا غير ذاتي فلا يمكن اذن ان يبرهن عليه بطريق الايجاب بالبرهان
المستقيم واما برهان الخلف وعلى طريق السلب فانه انما يحتاج فيه الى

زالة الاسباب والمعانى عنه كما نقول انه ليس بمتحرك وليس بجسم وليس بمحدث وليس بمتكثر وكما قلنا انه ليس يمكن ان يكون للعالم اسباب لا ترتقى الى واحد فقد تبين ان برهان السلب العقل الاشياء بالامور الالهيه واشبهها بان تستعمل منها وانضاف ان الالفاظ انما اصطلح عليها لضرورة الناس اليها فى العبارة عن موجوداتهم التى حلتها عشرة وعن انواعها واشخاصها والله تقدس اسمه متعال عنها علوا كبيرا وهو مباين لجميعها مباينة تامة لا تجمعه واياها نوع من انواع الاشتراك فنحن اذن مضطرون الى حرف السلب فى الاشارة اليه وفى اوصافه لنقول ليس هو كذا او نقول هو كذا ولكن ليس ككذا كما نقول ليس هو العقل او نقول هو عالم ولكن ليس كالعالمين وقادر ولكن ليس كالقادرين ۞

الفصل التاسع فى ان وجودات الاشياء كلها انما هى بالله عز وجل

قد تبينا ان الوجود فى جميع الاشياء بالعرض وانه للبارى سبحانه بالذات واوجبنا منه انه ازلى وان الاشياء نالت الوجود منه وانها ناقصة عنه اذ كان للمعلول لا يمكن فيه ان يساوى العلة وذكرنا ان بعض الاشياء نال الوجود منه بلا توسط وبعضها بتوسط ونحن الآن قائلون ان الوجود الاول الذى ظهر منه انما حصل للعقل الاول المسمى العقل الفعال ولذلك

موتمام الوجود باق ابدا ثابت على حالة واحدة لا تتغير لان النفس متصلة ابدا الازلية مفيضة وسعة جوده فالعقل اذن ابدى الوجود وتمام الوجود بالاضافة التى دونه فاما بالاضافة الى النفس فليه الوجود فانه ناقص عنه بالضرورة كما قلنا ولما كان وجود النفس بوساطة العقل حصل ناقص الوجود بالاضافة الى العقل واحتاج الى الحركة سوقا الى تمامه وتشبها بالعقل وتمام بالاضافة الى الاجسام الطبيعية ولما حصل الفلك موجودا بوساطة النفس كان ناقص الوجود بالاضافة الى النفس فاحتاج الى الحركة التى يستطيعها الجسم وهى حركة المكان فصارت حركته هى التى يتم له وجوده الدايم الذى قدره الله له ولما انتهى الوجود الى اجسامنا كان بتوسط الفلك واجزائه فضعف جدا وقل وحصلنا من الوجود الجسمى على التكون الذى هو كلا وجود اذ كان غير باق ولا ثابت على حالة واحدة ولا طرفة عين بل انما وجوده بالحركة والزمان على طريق التكون واذ قد تبين ذلك فقد صح وضح ان مراتب الوجودات كلها انما حصلت على ما هى عليه بالله عز وجل وان وجوده الفايض وقوته السارية هو الذى يحفظ نظام العالم كله ولو جاز ان يتوهم متوهم ان البارى سبحانه قد امسك عن هذا الفيض بالجود لعلم انه لا يوجد شئ من العالم ولعدم كله للوقت والحال ولذلك قلنا لما نظرنا فى الجواهر بقياس بعضها الى بعض وجدنا نظرنا كان فى الطبيعيات ان الجوهر هو القايم بنفسه المكتفى بذاته وانه القابل

الى الوجودات م

بل انما موجود بالحركة والزمان على طريق التكون

للاعراض المتضادة من غير ان يفسد بفسادها وللآن لما حررنا ناظرين
في الجواهر منتهيا بها الى مبادئها الى ان نرتقي بها الى المبدع الاول الواحد
لم نستطع ان نقول ان الجوهر قائم بنفسه وكيف يقوم بنفسه بالوتوتم
فيض الباري بالوجود منقطعا عنه لحظة واحدة لتلاشى واضمحل وسبيل
ذلك فصل بيان بمثال نورده مقول كل جوهر مركب فانما تركيبه
من هيولى وصورة والصورة انما تصير في الهيولى بالتركيب والتركيب حركة ما
ومحرك ما غير ما كما بيناه وليس يمكن في الهيولى ان توجد وحدها مفارقة
من الصورة ولا في الصورة وحدها ان توجد بلا هيولى وقد بينت ذلك
واستقصيت في موضعه فلا حاجة بنا الى ذكره واذا بان ذلك فقد علم انهما
مفتقران الى موجد يوجدهما معا ومركب يؤلفهما في حال الابداع
وقد تقدم البيان على ان التركيب حركة وكل متحرك انما تحرك عن محرك
الا ان ينتهي الى محرك لا يتحرك وانه واحد ازلي تبارك وتقدس ذكره
فاما الهيولى الثانية اعني الموضوعة للصور الطبيعية فان الطبيعة متممة عليها
وهي قوة الهية نافذة في جميع الاجرام محركها الى غاياتها ولانها الهية

الفصل العاشر في ان الله سبحانه ابدع الاشياء كلها لا من شيء

ظن قوم لا دربة لهم بالنظر انه لا يكون شيء الا من شيء وذلك لما رأوا الانسان

لا يكون

لا يكون الا من انسان والفرس لا يكون الا من فرس فحكموا انه لا يكون شيء
الا من شيء وجالينوس الطبيب فيه كلام وللاسكندر في نقضه كتاب مفرد
كتاب مفرد بين فيه ان المكون انما تكون لا من شيء ومرادنا بين ذلك
ونوضحه بقول وجيز على ما شرطناه في اول الكتاب فنقول ان الاشياء
المتكونة انما تتبدل بالصور حسب فاما الموضوع للصور فلا يتبدل بنفسه
وقد بين الحكيم في ذلك ودل على ان الصور تتضاد على امر ما ثابت لا يتغير
يتعاقبها واحدا بعد آخر فالاشكال كلها والصور الهندسية بأسرها انما هي
محمولة في اجرام والاصح ان يحدث منها الآني جرم والجرم الموضوع لها
انما يتبدل كينونة بكيفية وصورة بصورة وليس يخلو اذا استبدل الصورة
ان تبقى الاولى فيها مع حدوث الثاني او ان تنتقل عنه الى جرم آخر وهو
باطل البتة فان ادعى مدع انها تبقى في الجرم مع حدوث الثاني كان
دعواه محالا لان الصور المتضادة والاشكال المختلفة لا تجتمع في محل واحد
وان ادعى مدع انها تنتقل عنه كان ايضا محالا لان النقلة المكانية انما
تكون للاجرام فاما الاعراض فلا يصح منها النقلة الا ان يكون في حواملها
وذلك بطريق العرض وهذه امور قد كشف عنها وبين امرها وليس من
عادتنا اطالة الكلام فيها فبقي ان نقول ان الاول تبطل بحدوث الثاني
واذا بطل الاول فانما صار من وجود الى عدم واذا ثبت في الصورة الاولى

انما تصير من الوجود الى العدم كان ذلك ايضا في الصورة الثانية الحادثة
واجبا اعني انه انما صارت من العدم الى الوجود والا لزم ان تكون اما موجودا
في محله ذلك او منتقلا اليه من محل آخر وقد ابطلنا هذين فبقي ان تكون الاشياء
المتكونة كلها اعني حدوث الصور والتخطيط وسائر الاعراض والكيفيات
انما حدثت لا من شيء وقد اطلق الحكيم ان الموجود انما أبدع لا من موجود
وهذا بيّن لان الله تعالى لو كان أبدع الوجود من موجود لكان لا معنى
للابداع اذ الوجود موجود قبل الابداع وانما يصح الابداع في الموجود
اذا كان لا من موجود اعني العدم وان ارتينا الى الامور الغريبة البيانيين
لنا ما نزومه عن قرب وذلك ان كل كائن فانما تكون عالم يكن ذلك الشيء
مثال ذلك الحيوان فانه تكون من غير حيوان اذ الحيوان يكون من منيّ
والمنيّ انما يقبل صورة الحيوان شيئا بعد شيء ويستبدل بها من صورته
من صورته الاولى وكذلك المنيّ يكون من الدم والدم من العذار والعذار
من النبات والنبات من الاستقصات والاستقصات من البسايط
والبسايط من الهيولى والصورة والهيولى والصورة لما كانا اول الموجودات
ولم يصح وجود احدهما خلوا من الآخر لم يخلا الى شيء موجود بل الى العدم
فيكون وجودهما لا عن شيء وذلك ما اردنا ان نبين ۵

تمت الفصول العشرة من المسئلة الاولى ۵

المسئلة الثانية في النفس واحوالها

الفصل منها في اثبات النفس وانها ليست بجسم ولا عرض ۵

ان الكلام على النفس وتحقيق ماهيتها وتسطها من الوجود وبقاءها بعد مفارقة
البدن امر مستصعب غامض لا سيما وما نجده فيه للفيلسوف ناقص غير تام
وما نجده ايضا منه غلق الالفاظ لاجل مذهب الرجل في اغراض كلامه وطلبه
الاختصار المفرط لرياضة شيعته واتباعه ولان اللغة المنقولة اليها من
تلك اللغة لا تودي عن تلك الحقيقة الا بشرايط توجد في الناقل من الاحاطة
بذلك العلم واتساع المعرفة باللغتين لتستقيم وتوفر الالفاظ ويحفظ المعاني
ولم نجد المفسرين تكلفوا لذلك وقد عرضت لهذا الكتاب انه اخرى بجد
عظيم وهي ان اجلّ المفسرين اختلفوا في تفسيره اعني الاسكندر وثامسطيوس
وهي تبعدان كل واحد منهما فهم من الحكيم غير ما فهم الآخر الا ان ابا الخير
الحسن بن سوار عني بتتبع مذهب الرجل الفاضل في النفس وجمع الكتب
التي لم تتم الينا من السريانية وتفسير المفسرين وهو حسن القيام بالصناعة
قوي في النقل صبور على التعب فاعاننا على فهم كثير مما كان مستغلقا
علينا بنقله واوضحه ولو حضرنا في هذا الموضع فحص كلامه واحكاه عن
الاوايل لاوردناه بعينه ونسبناه اليه ولكنه يبعد منا وسنجد في

ايراد تلك المعاني ونشيعه من عندنا بما يزيده وضوحا بمشية الله في الجود
الفايض وعونه فنقول لما كان طريقنا الى اثبات المعاد
متعلقا باثبات النفس وانها ليست بجسم ولا عرض ولا مزاج بل جوهر
قايم بذاته غير قابل للموت وجب ان ابدا بالكلام في ذلك فنقول
ان من الاشياء البينة الواضحة ان الجسم اذا قبل صورة لم يمكنه ان يقبل صورة
غيرها الا بعد ان يخلع الصورة الاولى ويفارقها على التمام ومثال ذلك
ان النفحة اذا قبلت صورة الجام لم يمكنها ان تقبل صورة الكوز الا
بعد ان يزول عنها صورة الجام ويخلعها خلعا تاما وكذلك الشمع اذا قبل
صورة نقش تام لم يمكنه ان يقبل صورة نقش آخر الا بعد ان ينمحي عنه صورة
النقش الاول ويفارقه مفارقة تامة وعلى هذا جميع الاجسام وهذه قضية
صادقة مشهورة لا نحتاج فيها الى دليل فان نحن وجدنا شيئا حاله بالضد
من حال الاجسام في المعنى الذي ذكرناه اعني انه يقبل صورا كثيرة من غير ان
يبطل شيء منها تبين لنا انه ليس بجسم فان بان لنا مع ذلك انه كلما كثرت
هذه الصور فيه ازداد قوة على قبول غيرها ثم جرى ذلك منها على هذا النظام
الى غير نهاية ازددنا بصيرة ويقينا انه ليس بجسم والنفس العاقلة
هذه صورتها وذاك انها اذا قبلت صورة معقول ما وثبتت تلك الصورة
فيها ازدادت بها قوة على تصور معقول آخر مضافا اليها من غير ان يفسد

الصورة الاولى ثم كلما كثرت صورة المعقولات فيها اقتدرت بها على تقبل
غيرها وقويت في هذا القبول قوة متزايدة بحسب تزايد المعقولات ثم
ان من الامور المسلمة ان الانسان انما تميز عن البهائم وغيرها بهذا المعنى الموجود
له لا بتخاطيطه ولا ببدنه ولا بشيء من اشكاله البدنية ومن الدليل ان ذلك كذلك
ان هذا المعنى هو الذي تفاوت به اكثر انسانية من فلان اذا كان فيه ابين واظهر
ولو كانت انسانيته بالتخاطيط او غيرها من جملة البدن لكانت اذا تزيدت في
انسان قيل بها فلان اكثر انسانية من فلان ولسنا نجد الامر كذلك وبهذا المعنى الذي
ذكرناه يسمى مرة تمساناطقة ومرة عاقلة ومرة قوة مميزة ولسنا نجاح
في الاسماء فليسم باي اسم كان ومما دل ايضا على ان هذا المعنى ليس بجسم ان
جميع اعضاء الحيوان من الانسان وغيره صغر فيه ام كبر ظهر منه او بطن انما هو آلة
مستعملة لغرض لم يكن ليتم الا به واذا كان البدن كله آلات والكل آلة منها فعل
خاص لا يتم الا بها اقتضى مستعملا كما نجد آلات الصانع والنجار وغيرهما وليس يجوز
ان تقال بعض البدن يستعمل بعضه بهذا الاستعمال لان ذلك البعض الذي يشار اليه
وبطن انه مستعمل الآلات الباقية هو ايضا آلة او جزء من آلة وجميعها مستعملها
غيرها واذا كان مستعملها غيرها ولم يكن جزءا منها وجب ان يكون غير جسم ليتم له
الا تشغل مكان الجسم ولا تزاحم الآلات الجسمية في مواضعها لانه لا يحتاج الى مكان
ويستعملها كلها على اختلاف الاغراض المستعملة فيها في حال واحدة من غير غلط

ولا عجز ليستتم من الجميع امرا واحدا فان هذه الاحوال ليست احوال الاجسام والموضوعة
في احكامها وسنبين ان هذا المعنى ليس بعرض ولا مزاج اذا ذكرنا القوى من العقل
والحس فنما يأتي بعد على انا نقول ها هنا ان المزاج وبالجملة الاعراض التي
توجد في الجسم كلها تابعة للجسم والتابع للشيء هو اخس منه واقل حظا من الوجود لانه
لا يوجد الا بوجوده فان كان اخس منه فكيف يستخدمه ويستعمله كاستعمال الصانع
الة ويصيره رئيسا عليه ومتحكما فيه وهذا قبيح شنيع ٥

الفصل الثاني في ان النفس تدرك الموجودات كلها حاضرها وغايبها معقولها ومحسوسها

انا نجد النفس تدرك الامور البسايط والمركبات ويدرك من المركبات انواعها
واشخاصها والموجودات منقسمة الى هذه الاشياء وليس يفوت النفس منها شيء
اما الامور البسيطة فمنها هيولانية ومنها غير هيولانية وغير الهيولانية منها
منها ما المعقولات اعني الموجودة بغير مواد والهيولانية منها ما التي تعرى
من الموضوع وتوجد في الوهم وهي رسوم الجزئيات كما يفعله اصحاب التعاليم
فانهم ياخذون النقطة والخط والسطح والجسم التعليمي اعني الابعاد الثلثة في
غير مادة كانها اشياء موجودة بذواتها وكذلك ياخذون توابع الجسم مفردة
اعني الحركة والزمان والمكان والاشكال وبالجملة كل ما لا يوجد الا في الجسم وبه
يتفرد وتنا عن مواده ويلحظونها بانها مع بسايط مرة ومركبة اخرى

في غير

في غير حوامل وربما بلغ من قوة احدهم في هذا التوهم ان نطق هذه الصور التي انتزعها
من مواداها وجردها في وهمه انها موجودة من خارج الوهم ولها حقايق في ذواتها
من غير حوامل وموضوعات لها ولخلط منها ومن المعقولات حتى لا يتميز عنده
بل يستهيها كلها معقولات وهذه حال موجودة للنفس اعني انها تدرك الامور المركبة
ثم تحللها الى بسايطها ثم تاخذ تلك البسايط في الوهم فتتفرد تارة وتركبها اخرى
ضروب التركيبات فربما كان لتلك التركيبات حقايق وربما لم يكن لها حقايق
كما يتوهم عنقاء مغرب وانسان يطير وشخص خارج العالم وحيوان مركب من
حمار وبقعة فهذه لا حقايق لها ولا وجود خارج الوهم وقد يجوز ان يتركب من
البسايط في الوهم ما له حقيقة ووجود من خارج وامثلته كثيرة فهذه حال البسايط
ما كان منها هيولانيا وما كان غير هيولاني فاما المركبات فمنها استقصات
اول ومنها مركبات من الاستقصات والمركبات منها حيوان ونبات وجماد
ثم ينقسم كل واحد منها بحسب التركيبات وانواع المزاجات الى انواع كثيرة
جدا وينقسم ايضا انواعها الى الاشخاص لا تنتهي والنفس تدرك جميع ذلك ولما
كانت الاستقصات اربعة ومزاجاتها كثيرة بالاقل والاكثر والاشد والاضعف
صار لها بالامزجة نوابع من الكيفيات مختلفة وليس يخلو هذه الاختلافات من
ان يكون اما لان احد الاستقصات فيها اقوى من الكل او اثنين منها او ثلثة واما
لانها متساوية في القوة الا ان بعضها اكثر من بعض اعني انها تعتريها زيادة تغير

فی اجسام طبیعیة واذا کانت النفس تدرک جمیع هذه الاقسام فهی علی ظاهر النظر
ان یدرکها بارقة اخری او بارابع آلات یستفید کل واحد منها باستعقص فیدرکه
علی تصرف احواله من الشدة والضعف والقلة والکثرة اذا کانت فی اجسام طبیعیة
ویبدان نعلم هل تدرک النفس هذه کلها بقوة واحدة ام بقوی کثیرة فان ادرکتها
بقوة واحدة فکیف یکون حالها فی ذلک ونتحص عنه فحصا لایخرج بنا عن نظم الایجاز ٥

الفصل الثالث فی کیفیة ادراک النفس للمدرکات المختلفة

وهل ذلک منها باجزاء کثیرة ام باجزاء مختلفة ام هناک مدرکات بعدد المدرکات

اما انه لیس للنفس اجزاء کاجزاء الجسم فمبین کما قدمناه وذلک ان التجزی والانقسام
انما یکون للجسم واما انه لاینبغی ان یکون المدرکات بعدد المدرکات فهو ظاهر ایضا
وذلک ان الحاکم فی جمیعها واحد لان شیئا واحدا من الانسان یحکم فی الصغر بانه صغیر
وفی الکبر بانه کبیر وهو الحاکم فی الالوان وفی الاشکال والطعوم والروائح وفی ان
الاشیاء المساویة لشیء واحد بعینه هی ایضا متساویة ولو کان المدرکون مختلفین
لما صح ان یحکم واحد منها علی ما ادرکه الآخر فلاحظ من فطن ان النفس واحدة
ولکنها تدرک المدرکات المختلفة بقوی کثیرة او باجزاء مختلفة فهو موضع البحث
وسننظر فیه فنقول ان بعض الناس لاحظ فی الامور الموجودة فرای
منها مرکبة ومنها بسیطة ونظر فی الآلات والقوة المدرکة فوجد ایضا بعضها
مرکبة وبعضها بسیطة حکم بان المرکبة منها تدرک المرکبة والبسیطة البسیطة

ومثل

ومثل ذلک بان قال وجدت من المدرکات ما هو کالحواس الخمس
لایدرک الا المرکبات فان العین ما کانت مرکبة من قوة باصرة فی آلات
وطبقات من العین لما تم الابما جتماعها ادرکت من الامور المرکبة من الاستقصات
بالمراجات المختلفة ووجدت ایضا من المدرکات ما هو بسیط کالعقل والفکر والرای
لایدرک الا الامور البسیطة کالعلوم بحقائق الاشیاء والآراء التی تستخرج بالافکار فی
الامور فان هذه بسیطة تدرک امورا بسیطة وکل واحد منها انما تدرک ما لایه و
اشبهه ان کان بسیطا فبسیطا وان کان مرکبا فمرکبا الآن ارسطاطالیس تکلم فی
هذا الموضع ویقول ان للنفس قوة بها تدرک الامور الهیولانیة المرکبة غیر النحو الذی
تدرک به الامور الهیولانیة المرکبة غیر النحو الذی تدرک به الامور البسیطة وسنبین ذلک
فیما بعد قال ولو کانت النفس الناطقة تدرک المحسوسات بقوة ما وتدرک
المعقولات بقوة اخری لما جاز ان ترد حکم الحس فیما غلط فیه وترده الی ما حکم به العقل
کالامور ما حکمت به حاسة الی حاسة اخری ومثال ذلک ان الحس دائم الغلط
فی محسوسه کالعین اذا نظرت من بعد الی الشیء الکبیر فرآه صغیرا حتی ترای الشمس
وهی مثل الارض مائة وثمانین مرة مثل المرآة التی تطرح فترة ونظر
الی ما علی شاطئ النهر اذا کانت هی فی سفینة مصعدة فتراه کانه متحدر
وهو بالحقیقة ساکن وتری الشیء فی المرآة کبیرا وهو صغیر ومعوجا وهو مستقیم
وتری الاشباح بحسب البخارات التی بینها وبینها مختلفة فی الشکل واللون ٥

وكذلك غلط في الذوق فان الصفراوي يحس الحلو مرًّا واغلاط الحس كثيرة فتعلم
النفس الناطقة انها قد غلطت وان الحق غير ما احست فردّ الجميع الى صانعها
فلو كانت النفس لا تعلم المعقول والمحسوس بقوة واحدة لما علمت الفرق بينهما
ولما ردّت الجميع الى امر واحد يجمعه ويحكم فيه حكما واحدا ثم نعود فنقول
ان النفس الناطقة تدرك الامور المعقولة بغير النحو الذي تدرك به الامور المحسوسة
وذاك انها اذا طلبت الامور المعقولة انبسطت ورجعت الى ذاتها كأنها
تطلب شيأ هو عندها واذا طلبت الامور المحسوسة خرجت عن ذاتها كأنها
تلتمس شيأ خارجا عنها فتحتاج حينئذ الى آلة تتوصل بها الى مطلوبها فان وجدت
الآلة صحيحة استعملتها وادركت الامر الخارج ثم حصلت صورتها عندها في الوهم
وان لم تجد الآلة فانها تعدم ذلك المطلوب ومثال ذلك الاكمه فانه لا يمكنه
ان يتصور الالوان لانه لم يجد آلتها واذا لم يدركها من خارج لم يمكنه تحصيلها عنده
في وهمه وليس في ذلك حاله في المعقولات فاما الدليل على ما ذكرناه من ان النفس
اذا طلبت الامور المعقولة رجعت الى ذاتها فهو ان الانسان اذا اراد تحصيل
رأي بديع او فكّر في عاقبة امر او اراد استخراج علم غوصي خلا بنفسه وابعد جميع
المحسوسات عنه وكره ان يشغله شيء من الحواس واجتهد في تعطيلها كلها
فتداخل نفسه حينئذ وتنبسط انبساط الراجع الى ذاته فتدرك ما تلتمسه من
ذلك المعنى بحسب قوتها في الانبساط وخلوها من عوارض الوهم الذي فيه صور المحسوسات

فانها

فانها عائقة للنفس عن الرجوع الى ذاتها والنظر فيما هو عندها وفي جواهرها و
هذه الحال من النفس هي حركتها اعني الجولان في الطلب وهو الذي يسمى رويّة وهو الالتجاء
الى العقل والعقل فيه جميع الاشياء حاضرة موجودة لانه هو المعقولات شيء واحد
لا يتكثر بها فاذا انقلبت النفس الى ذلك فقد تحركت نحو تمامها وتمامها ان تستكمل
بالعلوم وتتحد بالعقل فالنفس الناطقة تدرك الامور البسيطة بغير آلة بل بنفسها
وتدرك الامور المركبة المحسوسة بتوسط الحواس وهذا المذهب لارسطوطاليس
ويقبس منه رأيه في النفس الناطقة فانها تدرك المعقولات والمحسوسات معًا وليس كما
ظنه قوم من ان الاشياء المحسوسة انما تدركها الحواس فقط والاشياء المعقولة
يدركها العقل فقط وان تلك تعلم الجزئيات حسب وهذا يعلم الكليات فقط
بل النفس الناطقة تدرك الجميع بقوة واحدة اعني قوة العقل وانها وان ادركت
الجميع فانها تدركه بوجه ووجه وقد شبّه ارسطاطاليس فعل النفس الناطقة
في ادراكها الاشياء البسيطة بالخط المستقيم وفي ادراكه الاشياء المركبة
بالخط المنعطف وقد عبّر ثامسطيوس في كتابه في النفس عن هذا المعنى
عبارة احسن فيها فليرجع اليه ان شاء الله تعالى ٥

الفصل الرابع في الفرق من الجهة التي يعقل بها النفس والجهة التي يحس بها الاشياء التي تشترك فيها وتباين منها ٥

ان باتين الجهتين يعمهما الانفعال وذلك انهما جميعًا ينفعلان من مدركهما

اذا كانا جميعا يستحيلان الى ما ادركاه ويستكملان به ويحركان الى الفعل
بعد ان كانا بالقوة لان كل واحد منهما قبل ان يدرك ما من شأنه ان يكون عقلا
ولا حسا الا بالقوة فاذا ادركاه صار هذا عقلا بالفعل وذاك حسا بالفعل
وكذلك قبلا ان انفعالهما كالهيولى ولما كنا نجد من الاشياء ما ينعدم
بالانفعال ونجد هذين تتمان ويستكملان به قلنا ان النفس تتم بهذين الانفعالين
وتكمل ولا تنعدم وتحاول على ان النفس تخرج بهذا الانفعال من القوة الى
الفعل وان المعنى الذى قيل به هى حصولا نه صحيح هو ان النفس تعقل الشئ بعد ان
لم تكن تعقله وتصور بالمعقولات بعد ان لم تكن متصورة بها ومع ذلك فليست
تتصور اشياء باعيانها فى كل وقت بل تتصور شيأ فى وقت وتتصور شيأ
آخر فى وقت آخر فلو لم يكن هناك شئ ثابت تقبل الصور المختلفة وتنتقل من حال
الى حال لما صح هذا المعنى فيه ومثال ذلك ان زيدا يكون غير عالم بان
العالم مصنوع ثم يصير عالما به فلو لم يكن هناك قوة مستعدة وحال متهيئة
لقبول هذا العلم لما جاز ان يقبله كما ان الحجر والنبات وكل ما ليس مستعدا
لقبول العلم لا يجوز ان يقبله ومنزلة هذه القوة من النفس فى قبول العلم وتصورها
بالمعقولات منزلة الابصار منها فى قبول المرئيات وكما ان هذه تدرك
تدرك الالوان وتستحيل اليها استحالة استكمال بها كذلك تلك تدرك المعقولات
وتستحيل اليها استحالة استكمال بها وكما ان هذه يحصل فيها صور المرئيات

حصولا

حصولا واحدا بالسوية اعنى انها لا تدرك لونا اكثر ولا اقل مما هو عليه ولا اكثر
ولا اقل من لون آخر لان نسبتها الى الجميع نسبة واحدة كذلك حال تلك فى حصول
المعقولات فيها بالسوية لان نسبتها الى الجميع نسبة واحدة وكما ان هذه ليست
شيأ من المبصرات قبل قبولها اياها بل هى عادمة لجميعها كحال الهيولى كذلك تلك
ليست شيأ من المعقولات قبل قبولها اياها بل هى عادمة لجميعها وحالها فى ذلك
حال الهواء فان الهواء لما كان موضوعا لقبول الالوان وجب ان يكون فى ذاته
عادما لكل لون ولو كان يختص بلون لكان قبوله لما يخالفه اعسر ولما كان يؤدى
على التمام وبالحقيقة وكذلك حال الهيولى لما كانت موضوعة لقبول الصور
وجب ان لا يكون لها صورة تخصها البتة ليتقبل الصور كلها قبولا واحدا
اعنى واحدا بعد آخر على السوية ولا يكون نسبتها الى بعضها اكثر ولا اقل من
نسبتها الى الآخر ولما كان كل قابل صورة من الصور فهو لا محالة قبل قبوله
اياها عادما لها وجب ان يكون ما هو قابل لجميع الصور قبل قبوله اياها عادما
لجميعها ولذلك حكم على الهيولى الاولى بانها مقترنة بالعدم ولزم هذا الحكم بعينه
البصر فى قبوله المرئيات ولزم ايضا العقل الانسانى فى قبوله المعقولات
ولو كان لهذا العقل صورة تخصه بها لم يكن قابلا لكل حقيقة على التمام ولا كان
قبوله اياها بالسوية بل كان قبوله لما يجانسه ايسر واوفر ولما يباينه
اصعب واندر ولما كانت النفس العاقلة عادمة لكل صورة تصورت

بكل معقول وقبلته قبولا واحدا بالسوية ولاجل ذلك قلنا انها بسيطة
لان ما عدم كل صورة فهو بسيط اذ المركب هو ما تركب من موضوع
وصورة ومن هذا الموضع تبين ان النفس ليست جسما ولا عرضا لانها
لو كانت جسما لكانت مركبة وذات صورة وقد ابطلنا ذلك ولو كانت
عرضا لكانت صورة هيولانية ودخلت تحت مقولة من المقولات التسع
وقد ابطلنا ذلك ايضا فقد فرغنا من ذكر الاشياء التي تشترك فيها جميعا
العقل والحس ۞ فاما الاشياء التي تتباين منه فمن شان الحس
ان يعتمد من غلبة المحسوس القوي كالعين فانها تكل وتضعف من الصور
القوية والاشياء النيرة التي تفوق قوتها وكالسمع فانها يكل ويضعف
من الاصوات العالية التي تفوق قوتها وكذلك باقي الحواس فاما العقل
الذي نحن في وصفه اعني العقل الانساني فانه يقوى بكثرة المعقولات
القوية وبعادته النظر الى الصور المتعرية عن الهيولى جدا او يصير
كاملا عاقلا بالفعل وكلما قوي عليه كان اقدر على تصور غيره ۞
واضاف من شان الحس اذا انصرف عن المحسوس القوي الى المحسوس الضعيف
لم يمكنه ادراك ما هو بين يديه فاما العقل فانه اذا ادرك شيئا قويا
من المعقولات كما قلنا لم يكن تصوره لما دونه انقص بل ازيد واقوى
والعلة في ذلك ان الحس هو غير مفارق للجسم وادراكه يكون بجسم منفعل

تنزيه

المحسوس ضعيف

ادراكه كالمحدق للشمس
فانه اذا انصرف
عنها ج

فلا يقوى

فلا يقوى على ادراك الاشياء الضعيفة اذا انصرف عن الاشياء القوية
لاجل ما بقي فيه من اثر ذلك المحسوس القوي الذي يعوقه عن قبول شيء آخر
الا بعد زواله فاما العقل فلانه مفارق للجسم باق بعده كما سنبينه بعد
قليل فادراكه ليس هو بآلة جسمانية فلاجل ذلك يقوى على ادراك الاشياء الضعيفة
اذا انصرف عن الاشياء القوية ومن هذا الموضع يتبين ان النفس ليست
صورة هيولانية لانها لو كانت صورة هيولانية لعرض لها ما عرض لسائر الصورة
ومما يدل ايضا على انها ليست صورة هيولانية انها تدرك الامور المتعرية من
الهيولى بالعقل والعقل يعرف المقدمات الاول ويعرف ذاته ويعلم انه
ليس من الايجاب والسلب منزلة ويعلم الصانع الاول تقدس ذكره وسمى
تعالى بانه ليس خارج الفلك الاعلى خلاء ولا ملاء وما اشياء كثيرة من
هذا النحو وليس شيء من هذه ماخوذا عن الحس لانها ليست هيولانية ولا
في مادة ولا حاجة به في ادراكها الى آلة بل هو مكتف في ادراكها بذاته
ومما يدل على ان العقل لا يحتاج الى آلة في ادراكه ما يحصله من المعقولات
ان المستعين بآلة انما يحتاج اليها ليعينه على تمام فعله وابرازه على ما
ينبغي فاما اذا عاقته عن فعله وناصبته فيه وشغلته عنه حتى لا يتم
فعله او يكون ناقصا ما ينبغي فليس يستعين بها ولا يسمى ايضا آلة
والنفس العاقلة بهذه حالها اعني ان جميع ما تعرض آلة فهو ما يعوقها ويمنعها

من ادراك ما يحضها كما مضى فيما سلف من خلالها اذا اتصلت بادراك معقولاتها
فانها تتداخل وترجع الى ذاتها وتعطل حواسها وجميع آلاتها وبحسب هذا العقل
منها يكون صحة ادراكها لما تدركه من المعقولات فليست النفس اذن جسما
ولا عرضا ولا صورة هيولانية وايضا فلو كانت النفس العاقلة في البدن
كالصورة في الهيولى للزم ان تقوى قوة البدن وتضعف بضعفه كما قال
ارسطاطاليس بهذه الالفاظ فاما العقل فيشبه ان يكون جوهرا ما
يكون في الشيء ولا ينعدم فانه لو كان ينعدم لكان حريا بذلك خاصة عن الكمال
الذي يكون للشيخوخية لكنا نجد ما يعرض فيها كما يعرض في الحواس فان الشيخ
لو قبل عيناه مثل عين الشبان لابصر كما يبصر الشبان فيكون الشيخوخية ليست حالا
انفعلت فيها النفس شيئا ما لكن حالا مي فيها كما يكون في حال السكر وفي
حال المرض فالتصور بالعقل والنظر يختلفان بان ينعدم واحدا شيئا آخر
فاما هو في نفسه فلا علة به ع تفسير هذا الكلام بلا في اخر ابدا الله
يقول لو كان العقل من الانسان فاسد بفساد بدنه جسمه يضعف بضعف بدنه
اذا عرضت له الشيخوخة وليس يضعف في تلك الحال بهواذن غير فاسد
فاما ما ذكره من حال السكر والمرض فانه يريد الحال العارضة للعقل في حال
الشيخوخية من التقصير في وقت ما وانما ليست لضعف العقل في نفس جوهره
بل لان البدن غير قابل لفعل العقل كما يعرض في حال السكر والنوم لان السكران

والنائم اذا قصرا في التمييز والعقل فليس ذلك لنقص في العقل نفسه بل لعارض
عرض للآلة من البخارات ثم قال ارسطوطاليس في المقالة الثانية
من هذا الكتاب فاما العقل فقد يشبه ان يكون جوهرا آخر من النفس ويكون
بذاته وحده قد يمكن ان يفارق كما يفارق الابدي الفاسد فاما سائر اجزاء
النفس فظاهر من امرها انها ليست مفارقة كما يدعي قوم ٥

الفصل الخامس في ان النفس جوهر حي باق لا يقبل الموت ولا الفناء وانها ليست الحيوة بعينها بل تعطي الحيوة كل ما توجد فيه

اما ان النفس ليست هي الحيوة بعينها فقد بين مما قدمناه وذلك انها
لو كانت هي الحيوة لكانت حيوة ألبتة ولو كانت كذلك لكانت صورة هيولانية
ومن مقولة المضاف لانها تحاج الى موضوع اعني بدن الحي وقد بينا انها ليست
صورة هيولانية وما مثل ايضا على ذلك ان النفس الناطقة تعاون لذات البدن
وشهواته وتمنع منها وتستعين بجميعها في طلب الفضيلة والاشكاء التي تقوم
شيئا ما لا تعاند ما به قوامه ولا تمنع منه بل تحكمه العدالان في منعه منه بطلانه
وانما تطلب ما يتمه ويزينه فيه وايضا فان النفس تدبر البدن وتسوسه سياسة
رياسية وجميع ما في البدن مما هو فيه كالصورة الهيولانية فهو تابع للبدن
والتابع للبدن مرؤس منه فالنفس ليست في البدن كصورة هيولانية فليست اذن

مى الحيوة بل انما تولد فى البدن حيوة واذا كانت حياة الابدان من النفس
وجب ان يكون الحيوة للنفس اولا وللبدن ثانيا فقد تبين ان النفس
ليست صورة الحيوة بعينها وبينا ايضا فيما تقدم ان للنفس افعالا خاصة
بها مفارقة للبدن وما كان فعله الخاص به مفارقا فالبدن فهو ايضا مفارق
للبدن لانه لا حاجة به الى البدن واستدللنا على ذلك بانها لا تتقوى بقوة
البدن ولا تضعف بضعفه واوردنا فصل كلام الفيلسوف فاما قوله فى آخر
الكلام الذى حكيناه عنه اعنى قوله فهذا وحده يمكن ان يفارق فاينما رأى الابدى
الفاسد فاما سائر اجزاء النفس فظاهر من امرها انها ليست مفارقة كما يدعى
قوم فان راى الفيلسوف وراى جماعة من الحكماء فى اجزاء النفس واعنى
باجزاء النفس الانحاء التى شرحناها لانها تجرى كما تجرى الاجسام ونعنى بهذه الاجزاء
الجزء المسمى بقسا شهوانية والجزء المسمى بقسا غضبية لان بهذه القوت يقوت الانسان
اى يتبطل ويتلاشى وكذلك قوة الذكر واشباهها وذاك ان هذه قوى معمولا بها
لا يتم فعلها الا بآلة بدنية واما احتاجت النفس البهائم الحيوة للبدن مدة طويلة
ولما صدرت هذه الافعال عن النفس مختلفة وبآلات مختلفة سمى كل فعل منها
منسوبا الى آلة نفسانية صدور ذلك الفعل ابدا من نحو تلك الآلة ومثال
ذلك ان صدور الشهوة التى هى لاستمداد الاعضاء ليعتاض به عما تحلل من
البدن انما هو من نحو الكبد وصدور الغضب الذى انما هو ليدفع به الحى عن بدنه

يودية انما يكون ابدا من نحو القلب وصدور الفكر والتخيل يكون باجزاء الدماغ
ولما كانت هذه الآلات اول للنفس استجاد ذوا ان يسموها نفوسا ويستعمل
الآلة اشرف من الآلة لانه هو المهندس لها فان كانت الغايات التى تتم بتلك الافعال
شريفة نابغة افضل اغراض الحكمة دل على حكمة المستعمل للآلة وعلى شرفه واما
ذات النفس الناطقة فقد بان مما تقدم ان لها فعلا خاصا وحركة ذاتية لا تستعمل
بها شيأ من الآلات بل الآلات كلها عائقة لها عن تمامها مناصبة منها وبان لك
انها باقية دايمة البقاء وسنعين فيما نستانف حال هذه الحركة بيانا اكثر من هذا
ان شاء الله فاما الآن فنسوق البرهان على ان النفس الناطقة باقية دايمة البقاء
بعد النفس الناطقة من الانسان لها حركة خاصة بها لا تستعمل بها شيأ من
الآلات الجسمانية وكل ما له حركة خاصة به لا تستعمل بها شيأ من الآلات الجسمانية
فهو غير فاسد بفساد البدن الجسمى فالنفس غير فاسدة بفساد الجسم واقول
من ذى قبل ان هذا الاسم اعنى الموت انما نفهم منه فى اللغة العربية مفارقة
النفس الجسد وانما يقال للجسم ميت اذا فارقته النفس ويعنون بمفارقة
النفس الشئ الذى به كان الانسان حيا ومن عادة اصحاب اللغة اذا راوا صورة
بما كان الشئ هو ما هو عبروا عنه بعبارة فاذا فارقتها تلك الصورة عبروا عنه
بعبارة اخرى فهم يقولون حى وميت اشارة الى ما ذكرناه كما يقولون فى جميع
الصور الآخر المختلفة ذلك فانهم يقولون فى الثوب اذا بطلت صورته بلى وفى الجديد

صدري وفي البيت الهدم فليت شعري كيف يفهم في النفس اذا انفردت
عن البدن بهذا المعنى اما البدن فقد فهمنا معنى الموت فيه لانه مفارقة النفس
فاما النفس ان فهم احد منه هذا المعنى فليفهمنا له اما غير الموت اعني البطلان
وما اشبهه فكنا قد بينا ان النفس ليست بجسم ولا عرض وانه جوهر بسيط وقد تبين
في اوائل الفلسفة ان الجوهر لا ضد له وما لا ضد له لا يبطل وهي غير مركبة فهي اذن
لا تحلل وسنحكي ايضا اقاويل الاوائل غير ارسطاطاليس في ان النفس غير مائتة
اذ كان مذهب هذا الرجل قد بان ووضح ٥

الفصل السادس في اقتصاص مذاهب الحكماء والوجوه التي اثبتوا منها ان النفس لا تبطل ولا تموت

اعتمد افلاطن في بقاء النفس على ثلثة حجج احدها ان النفس تعطي كل ما توجد
فيه حيوة والثانية ان كل فاسد له مسدد من قبل رداءة فيه والثالثة
ان النفس متحركة من ذاتها فاما الحجة الاولى فسياقتها على هذا النفس تعطي
الحيوة ابدا كل ما توجد فيه وكل ما يعطي الحيوة ابدا ما وجد فيه فالحيوة جوهرية له
وما كانت الحيوة جوهرية له فلن يمكن ان تبطل ضدها وضد الحيوة هو الموت فالنفس اذن
لا يمكن ان تبطل الموت وقد اطنت اصحاب افلاطن في تفسير هذا الفصل واكثروا
شرحه وبينوا صحة مقدماته وتركيبها وصحة النتيجة منها وسنذكر بعض ذلك
اذا فرغنا من ايراد الحجج الثلاث ان شاء الله واما الحجة الثانية فمبنية

تمام

على

على انه لا رداءة في النفس فينبغي ان نشرح جملة الرداءة وما يراد به
ليتم لنا سياقة البرهان بعد ذلك فنقول ان الرداءة مقترنة بالفساد
والفساد مقترن بالعدم والعدم مقترن بالهيولى فالرداءة مقترنة بالهيولى
وبيان هذا الكلام انه حيث لا هيولى فلا عدم وحيث لا عدم فلا فساد
وحيث لا فساد فلا رداءة فالهيولى معدن الرداءة ومنبوع الشر واصله
الذي منه تنبع ومقابل هذه الرداءة الجودة والجودة مقترنة بالبقاء
والبقاء مقترن بالوجود والوجود هو اول صورة ابدعها البارئ عز وجل
فذلك هو خير محض لا يشوبه شر ولا عدم واختص به العقل الفعال وذلك
ان الوجود الحق الذي ليس فيه هيولى بتة ولا معنى الانفعال هو العقل الاول
وفي تبيين الخير والشر والشيء الذي لا خير ولا شر كلام طويل نخرج بنا عن حد
ما نحن فيه ومن قوا كلام افلاطن فيه وكتابا برقلس خصه به وكلاما
لجامبليخس فيه تبين له طوله وحاجته الى الشرح الاني قد اجتهدت في اختصاره
وايراده مع ذلك مسرودا ونعود الآن فنقول ان النفس صورة تكمل البدن
بوجودها فليست اذن هيولى وقد بينا ايضا انها ليست صورة هيولانية
اي محتاجة الى الهيولى في وجودها فالنفس ليس فيها شيء من رداءة فالنفس ليس لها
فساد فالنفس ليس لها عدم فالنفس اذن باقية فاما سياقة البرهان بهذا
النفس ليس فيها شيء من الرداءة وكل ما ليس فيه شيء من الرداءة فليس بفاسد فالنفس ليست فاسدة

واما الحجة الثالثة فهي بان النفس متحركة من ذاتها وكل ما كان حركة من ذاته فهو غير فاسد فالنفس غير فاسدة فاما ما اورده ابرقلس في بيان الحجة الاولى الذي وعدنا بذكره فهو هذا كل امر ضاد امرا صادرا عن قوة ما فهو مضاد للقوة التي عنها صدر ذلك الامر مثال ذلك البرودة فانها مضادة للحرارة الصادرة عن النار وهي ايضا مضادة لما صدرت عنه الحرارة اعني النار فاذا كان هكذا قلنا ان الموت اذا كان مضادا للحيوة التي في البدن فهو مضاد ايضا لحيوة النفس التي عنها صدرت حيوة البدن فاذا كانت النفس العاقلة غير قابلة للموت الذي هو ضد الحيوة التي للبدن على ما تبين فيما مضى كانت ايضا غير قابلة للموت الذي هو ضد الحيوة التي لها لان المضاد لحيوة البدن هو مضاد لحيوتها حيوتها ايضا كما بينا فالنفس غير قابلة للموت الذي هو ضد الحيوة التي فيها من اذن غير مائتة ولا فانية ٥

الفصل السابع في مأئية النفس والحيوة التي لها وما الذي يحفظها عليها حتى تكون دايمة البقاء سرمدية

ان الحكماء لما لحظوا النفس من حيث كانت متممة للبدن محيية لها قالوا هي حيوة ولم يريدوا بذلك انها صورة الحيوة لان هذا شئ قد وضح بطلانه وانما اراد وا بذلك انها الجالبة للحيوة الى البدن فهي اولى بالحيوة ولما لحظوها

لحظوها في نفسها من غير نسبة لها الى البدن قالوا هي محركة ذاتها واطلق عليها افلاطن انها حركة وذلك انه قال في كتاب النواميس ان الذي يحرك ذاته فجوهره حركة ومعنى ان نلحظ اي حركة هذه التي للنفس فانا قلنا ان النفس جوهر وليست بجسم والحركات التي احصيناها اعني الست هي حركات للجسم وليس يلحق شئ منها بهذا الجوهر فنقول ان هذه الحركة هي حركة الروية وهي حولان النفس الموجوده لها دايما فلذلك لا تجد النفس خالية من هذه الحركة في حال من الاحوال وهذه الحركة لما لم تكن حسانية لم تكن مكانية ولما لم تكن مكانية لم تكن خارجة عن ذات النفس ولذلك قال افلاطن جوهر النفس هي الحركة وهذه الحركة هي حيوة البدن ولما كانت ذاتية كانت الحيوة لها ذاتية فمن الممكنة ان نلحظ هذه الحركة على انها ثابتة في ذاتها وغير داخلة تحت الزمان وانها محركة لذاتها فقد لحظ جوهر النفس واعني ما تحت الزمان انواع الحركات الطبيعية كلها داخلة تحت الزمان وما كان في زمان لم يصح وجوده الاني الماضي منه او المستقبل والماضي من الزمان قد انقضى والمستقبل منه لم يات بعد فالزمان لا وجود له الاني الكون والحركات الطبيعية لا وجود لها الاني الكون ولذلك قال افلاطن في كتاب طيماوس على لسان السايل ما الشئ الكائن ولا وجود له وما الشئ الموجود ولا كون له يعني ما الكائن الذي لا وجود له الحركة المكانية والزمان لانه لم يوتبه لاسم الوجود اذ كان مستوار وجوده انما هو في الآن والآن يجري من الزمان

وهذه قاله الفيلسوف في السماع الطبيعي

لحظوها

مجرى النقطة من الخط وما كان قسطه من الوجود الآني ثابت للماضي وللمستقبل
وانما هو بحسب الآن فليس يستحق اسم الوجود بل يقال هو ابدا في التكون فاما الموجود
الذي لا يكون له فالاشياء التي فوق الزمان لان ما كان فوق الزمان فهو ايضا
فوق الحركة الطبيعية وما كان فوق الحركة الطبيعية فهو ايضا فوق الطبيعة
وما كان وجوده كذلك لم يدخل تحت الماضي ولا المستقبل بل وجوده اشبه بالدوام
اعني السرمدة والبقاء ○ ونعود فنقول ان حركة النفس التي شرحنا من
امرها ما شرحناه على نحوين احدهما نحو العقل والآخر نحو الهيولى فاذا تحركت
نحو العقل استنارت به واستفادت منه فاذا تحركت نحو الهيولى افادتها
وأنارتها ولما كانت الحركة ذاتية للنفس قلنا انها تحركت نحو الهيولى فاما الهيولى
فانها لا تتحرك ولا الحركة من شأنها ولما كانت الحركتان للنفس حركة واحدة
بحسب اعتبارها بنفسها اي نفس الحركة وحركتان بحسب اعتبارها الى ما تتحرك النفس اليه
وهي بالجهة الاولى تستفيد وبالجهة الاولى تفيد ○ وهذه الحركة هي التي يسميها الحكيم
برز الباري عز وجل لانه يسمي الكلمة التي في الاشياء برزورا ابرزها الباري سبحانه
فيها وهي التي يسميها افلاطن مثلا وقد تسمى انها حيوة النفس وذات النفس
ومن ههنا قيل كل حيوة حركة وليس كل حركة حيوة فالنفس حيوة وليس كل حيوة نفسا
وتبين انها فاعلة بجهة ومنفعلة بجهة وانها وان كانت حركة فهي غير زايلة
وغير مكانية وما كان غير زايل فهو ثابت والثبات هو السكون فوجب لذلك

ان يكون

ان تكون حركة في صورة سكون وبهذا الوضع وان كان عويصا فقد وضحناه بما قدمناه
وانما نعرض على من لم تكن له رياضة على ان جميع ما اودعناه في هذه المسائل مستصعب
على من لم يتدرب بما قبله من مراتب العلوم سيما المنطق فانه الآلة التي لابد لمن
احب التطلع على الحكمة ومشاركة اهلها من ان يطالعه وكان من احب ان
يكون كاتبا دقيق الخطوط ومنهم ما ضمنت من المعاني فلابد له من اقتناء صناعة
الكتبة ليشارك الكتاب بها كذلك الحال في المنطق لمن اراد الفلسفة ونقول ان
هذه الحركة البديعة التي لا تشبه شيئا من الحركات التي ألفناها لما افاضت على الاجرام الطبيعية
تحركت بها الاجرام الحركات التي تليق بها ويصح لها وتمكن فيها اعني المكانية مكان
اتسطها واثر فيها حركة السماء لانها جرم قبل الحركة فتحركت بحركة الدور التي هي اشرف
حركات الجسم لانها وان كانت حركة ثقيلة فانها تنتقل باجزايها فاما كل السماء فهو
ثابت في مكانه غير منتقل عنه وما كان ساكنا في مكانه غير منتقل عنه فهو ساكن
فقد اشبهت حركة السماء حركة النفس وحاكتها اتم حكاية كانت في استطاعة
الشيء المجسم وذلك ان السماء ساكنة من وجه متحركة من وجه ولذلك صارت حيوتها اتم
واشرف من حيوة ما دونها اعني عالم الكون لان هذه الحركات مستفادة من النفس
بتوسط الفلك وكلما تباعد المعلول من علته كثرت الوسايط بينهما انحطت مرتبته
ونقص شبهه واذ قد انتهينا الكلام الى هذا الموضع فقد وجب ان نرتقي فيه
الى ان نعود الى موضعنا الذي كنا فيه فنقول ان حركتنا مستفادة

من حركة الفلك وحركة الفلك مستفادة من حركة النفس وحركة النفس هي
الجولان والروية ليتم ذاتها بالعقل اذ كانت ناقصة عنه فاشتاقت الى التمام
فاما العقل فمستغن بذاته وما يلحقه من النقيض اللازم اذ كان اول مبدع
الباري عز وجل وانما لم يحرك العقل وان كان ناقص الوجود عن مبدعه
لان الحركة انما تكون لاجل التمام ولما كان غير ممكن في المعلول ان يكون مثل العلة
في التمام لم يتحرك ولو تحرك لكانت الحركة باطلة والعقل لا يفعل باطلا
فتمام النفس هو تصورها بالعقل وتصور ما به يتم بالحركة والحركة ذاتية لها
وهي حياتها وهي المسماة كلمة وشاشا وبزرا برزه فيها الباري سبحانه وهو
الذي يحفظه عليها سرمدا وان ارتينا من هذا الموضع ازداد الكلام غموضا
لانه بسيط فلنقتصر على ما ذكرنا ٥

الفصل الثامن في ان للنفس حالا من الكمال تسمى سعادة واخرى من النقصان تسمى شقاء

من ارتاض بما قدمناه من الفصول واطلع عليها كفاه الاطلاع علم ان للنفس حياتين
من الحركة احديهما خود ذاتها وهي التي تحركها نحو العقل الذي هو مبدع الله تعالى
والذي لا ينقطع عنه مادة باريه بوجه ولا سبب والاخرى نحو الالات الطبيعية
ليكمل به الاجرام السماوية فان احدى الحيتين هي التي تسوقها الى سعادتها
الابدية بها والاخرى هي التي تحطها وتخرجها عن ذاتها وقد اطلق الاوائل على الحيتين

البلوغ السفل

العلو والسفل ومعلوم انهم لم يريدوا بذلك حركة الجرم في العلو والسفل
ولكنهم لم يستطيعوا غير ذلك في العبارة فاما الشريعة فعبرت عن هذا
المعنى باليمين والشمال وبالجنة فان الجهة الاولى من الحركة كلما امعنت
فيها النفس توحدت بها وتداخلت الى ذاتها وتوجهت نحو باريها مبدعها
الواحد الذي به وجدت الوحدة في كل موجود وبه دام البقاء السرمدي
لما يليه النفس واما الجهة الاخرى من الحركة فكلما امعنت فيها تشتتت لها
وتكثرت وخرجت بها عن ذاتها ولحقها من الشقاء ما تقتضيه الكمال
ولذلك قال الفلاسفة هي التقرب بالموت الارادي لان غده الموت
موتان والحيوة حياتان اذ كانت احدى الحيوتين بحسب هذه الحركة من
النفس الاولى بحسب تلك فوجب لذلك ان يكون الموت موتان لان
لان يكون كل واحد مقابل صاحبه وهو سمى الحيوة التي بحسب حركة النفس الناطقة
نحو العقل حيوة طبيعية وسمى الحيوة التي نحو الهيولى حياة ارادية وكذلك الموت
المقابل لها ولذلك قال موت بالارادة تحي بالطبيعة وهذا كلام محصر اللفظ
وجيز كثير المعنى شريف فيحق على كل من اراح الله علمه وشق بصره ان يقوى
عزيمته على ما يسوقه الى سعادته وحياته الابدية بالقرب من الباري جل وعز
بان يقمع شهواته ويردع نفسه عما وهب له من العقل عما تحظ به نفسه
الى المهواة المردية اعني الميل الى الدنيا ودواعيها التي تردي بها وتميته وتشقيه

بالبعد من باريه عز وجل وتنكسه في الخلق وتحصله على العذاب الاليم ولسنا
نريد بهذه الوصية ترك الدنيا جملة والاضراب عن عمارتها دفعة فان
هذا رأى من لا يعلم كيف موضوع العالم ولا يدري ايضا ان الانسان
خلق مدنيا بالطبع اعني انه لا يستغني في بقايه عن المعونات الكثيرة من
الناس الكثيرين وان العقل ان يعين غيره كما يعينه غيره ليتم الجميع
المصالح الهم ومعنى هذا الكلام وقولنا ان الانسان مدني بالطبع انه لم يخلق
الانسان خلقة من يعيش وحده ويتم له البقاء بنفسه كما خلق كثير من الوحش
من البهائم والطير وحيوان الماء لان كل واحد من تلك خلق مكتفيا بنفسه
غير محتاج في بقايه الى غيره بل قد ازيحت علته في جميع ما يتم به حيوته
والهامًا اما الخلقة فلانه مكتس بما يوافقه من وبر او صوف او شعر او
ريش او صدف او ما اشبه هذه وذوآته يتناول بها حاجته ان كان
لاقط حب فمنقار وان كان آكل عشب فمشفر واسنان موافقة للقطع
والقلع وان كان سبعًا وآكل لحم فانياب ومخاليب او منسر وآلة
الغرس والدق مع ايد وبطش وشجاعة بالطبع على ما يتم به حيوته واما
الالهام فلانه يتناول من الاغذية ما يوافقه ويجتنب ما يضره وينتقل من مصيفه
مشتاه وبعد مصالحه كلها من القوت والكن بغير تعليم ولا تدبير بل بالالهام
المولود معه فكل واحد منها كما خلقنا مكتف بذاته في حياته المدة التي قدرت له

فاما

فاما الانسان فانه خلق عاريا غير مهتد لشئ من مصالحه الا بالمعاناة
والتعليم ولا كنه القليل من المعاونين حتى يكونوا عدة كثيرة وجماعة وافرة
ولكن عوض من تلك الاشيا العقل الذي سخر له جميعها وكمن به من منافع
البر والبحر ومجرى به الى مصالح الدنيا والآخرة وعرض للخلود والنعيم الدايم
ولكن ليس يتم له البقاء الا نسي الا بالتعاون والتعاضد الذي ان ذهبنا
نعد اصنافه في الملبوس والمطعوم والمشروب وسائر المنافع مما يتقى الحر
والبرد وحفظ البدن على اعتداله الى ما شاكل ذلك مما يجري مجرى الزينة
والمتعة وفضول الحاجة احتجنا الى احصاء جميع ما في العالم من نعم الله تعالى
ولا طمع في ذلك واذا كان هذا على هذا وكان سبل الانسان في حيوته
وحسن عيشه غير سبل الحيوان كله قيل انه مدني بالطبع اي محتاج الى ضروب
المعاونات التي تتم بالمدينة واجتماع الناس فيها وهذا الاجتماع للتعاون
وهو التمدن سواء كان ذلك في وبر او مدر او على راس جبل فمن العقل اذن
ان يعين الناس بانفسنا كما اعانونا بانفسهم ونبذل لهم عوض ما بذلوا
لنا فان الطايفة التي تجايد وتذب وتفرغ انفسها في الحرب حتى لا تشتغل
بغير ما يجب على اصحاب المهن التي انما تتم لهم الامن والدعة بما وليك ان
يعاونوهم بمهنهم كما يجب على هولاء اذا كانتا هم اهل المهن حاجتهم ان يحاموا
عنهم ويقاتلوا دونهم وكذلك كل من اثر لغيره اثرا يجب على ذلك الغير ان يكافيه

فاما من ذهب الى التزيد في الدنيا دفعة وتركها هربة وحرم المكاسب
فانه يفضي الى استعمال الجود لانه يستجدي الناس لاجل ما فيه ضرورات بدنه
وحاجاته الى ما يقيمه ويطلب معاونتهم ثم لا يعاونهم وهذا هو الظلم والعدوان
فان ظن منهم ظان ان مقدار حاجته قليل فليعلم ان ذلك القليل يحتاج فيه الى
استخدام عالم من الناس لا يحصون فان كان مولا شيء من ذلك فمن الواجب
على كل احد ان يبذل معونته على شريطة العدل ان عاون كثيرا طلب كثيرا
وان عاون بالقليل رضي بالقليل وليست اعني بالقليل والكثير الكمية بل الكيفية
وحسن الموقع والفطنة فان المهندس بقليل نظره يعني ما لا يعنيه الذي
يتعب بدنه اياما كثيرة وكذلك مدبر الجيش يدبر بالقليل من رايه
فيغني غناء خلق ممن يعرض نفسه للقتل ويجتهد في العمل الكثير
وينبغي لكل احد ايضا ان يتناول من الدنيا بقدر مرتبته وعلى حسب منزلته
التي قسمت له فلا يطلب ما ليس له ولا يقصر عما جعل له ويدخل تحت الشريعة الحق
التي يلتحقها في آرائه ويلتزم وظائف الدين ويتخلق باخلاق الجميلة
ويتيسر بالسيرة الفاضلة وفي تفاصيل ذلك في هذا الموضع على الشرح خروج
عما قصدناه وسنذكر جملة في الفصل الذي نذكر فيه سيرة الانبياء
عليهم السلام واخلاق الحكماء اذ كان العمل بالحق بعد اعتقاده هو
سبيل السعادة وطريق النجاة والنور الاعظم في الدارين وذلك بمعونة الله تعالى وتاييده

الفصل التاسع في تحصيل السعادة وذكرها والحض على السبل التي تؤدي اليها

من شانا ان نذكر في كل فصل من هذا الكتاب ما يكون توطئة لما
وقد تقدمنا في الفصل الاول وذكرنا كمال النفس وسعادتها ومعرفة ذلك
يعرف نقصانها وشقاوتها لان المتقابلات يكون علمها معا ونريد
ان نذكر في هذا الفصل تحصيل السعادة ونحض على السبل التي تؤدي اليها
لمطلبها الطالب ونصرف سعيه اليها فان الانسان اذا عرف الغرض
والسبيل اليه كان اجرى بسرعة الظفر واخلق بقرب الدرك فنقول ان تحصيل
السعادة على الاطلاق يكون بالحكمة والحكمة جزآن نظري وعملي فبالنظري يمكن
تحصيل الآراء الصحيحة وبالعملي يمكن تحصيل الهيئة الفاضلة التي تصدر عنها
الافعال الجميلة وبهذين الامرين بعث الله عز وجل الانبياء صلوات الله عليهم
ليحملوا الناس عليها فهم اطباء النفوس يعالجونها من اسقام الجهالة بالآراء
الحق لما يأخذونهم من الآداب الصحيحة والاعمال النافعة ويطالبونهم بالاستسلام
لهم بعد اقامة الحجة عليهم بالمعجزات فمن تبعهم ولزم محجتهم وقف على الصراط
المستقيم ومن خالفهم تردى في سواء الجحيم فاما من اجب ان يعلم صحة
ما دعوا اليه بالنظر الصحيح فانه يجد ذلك من جهة الحكماء وذاك انهم لما
وجدوا جزئي الحكمة نظريا وعمليا ورأوا النظري منهما كثير الشبه التي تقوم الحق

وليس به ويقرب من الحق ولم تكنه شبهة الحق بالعلامة التي في القرطاس للرماة
فانها واحدة وكل يرميها ويقصدها الا ان المصيب قليل والمخطي كثير لكثرة
النقط التي تقرب منها ولكونك مركز الدايرة هي نقطة واحدة ومن يطلبها
بالعين كثير ومن يجدها اقل التقليل وذاك ان الامر المتباعد من الحق جدا
لا يكاد يذهب على احد واما ما هو بالقرب منه فكثير الاشتباه على من ليس
بحاذق وناقد الدينار ليس هو يعرف الفلس ويفرق بينه وبينه ولا من
يعرف البهرج الشديد البعد من الذهب ولكن من فرق بين الدينارين
اللذين بينهما جنبة واحدة وكذلك حكم الحق وحاله مع الباطل لان ما هو
بعيد منه جدا فكل احد يعرف بطلانه واما القريب منه فهو المشتبه الذي
يغلط فيه الكثير من النظار ويحتاج فيه الى الحذق والمهارة والى الصناعة
والرياضة فعمل الذكاء آلة وصناعة تصير طريقا للسالك لا يغلط فيه ولا يتم
عليه لاحد ان يغالطه عنه وهي صناعة المنطق ورسم بازاء آلة يفرق بين
الحق والباطل في الامور وبين الصدق والكذب في الاقاويل ثم جعلت
هذه الآلة عيارا وقانونا فيما يسلك من طريق النظر ورتبت الامور الموجودة
فجعل الاقرب الينا اعني الطبيعي اول ما ابتداء بالنظر فيه ثم ندرج منه الى غيره
اولا اولا كما قلنا في صدر الكتاب ثم عمل بعد ذلك كتب في الحكمة العملية وهي الكتب
التي في الاخلاق التي تهذب بها النفس ثم الكتب في تدبير المنزل ثم الكتب في

تدبير المدن وهي صناعة الملك وقالوا من كمل بسياسة نفسه و
تهذيب اخلاقه وقمع عدو نفسه الذي من جنبيه صلح لتدبير منزل
ومن صلح لتدبير منزل صلح لتدبير مدينة ومن صلح لتدبير مدينة صلح لتدبير مملكة
فاذا استكمل الانسان هذه الخروس من الحكمة فقد احق ان يسمى حكيما وفيلسوفا
وقد سعد السعادة التامة وقد ذكر ارسطاطاليس في كتاب الاخلاق
ما ذكرناه في صدر هذا الفصل اعني حال من صدق المستبصر وحال من
صدق من ابصر لنفسه فقال بهذه الالفاظ يحتاج الانسان في
الاطلاع على حقايق الكاينات اما الى آلة جيدة يعلم بها الحق من الباطل
بعني الذهن واما الى تصور ياخذ به الاشياء من غيره بسهولة فمن
لم يكن فيه واحدة من هاتين الخلتين فليقتصر لقول اسيودس الشاعر
يقول - اما بذاته فاضل واما ذاكر فصالح واما الذي لا بذاته من نفسه
ولا يفقه اذا فقهته غيره فهو الشقي العطب واذ قد ذكرنا ما ذكرناه
فلا بأس ان نزيد في البيان ونومي فضل ايماء الى هذه السعادة
لكون الطالب لها اشوق اليها واحرص عليها فنقول
ان من تعرف الموجودات كلها على الشرايط التي قدمناها وعلى الترتيب الذي
تعب به الحكماء وسهلوه علينا ووردوناه فاول ما يلوح له من ذلك
تركيب عالمنا هذا وكيفيته وطبيعته والقوى الكثيرة المدبرة له والتي في نفسه

كل ما في العالم الكبير ايضا ويرى اتصال هذه القوى بعضها ببعض وتدبير بعضها لبعض وارتقاءها كلها على نظام في غاية الحكمة الى عالم آخر ليس منها بسبيل ولا لها شبيه بل هو روحاني بسيط مشتمل بالتدبير على جميع ما كان دونه في العالم الاول محيط بها احاطة تدبير وتصريف ساير فيها سريان روحاني كسريان تلك القوى في الاجسام الطبيعية من غير حاجة اليها بل هي المحتاجة اليه ولولا انس الانسان بالعالم الاول واستبصاره فيه لما جاز ان يلوح له هذا العالم الثاني الذي هو بسيط بالاضافة الى ما كان دونه فاذا انس بالنظر الى هذا العالم ايضا وقوي بصره فيه شاهد اضافيه من عجائب الحكمة و آثارها من اللطف واغرب واعجب مما كان شاهده ورأى ارتباط تلك الآثار بعضها ببعض وتدبير بعضها لبعض ولا رأى منها عالما آخر ليس منها بسبيل ولا هو منها في شيء اكثر من انه محيط بهذا العالم الثاني كاحاطة الثاني بالاول اعني انه غير جسماني ولا محتاج الى مكان بل يشتمل عليه بالتدبير والتقدير كاشتمال الثاني على الاول ويمده بالقوة كامداد الثاني الاول ويسري فيه ذلك السريان اللطيف الذي يجري منه مجراه من الاول الا انه اشد بساطة منه فاذا انس ايضا بهذا العالم الثاني لاح له ثالث نسبته الى الثاني كنسبة الثاني الى الاول ولولا انسه بالعالم الذي قبله واستبصاره فيه لما لاح له هذا العالم الآخر وذاك انه اذا شاهد احوال هذه العوالم وراى عجائب آثار الحكمة

في واحد منها فرأى حاجة ما كان منها مركبا الى مركب ارتقى منه بالضرورة الى ما فوقه ليرى علته وسببه والعلة اشرف من المعلول وابسط منه فان ظهر له في الآخر بعد الاستقصاء في النظر تركب واثر حكمة طلب علته ايضا ولا يزال كذلك حتى يرتقي الى واحد بالحقيقة لا كثرة فيه وعلة اولى لا يتقدمه علة وبسيط بالصحة لا تركيب فيه ومستغن عنه لا حاجة له الى شيء وممد بقوته لكل ما دونه وغير مستمد من شيء موجود لان القوى الكثيرة تنتهي اليه وموا على منها كلها ولم يمكن ان يكون قبله شيء اذ بالضرورة بالصحة هناك والحكمة البالغة التي منها تتبع وتفيض الحكم كلها منه وذلك ينبوع الوحدة البسيطة التي لا يشوبها كثرة بتة فاذا انتهى هذا النظر اليه وقف بالضرورة عنده وعلم انه المبدأ الاول الذي لا يتقدمه شيء ولم يكن له ولا فيه شيء من صفات العوالم التي هي معلولاته وعلم ان جميع ما يطلق عليه من صفاته سبحانه واسمائه كقولنا سبب وعلة وخالق ومولود وما اشبه ذلك مما في طاقة الانسان وقوة البشر انما هو مستعار ومجاز لانه تبارك وتعالى موجد هذه الفضائل كلها ومبدعها وهو غير ما وجد انها ناقصة ما يمكن بلوغه بالعقل ثم ان الناظر في هذه العوالم التي ذكرتها المرتقي فيها الى هذه المرتبة يجد من اللذة ما يستأهل ما لا يشبهه شيء من اللذات الجسمانية ولا بد انها لان تلك راحات من آلام وهذه جنس آخر من اللذة روحانية دائمة غير مفارقة لصاحبها الا ممكن ان يزول عنه

ولا يقدر متسلط عليه ان يسلبه اياه وان شاركه آخر فيما لم ينقصه ولم يكدره
بل يزداد لذة ويضاعف بهجة ومن وصل الى هذا المكان ايضا فعلى رتب
كثيرة ومنازل متفاوتة وربما سميت مقامات وليس يعرف كنهها الا من
مر بشئ من جناباتها وذاق بعض حلاوتها ومن ههنا تبين صحة ما قلناه
فيما تقدم من ان المرتقى من اسفل الى فوق على تدريج صحيح سواء الذي يعرف
ربه معرفة لاريب فيها وعكنه ان يراه نحو ما يستطيع المخلوق ان يرى خالقه
واذا عكس نظره من فوق واخذ فيه كما صعد نظر الى اشتمال هذا الاول
اللطيف الواحد على ما دونه واحاطته بالجميع احاطة ترتيب كما احاط العقل
بالنفس والنفس بالطبيعة وكما احاطت الطبيعة الى الاجسام من غير حاجة اليها
فظهرت له حاجة الجميع اليه وغناه عنها جل وتعالى علوا كبيرا ٥

الفصل العاشر في كيفية حال النفس بعد مفارقتها البدن وما الذي يحصل لها بعد موت الانسان

قد بينا بالحجج القوية ان النفس العاقلة من الانسان باقية بعد موته
وانها غير قابلة للفناء واذا كانت باقية فلابد من ان يحصل على احدى
حالتها من سعادة او ضدها وقد ذكرنا حال السعادة الا انها حال
غير متصورة لنا الآن وليس علمنا ونحن بشر ان نقف على حقيقتها
الا بالاشارة الخفية والايماء البعيد والايماء بالرموز وضرب الامثال

مما نشاهده لبعد تلك الحال من حالنا هذه وخروجها عن عادتنا لا سيما
وقد سمعنا الله تعالى يقول فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين
وسمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حكاية عن الله تعالى ما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر الا انا وان كنا عالمين بان
تلك الصورة غير لائحة لنا وانا لا نلحظها الا بعد الانسلاخ من اللبوس الانساني
وبعد التصفي من الكدر الطبعي وبعد مفارقة جميع ما نحن فيه وقطع العلائق
كلها منه فلسنا نترك بلوغ ما يمكن بلوغه بحسب الطاقة البشرية وملاحظة
هذا البناء العظيم بما وهبنا الله تعالى وجل من القوة الالهية التي
تدرك كل موجود بقدر طاقة المخلوق لا سيما وقد وطأنا لذلك بتوطيات
مما تقدم وامكننا في هذا الموضع ان نشير فصل اشارة الى ما نرومه ٥

فنقول ان الموجودات كلها تنقسم الى قسمين جسماني وروحاني فاما
الجسمانية فانها مخلوقة كرات اذ كان شكل الكرة افضل الاشكال واشرفها
وابعدها من الآفات ولم يمكن ان تكون متفرقة لان الكرات اذا تميزت
وتباعد بعضها من بعض وجب ان يكون بينها جسم آخر اوطأ والجسم الذي يحصل
بين الكرات لا يكون كريا والخلاء ممتنع وجوده اعني ابعادا في غير مادة فوجب
بالضرورة ان تحط الكرات بعضها ببعض على حسب ما هو موجود وذلك ان
كرة الارض تحط بها كرة الماء الا ما انحسر عنها من شق الشمال وذلك حكمة

الاخبار والسنن عامة
وآخر بدان مانند

عطيه جعل لها مركز التمس خارجا عن مركز الكل فتعذبت من ناحيه الجنوب
فجذبت الرطوبات الى هناك فحصل البحر في الجنوب والجزائر من الشمال
بمقدار ما تمت بها العمارة ونشأ فيها الحيوان وكرة الآثار يحط بها كره الهواء
وكرة الهواء يحط بها كرة النار وكرة النار يحط بها كرة فلك القمر ثم يحيط
الافلاك بعضها ببعض الى ان ينتهي الى فلك تاسع غير مكوك يسمى فلك الافلاك
وهو يحرك الافلاك الثمانيه بحركة تنسبه والى خلاف جهات حركاتها ويدير الكل
بيوم وليلة دورة واحدة ثم ان كل واحد من هذه الكرات بالاضافة الى
ما فوقها كالمتنقل له وكالمكدر وذلك ان الارض بالاضافة الى الآثار كدره
وكالمتنقل له وكذلك حال الآثار عند الهواء وحال النار عند حال فلك القمر وعلى هذا
القياس يظن متنقل القمر عند ما فوقه الى ان ينتهي الى فلك الافلاك غير الكوكب
هذه صورة الموجودات الجسمانيه فاما القسم الآخر من الموجودات اعني الروحانيه
فانها وان لم تكن مجسمة فهي ايضا ممنوع من الاعتياد اللائق بها ان يحط ببعضها بعض
ولكن احاطة روحانيه لانها غير محتاجة الى مكان فلذلك يمكن ان نعتقد فيها ان
احاطتها احاطة اشتمال وتدبير وذلك ان الطبيعة تقول فيها انها محيطة
بالاجسام الكريات ولكن نريد احاطة تحريك وتقدير واشتمال تصوير وتدبير
لانها قوة الهيئة سارية في الاجسام كلها تدبيرا حتى لا تفوتها شيء منها لا ظاهرا
ولا باطنا ومن هذا كيف احاطة الطبيعة بالاجسام كلها هذا كيف احاطة النفس بالطبيعة

وكيف

وكيف احاطة العقل الفعال بالجميع وكيف يشتمل على الكل مدبرا واحدا فاضا
بالجود عليها ممسكا لجميعها مدبرا ثم ان المراتب الاوساط الروحانيه اذا اعتبرت
باضافة بعضها الى بعض كان الاعلى بالاضافة الى ما دونه شريفا وبالاضافة
الى ما فوقه دنيا وكما تصورت الحال في القسم الجسماني من كدر الاسفل بالقياس
الى ما فوقه فكذلك يمكن ان تتصور الحال في القسم الروحاني الا انك تسمي الكدر
باسم لائق بالشيء الروحاني الا تفهم منه معنى غير حسي فلا باس حينئذ بالاسماء
لامضائقة فيها اذا فهم المعنى على السامع واذ قد تقرر ما وجب تقريره من
هذه الموجودات فانا نعود فنقول ان هذا القسم الروحاني من الموجودات
من اجل انها ليست اجساما وغير محتاجة الى المكان فان اتصالها اذا اتصلت
لا تضيق بعضها على بعض لكنها لانها متصل اما بالاختلاط ومجاورة الاجزاء
واما بالنهايات ومماسة السطوح وفي كلتي الحالتين يزداد مساحة بما يتصل بها
وقد بانى في الكتابات الثلث واذا لم يكن هذا القسم الذي نحن في ذكر جسما
ولا حامل طول وعرض وعمق لم يعرض له ذلك وانا امثل هذا المعنى بمثال
حتى يتقرب من الفهم فاقول ان انوار الكواكب وشعاعاتها
لا محالة كثيرة وهي واصلة الى الهواء واختلافها بحسب اختلاف ما يصدر عنه
وليس يظن احد انها تتضايق في الهواء ولو كانت اضعافا مضاعفة على ما عليه
واما تزداد الهواء بها استنارة فاما هي في انفسها فلا يزداد مساحة

اللهم الا

ولا نريد فيها الا بعض اعني زيادة جسم
وانما عرض للاجسام ان يضيق بعضها على بعض

تنقل الشيء وتكاثره

ولسنا نريد بالاحاطة التي تنبتها
من الاجسام الكريات

ولا يضايق بعضها بعضا هذا المثال ينفع في باب انها لها ٥ فاما
تميز بعضها عن بعض فانا نورد له مثالا آخر فنقول انا قد بينا كيف
اشتمال الطبيعة على الاجسام وكيف اشتمال النفس على الطبيعة وكيف اشتمال العقل
على النفس وان هذه المراتب وان كثرت فليس يظن انها مختلطة او
متماحة بل لكل واحدة منها حال غير حال الاخرى وان لم تكن جسمية ولا متصورة
فان العقل يميز بينها التمييز التام في انفسها وان لم تكن هذه التميزة مكانا ولا جسميا
وايضا فانك تجد لكل جزء من اجزاء البدن عدة قوى مجتمعة فيها منها
القوة الغاذية والقوة الهاضمة والقوة الماسكة والقوة الدافعة
وليس يظن بهذه القوى انها منفصلة ولا متحدة ولا ان بعضها يضيق مكان بعض
وانما يعلم انها متميزة لانه قد يضعف بعضها وتقوى بعضها فيقصده الطبيب
بالعلاج حتى يصلح فان كان هذه الاحوال مفهومة فكذلك يعني ان يتصور
امور النفوس المفارقة للابدان في انها غير مختلطة ولا متماحة ولا مضايق بعضها
على بعض وبهذا المثال كافيان فيما اردناه ولكن سنزيد السامع بيانا
وتمثيلا فنقول كما انك لو تصورت العالم اضعاف ما هو عليه من
الكبر وعدد الاشخاص لكانت الطبيعة كافية لها متسعة للاحاطة بها وتدبيرها
وتحريكها غير محتاجة الى زيادة في ذاتها ولو تصورت ايضا العالم اصغر
مما يوجد او اقل عددا اشخاص بكثير جدا لكانت النفس التي تدبره الآن هي التي

كانت

كانت تدبره حينئذ من غير ان تنقص او تسقط اثرا ما فكذلك يعني ان
معتقدي النفوس اذا فارقت الابدان واتصلت بها ٥ ونعرض في
هذا الموضع شك نحن نورده ثم نحله بمشيئة الله تعالى وهو ان لسائل ان
يسأل عن النفوس المخلصة في المقامات كيف يكون احوالها لاجل ما كسبته
في الابدان لان منها الشريرة ومنها الخيرة ودرجات الخيرة منها متفاضلة
وكذلك درجات الشريرة ونحن نورد لهذا الشك نظيرا ومثالا يقربه من
الفهم ثم نحله ان شاء الله فنقول انا حين ذكرنا امر الطبيعة والنفس
والعقل وقلنا احاطة بعضها ببعض واشتمال بعضها على بعض اومأنا الى مقاماتها
ايضا ونقول الآن ان من شأن كل مقام درجة من الاوساط ان
يكون له نسبة الى ما فوقه والى ما تحته فالاسفل من هذه المقامات ابدا الاخير عما فوقه
الى الاعلى ولا يخبر شيئا من احواله غرائبية فقط فاما الاعلى منها فهو مطلع
على ما دونه ومحيط به عالم بحقيقته ومثال ذلك ان الطبيعة لا علم لها بالنفس
ولا خبر عندها منها الا من حيث حاجتها اليها وفيض تلك عليها فاما النفس فهي
مطلعة على الطبيعة محيطة العلم بها ممدة لها من خزائنها وكذلك حال النفس
عند العقل وحال العقل عند الباري عز وجل الا نسبة واما غرائبية من
اجل جاهلها اليه ولان العقل يمد النفس دايما عليه من نحوه ويعرف حسبته
ما تفتقاه من حال النفس لانها بحركتها وجولانها بالروية تطلب الوقوف على امرها

فبناء هي في ملك الحركة اذا اتاها ما تطلب وكانما اعطيت شفاء خذته
من غير ان تعلم صورة من اعطاها وكيف اعطاها اكثر من انها طلبت فاعطت
ولولا ان حركتها ربما كانت غير مستقيمة اعني انها تكون ملتبسة بالهيولى متحركة
حركة مضطربة كحركة المملوح الذي يريد ان تحرك عنه وعلى خط فتحرك على غيره
لكانت ابدا مصيبة في كل ما تروى فيه ولكن ربما اتاها الخطأ من جهتها لا
من جهة الشيء عليها كما بينا ٥ واذ قد تبين هذا فانا نقول ان
هذه المقامات الخمسة سبيلها اعني ان كل مقام منها بحسب نسبتنا الى
ما فوقها غير مطلعة عليه ولا عالمة به واما بالنسبة الى ما تحتها فهي محيطة به مطلعة عليه
والفيض يأتي الكل بحسب استحقاقه ومنزلته والان كل مقام من مقامات الخمسة
له نسبة تامة بالمشاكلة للذي بعده فهو يلتذ بما يتصل به من النفوس التي لها مثل مقامه
لاجل المناسبة والمشاكلة ويلتذ ايضا بنفسه وبما حصل له من صورة الكمال وبما
يستفيده بذلك من الفيض والكون في جوار الله تعالى وليس بقضاء الا الاشريرة
التي ليس لها نسبة اليه ولا هي معه في مقامه فاما الشريرة فهي تضاد الخيرة
وتضاد بعضها بعضا وهي عادمة صورتها التي هي كمالها فهي لذلك متنافية بينها
متنافٍ بعضها ببعض منقطع عنها الروح بالفيض لاجل انها غير قابلة ولا مستعدة
ولا متهيئة لقبوله فالعذاب متصل بها غير منقطع عنها ثم نعود الى ذكر
تلك السعادة التي اومأنا اليها فنقول انه قد صح مما قدمنا انه لا يجوز ان يكون

لشيء

لشيء من المراتب السفلى سعادة ليست للعليا بل السعادة التي للاسفل انما
هي مستفادة من الاعلى وهو كالظل منه وتلك السعادة في الاعلى تامة محضة وفي
الاسفل ناقصة مشوبة فيجب لذلك ان نعتقد ان جميع ما نعده معاشر البشر
سعادة ونحن في هذه الابدان الملابسين للطبيعة ونحسبه لذة في جميع الحواس
ومن تلك الجهات هي كلها كالظل والشبح مما هو على مثاله فيض من هناك
وصورة كاملة تامة محضة وان كنا لا نتصوره حق تصوره وكما اننا معاشر
الناس نطلع على حال الدودة وخوف مقدار سعادتها التي تحملها ونعلم انها
لا يتشبه الى سعادتنا نحن كذلك حال الاشياء التي هي فوقنا في انها تطلع
على احوالنا وعلى الاشياء التي نسميها سعادات وخيرات ونعلم انها لا تتشبه
الى سعاداتنا وكما انا اذا نظرنا الان ونحن ناس مهتمون في احوالنا التي
كانت في الطفولة والرضاع وفي حال ما كنا اجنة في بطون الامهات والجبات
الارحام وما كنا نعده سعادة وتكره مفارقته حقرنا تلك الامور وتجاوزنا
تذكرة انفة منها وترفعا عنها كذلك يكون حالنا بعد مفارقتنا الابدانا
لا محمد نستهين بهذه الاشياء التي هي الآن سعادتنا ونانف منها
وذلك ان النفس اذا حصلت منزوعة بذاتها خالصة من كدر الطبيعة
ودرنها صار لها وجود آخر اشرف من الوجود الانساني ومرتبة اعلى من المرتبة
البشرية وتكون سعادتنا تلك مناسبة لاحوالنا ومثل النفس في ذلك

مثل الفرّوج الذى يكون اولا فى البيضه فاذا استكمل صورته التى عنه
تُشوّره وتصوّر بصورة اخرى اشرف من الصورة الاولى الا ان
النفس يحصل لها من مقارنة البدن صورة تلذها بحسب ما اقتنته وكسبته و
نسبته الى غيرها ويحصل بهذه الاشيا على هيئة تفيد بها اما سعيدة واما شقية
وقد كنا بيّنا ان للنفس العاقلة فعلا يخصها فى ذاتها وانه هو الذى يكملها ويسوقها
الى سعادتها وذكرنا ما هو وكيف هو فمتى عاقتها عن فعلها هذا عاقت فقد عاقتها
عن سعادتها وفى عوقها اياها حطّ عن مرتبتها وبحسب ذلك الحطّ يكون شقاؤها
وربما كان ذلك الحطّ يسيرا لا يخرجها عنها لكن قد تبيّن ان الذى يعوقها عن سعادتها
هو الاستهتار بالحواس والامور الخارجة عنها فان الامور الخارجة عنها انما يصل
اليها بالحواس وهى التى تهيج النفسين اللتين ذكرنا هما فيما سلف وقلنا انهما
فاسدتان بفساد البدن مثلا شيان لان قوامهما بالهيولى والصورة الهيولانية
اعنى الشهوة والغضب فاذا اثارت الشهوة بالحواس وما تدركه من خارج
حركت النفس الى التشاغل بلذات البدن من المطاعم والملابس والمناكح واما شبهها
واما اذا اثار الغضب حرّك النفس ودعاها الى الحدد والانتقام والى التشاغل
بطلب الكرامة والعزّ والرياسة واجبت الغلبة والتسلط وهذه كلها اغلاط
النفس ومعوقاتها عما يخصها مما ليس خارجا عنها وهى مموّهة مزخرفة لا
حقايق لها من اجل انها من المكوّنات وتحت الزمان الذى حكمنا على الفلاطن فيها

انه لم يُوهلها لاسم الوجود واذا لم تكن موجودة فاى قسط لها من الكينونة وهى
تُعطّل النفس وتمنعها سعاداتها وتجعل لها اغشية ولبوسات وشبيها
بالصدا الذى يركب المرآة الصقيلة فيمنعها كمالها والمصير الى معادنها
فان كان المستعمل لهذه الشهوات راجعا الى عقله فيها اعنى انه يستعمل منها
فى الامور قدر ما يقتضيه العقل وتطلقه الشريعة التى هى فى الوقت وبحسبه
فهو ما ذكرنا قبيل انه حطّ حطا يسيرا لا يخرجه عن حد السعادة لان السلس الساطع
حينئذ تستنير العقل وتصير هى الآمرة المستعلية على الشهوة والغضب
فى مرتبتها التى تشبه مرتبة الملك وتلك الآخرى فى مرتبة العبيد لانها تمتثل امرها
وتقف عند ما تحدّ وترسم بحسب ما امرها به العقل ٥ وان كان المستعمل لها
منهمكا فيها تابعا لها حتى تصير الغلبة على العقل ومستخدمة له فى تحصيل شهواتها
حتى يدبرها ويحال فيها بالتصيير ويصير منها الى الحرص الشديد من العشق والجور وفرط
الآثام فذلك الانكباس فى الخلق والخروج عن طاعة العقل الذى هو رسول الله
الاول الى خلقه وعقبى ذلك البعد من جواره فى دار البقاء والمصير الى
الشقاء الدائم والعذاب الاليم وقد بيّنا فى المباحث الفلسفية ان اللذات
الجسمانية هى راحات من الآلام والراحة من الالم ليست لذة حقيقة وانما
مثّلنا فيها مثل المرهوق الذى يُرفى عنه خناقه فيجد له راحة والكلام على
تصحيح هذا الراى نخرج بنا عن غرضنا من هذا الكتاب وهو مسطور مشروح فى

مواضعه فلنوخذ منها ان شاء الله وهذه المواضع العامضه التی
غیر معتادة لاکثر الناس بما واخذ الفلسفه وبس تحققها العامة لانهم انما
یعرفون الحس وما یلوذ به اعنی الوهم فکل ما لا یحصل لهم من هذا الوجه لم یلتفتوا
الیه وحسبوه باطلا لانهم لا یریدونها اذ کانت العین التی مصر بها هذه الاشیاء
لیست موجودة لهم وعندهم ومن الحقائق محجب کثیفه من الحواس فهم یعدونها
خرافات واهل الحقائق یرحمونهم کما یرحمون العمیان ولذلک یجب ان یبدأ وا
ویردوا الی المحسوسات فی کل ما خفی علیهم ویضرب لهم امثال منها لیسکنوا
الیها والا طرحوه وظنوه لاشیء وقد قال بعض الحکماء ان الجهال یحسبون
الذی هو بالحقیقه شیء لاشیء ویحسبون الذی هو لاشیء شیئا وهذا الکلام قریب
المعنی من کلام افلاطن الذی حکیناه فیما سلف لانک لا ترال تسمع ممن لا طبیعة له
فی العلم اذا اشیر له الی شیء من المعقولات المجردة التی لیست فی مواد یقولون
هذه العدوم وهذا اذا لاشیء وهذا غیر موجود ولعمری انه معدوم غیر موجود
فی الحواس التی یطلبونه فیها ولکنه موجود حق الوجود ولیس هو لاد واه اذ قد یقدروا
ما به یری الموجود حتی سوی انه یعنی ان یتعطف علیهم بالرحمة کما تعطف علی
الامکنة فانهم یضربون الی ریاضات من الانبیاء علیهم السلم واحتمال انواع الکاره منهم
مع تاید الله تعالی ایاهم الی ان یلتفتوا التوحید تلقینا واکثرهم لا یصدق به الا
بعد ان یتوهم حیا عظیما علی سریر عظیم تحفه وخدم ومتی ارتفع منهم عن هذه

الطبیعة

الطبیعة اطلق علیه اسامی الصور الهیولانیة وحقق معانیها فیه واضاف الیها صفات
المخلوقین فان دعوتهم الی تجریده من هذه المعانی قالوا اذن معدوم
فلذلک اشیر بترکهم وما یستطیعون فهمه والاخر جوا الی التعطیل والله عز وجل
رؤف بعباده یعلم عجزهم ویقبل جهد طاقتهم اذا لم یکونوا معاندین وهو الغفور الرحیم

المسئلة الثالثة فی النبوات

الفصل الاول فی مراتب موجودات العالم واتصال بعضها ببعض

انه وان کان قصدنا الاول الکلام علی النبوات فانا لا نتصل الحقیقة
الا بعد ذکر مراتب الموجودات والحکمة السماویة فی جمیعها التی نشات
من قبل الواحد الحق واعطت کل مرتبة منطقها وقد شاهدت سمعها قلما
بالمیزان العدل ونبتدی باول هذه المراتب وننتهی بالتصفح الی آخرها
فاذا اعترفنا بالموضع الذی هو غرضنا لا محالة عرفناه وحققنا مرتبته
ونسبناه الی ما هو دونه والی ما هو فوقه لیکون علمنا به اتم وهو اوضح واذ کنا
مضطرین فی غرضنا الی ذکر الموجودات فینبغی ان نفصلها تفصیلا تقف منه
علی مقصودنا لنتوجه الیه بالطلب فنقول اما اتصال اجرام الموجودات
بعضها ببعض وان الکل واحد اذا اخذ من مرکز الارض الی ان ینتهی الی
السطح الاقصی من الکل التاسع وانه حیوان واحد ذو اجزاء مختلفة فهو امر

قد فرغ منه الحكيم واستقصاه. واما تسمية اجزاء هذا الكل فانه بالقسمة
الاولى ينقسم الى قسمين الى عالم الكون والفساد وهو عالمنا والى العالم الذى
لا كون فيه ولا فساد وهو السماء والافلاك بما فيها من الكواكب. فاما
انفصال اجرام الافلاك التسعة بعضها عن بعض وافلاك الكواكب المتحيرة فيها
وتركيبها وهيئتها وانه لا خلل ولا فرجة هناك فهو ايضا مشروح فى كتب
الهيئة بما من برهان لا يعترضه شك فلا يمكن فيها قدح. واما اتصال
الاجرام التى فى عالمنا هذا فهو مشاهد الا ما يظنه قوم من وجود الخلاء الى البعد
فى غير حامل وهذا ايضا مستدرج ظاهر فى كتاب السماع. فاما اتصال الموجودات
التى نعقل ان الحكمة سارية فيها حتى وحدتها واظهرت التدبير المتقن
من قبل الواحد الحق فى جميعها حتى اتصل آخر كل نوع بأول نوع آخر فصار
كالسلك الواحد الذى ينتظم خرزات كثيرة على تاليف صحيح وحتى جاء من الجميع عند
واحد فهو الذى نريد تبيينه والدلالة عليه بعونه الله تعالى ٥
ان اول اثر ظهر فى عالمنا هذا من نحو المركز بعد الامتزاج العناصر الاول
اثر حركة النفس فى النبات وذلك انه تميز عن الجماد بالحركة والاعتذاء
والنبات فى قبول هذا الاثر عرض كثير ومراتب مختلفة لا تحصى الا انا نقسمه
الى ثلث مراتب وهى الاولى والوسطى والاخرى لتكون الكلام عليه اظهر
وان كان لكل مرتبة من هذه المراتب عرض كثير ومن المرتبة الاولى والوسطى

مراتب

مراتب كثيرة. لانا بهذا التدبير يمكننا ان نشرح ما قصدنا اليه من اظهار
هذا المعنى اللطيف فنقول ان اول مرتبة النبات فى قبول هذا
الاثر الشريف هو ما نجم من الارض ولم يحج الى بذر ولم يحفظ نوعه
ببذر كانواع الحشايش وذلك انه فى اول ايجاده والفرق بينها وبين هذا
القدر اليسير من الحركة الضعيفة فى قبول اثر النفس والانزال يقوى
هذا الاثر فى نبات آخر يليه فى الشرف الى ان يصير له من القوة فى الحركة
الى ان يتفرع وينبسط ويتشعب ويحفظ نوعه بالبذر ويظهر فيه من
اثر الحكمة اكثر مما ظهر فى الاول والانزال هذا المعنى يزداد فى شئ بعد شئ
ظهورا الى ان يصير الى الشجر الذى له ساق وورق وثمر يحفظ به نوعه وغرضه
بصونه بما يحب حاجته اليها وهذا هو الوسط من المنازل الثلثة الا
ان اول هذه المرتبة متصلة بما قبله وهو فى اخره وهو ما كان من الشجر
على الجبال وفى البرارى المنقطعة وفى الغياض وجزائر البحار لا يحتاج الى
غرس بل تنبت لذاته وان كان يحفظ نوعه بالبذر وهى تسمى الحركة
بطئ النشو ثم يتدرج من هذه المرتبة وتقوى هذا الاثر فيه ويظهر ثمرته
على ما دونه حتى ينتهى الى الاشجار الكريمة التى تحتاج الى عناية من استنبابه
التربة واستعذاب الماء والهواء لاعتدال مزاجها والى اصلاحه ثم تنتهى التى
يحفظ بها نوعها كالزيتون والرمان والسفرجل والتفاح والكاشى والعنب

واشباهها ويتدرج في تنول هذا الاثر وظهور الشرف الى ان ينتهي الى رتبة
الكرم والنخل فاذا انتهى الى ذلك صار في الافق الاعلى من النبات وصار
بحيث ان زاد قبوله لهذا الاثر لم يتهيأ له صورة النبات وقبل حينئذ صورة
الحيوان وذلك ان النخل قد بلغ من شرفه على النبات الى ان حصلت فيه
نسبة قوية من الحيوان ومشابهة كثيرة منه اولها ان الذكر منه متميز عن الانثى
وانه يحتاج الى التلقيح ليتم حمله وهو كالسفاد في الحيوان وله مع ذلك مبدأ
آخر غير عروقه واصله اعني الجمار الذي هو كالدماغ من الحيوان فان عرض له
آفة تلفه وليس كذلك سائر الاشجار لان لتلك مبدأ واحدا وهو
الاصل الثابت في الارض فما دام ذلك الاصل ثابتا على حاله لم يعرض له آفة
فهو باقي الحيوة وفي النخل الذي يسمى طلعا وبه يلقح النخلة شبيهة بالرائحة
ببدن الحيوان واحصيت للنخل خصال اخر كثيرة تشابه بها الحيوان
وليس هذا موضع احصائها والى هذا المعنى توجه قول النبي صلى الله عليه وسلم
اكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من بقية طين آدم عليه السلم فقد
تبين بلوغ النخلة غاية الموضوع للنبات ان سلفه وصار في افق الحيوان
وهذه الرتبة الاخيرة من النبات وان كانت غاية شرفه فانها اول افق
الحيوان وهي ادون مراتبه واخسها وذلك ان اول ما يرتقي النبات من
من منزلته الاخيرة ويتغير به من مراتبه الاول هو ان ينبتق من الارض ولا تحتاج

الجمار شحم النخل
بجمرت النخلة
تطلعت نجارها

الى اثبات العروق فيها لما حصل له من التقرف بالحركة الاختيارية وهذه
الرتبة الاولى من الحيوانية ضعيفة لضعف اثر الحس فيها وانما نظهر فيها
بحثة واحدة اعني حسا واحدا وهو الحس العام الذي هو حس اللمس وذلك
كالصدف وانواع الاكلون الذي يوجد في شاطئ الانهار واسياف البحار
وانما عرف حيوانيته ومعلم انه ذو حس واحد من اجل انه ان استلب من موضعه
بسرعة وعلى عجلة وخفة فارق موضعه واستجاب الاخذ وان اخذ ابطأ
وعلى ترتيب لزم موضعه وتمسك به وذلك لانه يحس بان الامساس يريد
اخذه فيضعف حينئذ جذبه وتناوله من مكانه لتشبثه به وموضع عن
التنقل وان كان قد يتبلغ من الارض وصارت له حيوة ما لانه من الافق
القريب من النبات وفيه مناسبة منه ثم يرتقي من هذه الرتبة الى ان يتنقل
ويتحرك وتقوى فيه قوة الحس وتظهر اثار النفس فيتنقل ويلتمس منافعه ويصير
حيوان كالدود وكثير من الفراش والذبيب ثم ترتقي عن هذه الرتبة ايضا
وتقوى اثار النفس فيه الى ان يصير منه الحيوان الذي له اربع حواس كالخلد
وما اشبهه ثم يرتقي من ذلك الى ان يصير له من حس البصر شيء ضعيف كالنمل
والنحل والحيوان الذي على عيونه شبه الخزف وليست لها اجفان ولا مسترة
احداقها ثم تقوى على ذلك الى ان يصير منه الحيوان الكامل في الحواس الخمس
وهي مع ذلك متفاوتة المراتب فمنها البليدة الجافية الحواس ومنها

الصنف الاكثر من الحيوان
والنوع الشبيه بالنبات

النمل ارقى من الجراد

النحل موصوف بالذكاء

الذكية اللطيفة التي تستجيب للتاديب وتقبل الامر والنهي وتستعد بقبول
اثر النطق والتميز كالفرس من البهائم والبازي من الطير ثم تقرب
من آخر مرتبة البهائم وتصير في أمته الأعلى وفي اول مرتبة الانسان
وهذه المرتبة وان كانت شريفة من مراتب الحيوانات وهي أعلاها وافضلها
فهي دنية خسيسة بعيدة من مرتبة الانسان وهي مراتب القرود واشباهها
من الحيوان التي قاربت الانسانية وليس بينها وبينها الا اليسير الذي
ان تجاوزه كان انسانا فاذا بلغه انتصب قامته وظهر فيه من قوة
التميز الشيء اليسير الذي يناسب حالته وقوته من أفق البهائم ولكنه
على حال تهتدي فضل اهتداء الى المعارف وتقوى فيه اثر النفس وتقبل
التاديب بالنهي والتميز وهذا الاثر وان كان شريفا بالاضافة الى ما دونه
من رتب البهائم فهو خسيس دنيء جدا بالاضافة الى الانسان الكامل
وهذه المرتبة الادنى من مرتبة الانسانية وهي في افق البهيمية وهي في اقصى
من الارض وفي اطرافها من الشمال والجنوب كالترك والزنج فان هؤلاء
ليس بينهم وبين المرتبة الاخيرة من البهائم التي ذكرناها كثير فرق وليس يهتدون
بالتمر الى اكثر شيء من المنافع وليس يوثر عنهم حكمة ولا استبلوا بها ايضا من الامم
التي تجاورهم فذلك سمات احوالهم وقل تمتعهم وحصولهم غير مغبوطين ولا مستطيرين
لغير العبودية والاستخدام فيما استخدم فيه البهيمة ثم لا يزال اثر النطق يظهر

ويزيد

ويزيد الى ان يصير الى وسط القوة في الاقليم الثالث والرابع
فحينئذ تكمل هذا الاثر ويصير بحيث تراه من الذكاء والفهم والتيقظ
للامور والكيس في الصناعات واستخراج غوامض العلوم والاتساع في المعارف
ثم تقع التفاوت في هذه الرتبة حتى يبلغ فيها الى حيث يومي الى الواحد بعد الواحد
في سرعة الحاجس وقوة الحدس واستقامة النظر وصحة الفكر وجودة الحكم
على الامور الكائنة والاخبار بالاحوال المستقبلة حتى يقال فلان النبي وفلان
محدث ونقاب وكانما ينظر الى الغيب من وراء ستر رقيق ويقول الشاعر

الا ليت الذي بطن لك الظن كان قد رأى وقد سمعا

فاذا بلغ الانسان هذه الرتبة فقد قارب البلوغ الى غاية افقه التي يتصل بها
اول افق الملائكة اعني الوجود الذي هو اعلى من الوجود الانساني وهي من بينه
وبين مرتبة الاعلين الادرجات يسيرة ٥ اذا رتبنا قوى العالم الصغير وشرحنا
اتصال قوى بعضها ببعض وكيف ترتقي قوة الحواس منه الى ما هو اعلى منها وهي
الى ما بعدها حتى تجاور الملك وتناسبه وتستمد منه هناك تتبين غاية
افق الانسانية ونهاية شرفه وكيفية مرتبته واتصال الروح المسمى في القرآن
روح القدس به وتطلع الناظر في هذه المراتب على صورة الوحي وكنهه
وتعرف شرف الرسالة وعلو درجة النبوة ان شاء الله ٥

الفصل الثاني في ان الانسان عالم صغير وقواه متصلة ذلك الاتصال

اما ان الانسان عالم صغير وقواه متصله ذلك الاتصال اما ان الانسان
عالم صغير وقواه متصله وفيه جميع ما في العالم الكبير من الاستقصات الاربع
وامثال من المعمور والخراب واشباه من البر والبحر والجبال وطائر من الجماد
والنبات والحيوان وكانه مختصر من الجميع ومولف من الكل فبعضه ظاهر بيّن
وبعضه خفي غامض ونحن نورد من ذلك جملا بقدر ما يطابع منه المتامل
وجه الحكمة ولا نستقصيه لمبادرتنا الى الغرض المقصود بهذه الابواب
من شرح امر النبوات ولان في استقصاء باب واحد من ابواب هذا الكتاب
يحتاج الى اضعاف حجم هذا الكتاب وليس هذا شرطنا في اوله ولان زماننا
ليس بمتسع له فاقول انه لما كان الانسان مركبا لم يجز ان يوجد فيه
العناصر بسيطة لانه لو وجدت فيه لحللته سريعا اعني ان الجزء من النار البسيطة
بعينه اذا جاور المركب منه ومن غيره حلله وردده بسيطا وكذلك حال الباقيات
وان كانت النار اظهر فعلا فلما لم يكن ذلك وجب ان يوجد فيه مركبة واذا
نظرنا في ذلك وجدنا في الانسان ما يجري مجرى الارض في البرد واليبس ومجرى الهواء
في الحر والرطوبة اما ما يجري مجرى النار منه فالمرارة المتعلقة بالكبد
لانها حارة يابسة وهي مستقر هذا الخلط ومغيضه من جميع البدن
واما ما يجري مجرى الارض فالطحال لانه بارد يابس وهي ايضا مستقر هذا
النوع ومغيضه من البدن واما ما يجري مجرى الهواء فالدم الذي هو الغوث

النار من الحرارة واليبس ومجرى م

لانه

مجرى م

لانه حار رطب واما ما يجري الماء فهو البلغم ولم نجد له وعاء خصه
كما عمل في الثلثة الاركان الاخر من اجل انه مستفد لان ينضم واذا
انضم صار غذاء تاما ولم يكن فضله كتلك الاخر ٥ ونوع آخر من الاعضاء
القلب معدن الحرارة والبيس وهو مطبع النار والكبد معدن الحرارة
والرطوبة وهي مطبع الهواء والدماغ معدن البرد والرطوبة وهو مطبع الماء
والعظام معدن البرد واليبس وهو مطبع الارض وكان هذه الاصول
الاربعة او ايد لتلك الاربعة وتلك فروعها فاما مثالات اجزاء ما في
العالم الكبير فان الرطوبات التي تحت من العين والنم يجري مجرى العيون في الارض
وبخار البدن يجري مجرى السحاب والعرق يجري مجرى المطر فاما عروق البدن
فان كبارها يجري مجرى الاودية وصغارها يجري مجرى الانهار والجداول واما
الشعر فهو يجري مجرى النبات والحيوان الذي يتولد في ظاهر البدن يجري مجرى
حيوان البر والذي يتولد في باطنه يجري مجرى حيوان البحر ونصف البدن
المقدم الذي فيه الوجه يجري مجرى العالم الذي فيه البلدان ونصفه المؤخر
الذي فيه القفا يجري مجرى الخراب الذي فيه البراري فاما العين فمجراها مجرى
كوكب تناظرها وشعاعها وطبقات العين يجري مجرى افلاك الكواكب
ويحدث في البدن جميع ما يحدث في العالم من الرياح والزلازل والطوفان
والرجفة اعني العطاس والزكام والحميات وغيرها من عوارض البدن

ثم ان في البدن ما يحرك من ذاته بالطبع ولا يسكن بذاته كالقلب ومنه
ما هو ساكن بذاته بالطبع ومنه ما يتحرك بالقهر والعرض فاما ما يخص من
البدن بالبروج الاثنى عشر والكوكب السبعة لما فيه من طبايعها واستقلتها
فقد ذكره المنجمون واستقصوه واما شكل البدن كله وما كان يجب من
استدارته لشبه العالم الكبير وشاركه في شرف هذا الشكل وفضله على جميع
الاشكال فكذلك هو واياه قصد بالقصد الاول وذاك ان المقصود من
جميع بدن الانسان هو الرأس الذي خلق مستديرا وهو تام كامل فيه الحواس الخمس
وفيه تظهر آثار الانسانية من التمييز والفهم والذكر والفكر وبالجملة جميع قوى النفس الا
انه لو افرد خلقه ولم يوصل سائر اجزاء البدن لما تمت حيوته مدة طويلة ولعرضت
له الآفات الكثيرة في الزمان اليسير وذلك حاجته الى الاشتمال والسعي في تناول الكاآت
ودفع الاذيات وليس يتم له ذلك الا بالحركة وحركه المستديرة نحو حاجاته تكون
بالتدحرج وفيه من التعرض للآفات ما لا خفاء به وموضع ذلك محتاج الى حرارة
تحفظ عليه اعتدال اخلاطها ومزاجا موزونا وتلك الحرارة لطيفة جدا وكان
سبيلها ان تكون في الوسط كالمركز لتنتشر الى اطراف الكرة بالسواء وتحفظ
عليه مزاجه وجوم الدماغ بارد رطب لا يصلح الا بذلك فلو جعلت تلك الحرارة
اللطيفة في وسطه لأطفأها سريعا وتلف الانسان وانضاف ان الحرارة
اذا جاورت الرطوبة احدثت البخارات الكثيرة والبخار اذا لم يجد منفذا الى

الهوآء

الهوآء عاد على الحرارة فاطفأها للوقت فوجب من هذه الاشياء
وغيرها مما يطول ذكره ان تبعد تلك الحرارة ولما ابعدت احتيج ان يوصل
منها ومن جوهر الدماغ بمجاري ومنافذ تجري مجرى الهوآء وهي الشرايين
التي من القلب ومنه ولما فعل ذلك احتيج الى زيادة في الحرارة وقوتها
اذ كانت تفصل الى مسافة طويلة وقد تنقص بعض قوتها في المحل
الذي القلب حرارة ازيد لتفصل الى الدماغ منها مقدار الحاجة والكفاية لحفظ مزاجه
ولما زيدت هذه الحرارة احتدت فحصل فيها بخار كثير ودخان
دخاني فاحتاج الى نافخ ينفي عنها ابدا بالنفخ البخار الدخاني ويجلب اليه
الهوآء الموافق لها الذي ستي فيه فلذلك خلقت الرية وآلة التنفس
لترويح الحرارة ويحذمها في اسباب البقاء ولما احتاج الى الغذاء الموافق لرد
العوض عما تحلل منه بالحرارة خلقت له آلات الغذاء وتوابعه وما يخدمه في
جمع ذلك من الرجلين للسعي الى الموئر والمرب من اليدين
لتناول المنافع ودفع المضار وجميع ما بين في كتاب منافع الاعضاء من
جليلها ودقيقها ظاهرها وباطنها التي دلت على حكمة بالغة وقدرة تامة وتدبير
فاضل وصنع لطيف وبهذا القدر من الكلام كاف في ان الانسان عالم صغير
واذ قد ظهر لك فقد ظهر ان قواه متصلة كاتصال العالم الكبير وانما مرتبته
من ادنى مراتبها الى اقصاها كالحال في ذاك الا انا نريد ان نبين فضل ما ان احوال

الكوة تنبه في البيت وجهه كوآء وتكوى

القوى لان ذلك غرضنا ومقصودنا الاول وان كنا لم نصل اليه الآ بعد
ما قدمناه وسنقول ذلك بتاييد في الجود والقدرة ومشيته ۞

الفصل الثالث في كيفية ارتقاء الحواس الخمس الى القوة المشتركة ومنها الى ما فوقها ۞

قد علمنا فيما تقدم ان للحواس الخمس حسًّا مشتركا جامعًا لجميعها ويؤلفها
في ذاته ولولاه لتفرقت علوم الحواس ولم يكن لها ما يولفها ولا لحفظها
بعد ان مزول آثارها ونقول الآن ان النفس لما حركت الحركة المنسوبة
الى السفل على ما كنا بيناه لم يمكن تحريكها الجسم المركب على جهاته وغلظه ان تتصل
بالنفس على لطفها وبعدها من الجوهر الجسمي الآ بوسايط يلطف فيه الجسم اولا اولا
حتى ينتهي الى غاية ما يمكنها ان ينهى اليه محمد بكر ان تمنع منها الاتصال الذي
يصير احدهما قابلا اثرا من الآخر ومثال ذلك ان المعدة اذا لطفت
الغذاء بالهضم وحصل منه في القلب دم رقيق لطيف ما امكن من الغذاء
عادت الحرارة التي في القلب عليه فزادته تلطيفا واجرته في العروق
الجوف التي تسمى شريانات وهو لطيف مما يكون من الدم وحصل منه
في العرق الاجوف الخالي من الدم كلما ارتفع لطف هذا البخار حتى يحصل في
الدماغ فيتشعب الى عروق دقاق كثيرة شبيهة بالشعر في الدقة وتفوق
في الدماغ فتعدل برده بحره وتعدل هو ايضا برد ذلك ويصير منه ما يسمى

لان الدماغ يسخن الى فوق فيرد جريان الدم
الى الاسفل فيغلظه ويسخن ما يقرب منه فيلطفه
فلا تزال تتصاعد ابخرة لطيفة من القلب
وتنحدر اليه غلاظ من الدماغ
لطيف يحصل في فضاء الوقت

روحا وبحسب صفاء هذا الروح وتهذيبه في الآلة تكون صدور قبول النفس عنه
واستعداده لقبول آثارها من الحس والفهم وتنشئ الطبيعة عند من الدماغ
اعصابا يكون بها الحس والحركة الارادية في جميع البدن وبها تمر الحوالن من النفس
فمنها العصبة الجوفاء التي تنقسم الى تقبي العين وتمد فيها ذلك الروح
وقد تهذب غاية تهذيبه ولطف جدًّا فيكون به البصر ومنها التي تاتي
الاذن فيكون بها السمع وكذلك الباقيات فاذا حصل في كل واحد من الحواس
اثر من المحسوس نادى منه الى الحس المشترك وهو قوة من قوى النفس في افق
هذا الجوهر اللطيف من الجسم فتقبل هذه الآثار كلها وكان كل حس من الحواس
الخمس مخصص بنوع من المحسوس نادى منه الى الحس المشترك وهو قوة من قوى النفس
في افق هذا الجوهر اللطيف من الجسم فتقبل آثاره ثم تميز من اشخاصه فكذلك
الحس الجامع المشترك تقبل الآثار من الحواس كلها ثم تميز منها الا ان الفرق بينها ان
الحواس الخمس انما تقبل الصور بان يحصل فيها آثار الجزئيات من المحسوسات
بعد شيء واما الحس المشترك فانه تقبل الصور من الحواس في دفعة واحدة من غير
ان يتاثر منها بما يحصل فيه من تلك الصور لانه في نفسه صورة والصورة لا تقبل
الصورة على طريق التاثر بل على طريق آخر ونحو اعلى واشرف ولذلك يدرك الجسم
بلا زمان ولا تجزية ولا انقسام ولا اختلاط الصور منه ولا يتزاحم كما يتزاحم
في الاجسام وترتقي هذه القوى الى قوة تسمى المتخيلة وربما ظن انها واحدة ۞

وبهذه القوة تظهر فعلها بجزء الدماغ المقدم ثم يرتقي الى قوة اخرى للنفس
تسمى الحافظة وهي كالخزانة التي تحفظ منها الاشياء الكثيرة ليستحضر منها ما
تحتاج اليه اذا امتد الزمان بها وبهذه القوة يظهر فعلها في اخر البطن من الدماغ
وهناك قوة اخرى للنفس وهي قوة التفكر يتم بها حركة الروية والتوجه نحو العقل
وتخص هذه القوة الانسان دون سائر الحيوان وتظهر فعلها في البطن الاوسط
من بطون الدماغ وليس للحيوانات الباقية هذا الجزء من الدماغ واعلم انا نمثل القوتان
في ذينك الجزئين فقط فلذلك لا روية لها فاذا حصلت تلك الصورة في هذه القوة
حتى تعلمها وسطر فيها فقد ارتقت الى افق الانسان وفي هذه المرتبة تظهر
الانسانية على قدر هذه الحركة واستقامتها وصحة نظرها بما يكون مرتبة الانسان
وتميزه عن البهائم وعلى قدر استكمالها بالحركة وقبولها اثر العقل يكون استواره من الانسانية
فاذا جعل الانسان اقصى سعيه بما يستفيده من حواسه ان يرقيها الى هذه القوة
ويتحرك ابدا في طلب اسبابها ومبادئها الاول اعطاه حينئذ العقل عطاياه فاستكمل
صورة الانسانية فيه وتصورت نفسه بحقائق الاشياء وتلك الحقائق هي المدركة الوجود
عن داخله تحت الكون والفساد ولاحت المدة والزمان لانها بسابط ومبادئ
فيصير محاولات هذه للانسان كلها ومساعيه فيها ولان تلك الاشياء ليست في زمان
فليس فيها ماض ولا مستقبل وسلخ الانسان في هذه المرتبة متصاعدا فيها الى غاية
افقه التي ان تجاوزها لم يكن انسانا بل صار ملكا كريما ومعنى ان يتصور ذلك

كما تصورت تلك البسايط الاخر في اواخر آفاقها واوايل آفاق ما فوقها ٥
ومن ههنا يمكن ان تبين كيفية الوحي وانفصال تلك الحقائق الشريفة الالهية بالانسان ٥

الفصل الرابع في كيفية الوحي

من فهم جميع ما رتبناه وحصله علم ان المقام الذي انتهينا اليه غاية شرف الانسانية
والافق الاعلى منه فاذا بلغه الانسان كان متعرضا لاحدى منزلتين اما ان
يرتقي ابدا فيه ترقيا طبيعيا ومعنى ذلك ان يديم الفكر مدة جبوته في جميع الموجودات
ليسأل عنها بقدر طاقة البشر فيتعرى بها جبلته ويحد نظره ويتلوح له الامور
الالهية فتصور في نفسه تلوحا واضحا من الامور الاوايل التي تسمى بدايا العقول
والاشارة فيها الى قياس برهاني لان البرهان هو مندرج من الاوايل وهذا التلوح
في العقل اعلى منه واسنى واجل وسنقول في ذلك ما يزيده ومنوطا اذا بلغنا
اليه في وصف السيرة والاخلاق ٥ واما ان تأتيه تلك الامور من غير ان يرتقي
فيها مرتبة بتخط تلك اليه لاتصاله به ومثال ذلك ان الانسان انما ارتقى من
قوة الحس الى قوة التخيل وارتقى من قوة التخيل الى قوة الفكر ومن قوة الفكر الى
ادراك حقايق الامور التي في العقل وذلك ان هذه القوى متصلة اتصالا رجانيا
كما بينا فيما مضى فربما عرض لها من قوة قبول بعضها من بعض الآثار ان تنعكس
في بعض الاحوال منحطة كما تصاعدت على سبيل الفيض فيؤثر حدس العقل في القوة
الفكرية ويؤثر القوة الفكرية في القوة المتخيلة ويؤثر التخيل في الحس فيرى

الانسان امثلة الامور المعقولة اعنى حقايق الاشياء وبساديها واسبابها كانها
خارجة عنه وكانما يراها ببصره ويسمعها باذنه وكان النائم يرى امثلة الاشياء
المحسوسة فى القوة المتخيلة وتظن انه يراها من خارج وربما كانت صحيحة مبشرة
او منذرة فى المستانف وربما راى الامور باعيانها من غير تاويل وربما راها
مرموزة تحتاج الى تاويل وذلك لامور تعرض يطول بذكره الكتاب كذلك
حال هذا المستنبط اذا استغرقته هذه القوة العالية اخذته عن المحسوسات
كانه غابت عنها فشاهد فى القوة المتخيلة ما انحدر اليها من عل فيرى ويسمع
مالا يشك فيه ولان ملك الامور مستقبلها وماضيها واحدة لانها حاضرة
معا فالامور لا تكره فتشاهد مستقبلها كما تشاهد ماضيها فاذا اخبر بما كانت
صحيحة واذا قابل بها اهل الحقايق من العلم كانت موافقة لان المبادى والعلل
واحدة فكذلك العواقب والمصاير فاذا اخبر بها من وصل اليها من اسفل
بالتفلسف اتفق رايا بها وصدق احدهما الآخر بالضرورة وبادر التفلسف
الى قبول ما يأتى به اكثر من مبادرة كل احد لانهما مستقلان فى ملك الحقايق الا ان
الفرق بينهما ان احدهما ارتقى من اسفل والآخر انحط من عل وكان المسافة
بين السطح والقوارير واحدة ولكنها بالاضافة الى القوارير يسمى صعودا وبالاضافة
الى من فى السطح يسمى هبوطا كذلك حال ملك الحقايق والمشاهدات عند من
ارتقى اليها وعند من يحيط اليه الآن تلك الحقايق اذا انحطت لم تكن بد من ان

متصنع

متصنع بصنع هيولانى لاجل القوة الهيولانية اذا ارتفعت الى العقل
بسطها وسلخ عنها الصور التى كانت لها كذلك الامور العقلية اذا
انحطت الى القوة المتخيلة ركبتها والبستها صورة هيولانية ملائمة لها
فاذا شاهد الانسان هذه الحال ولاحظ تلك الامور لم يشك فى صحتها و
خضعت لها نفسه واعترفت بها لانها من الامور التى كانت تطلبها بالحركة
والروية والجولان وكانها اذا اصابته بالرؤية لم يشك فيها كذلك
اذا انتهى الروية منحط اليها لم يشك فيها وهذه رتبة واسعة العرض متفاوت
فيها درج الانبياء عليهم السلم ومنازلهم فربما ظهر لهم الامور ظهورا بينا وربما
كان فيه غموض فيطلع لهم منه ما يطلع وكان عليه ستر ومن وراء حجاب وكذلك
حال ما يرونه من الامور المستقبلة فى عالمنا هذا من الفتن والحروب وغيرها
فانهم ربما رأوا الشئ الذى يكون الى مائة سنة فقط وربما بلغ نظرهم الى الف سنة
واكثر على ان ما يظهر لهم من المبدا والمعاد ايضا وان كان جليا عندهم بينا
فى نفوسهم فانهم صلوات الله عليهم يحتاجون فى تفهيمه الى الرمز وضرب الامثال
ليتاتى من الاوامر والنواهى كلامهم عاما يعم جميع طبقات الناس ويتيسر كون
الانتفاع به ويأخذ كل منهم نصيبه وحظه على قدر منزلته واذا علم فى بعضهم
فضلا من الفهم خصه بالزيادة بقدر ما يعلم من احتماله ان ما يلقيه الى على بن ابى طالب

اذا ارتقى الروية

عليه السلم وكرم الله وجهه والى من قرب منزلته منه فى التحصيل لم يكن
ليسند له لابى هريرة ومن كان فى طبقته وكذلك ما كان لحسن ذو الاحلام
والفهم من العرب لم يكن ليسع به جفاة الاعراب والمهج من الناس لان
العلم بجرى من النفس مجرى القوت من البدن اذ كان كمال كل واحد منهما و
بقاؤه هو فيما يتم ذاته وتتم صورته ويزيد فى قوته وكما ان البدن الضعيف
اذا كثر عليه من الغذاء او كانت كيفيته قوية لم يحتمله ولم يهضمه وصار وبالا عليه
واعتل منه وربما كان سببا لهلاكه فكذلك حال النفس فيما تلقى اليها من العلوم
وقد ذكرنا حال التدريج وكيف ينبغى ان يكون فى مراتب العلوم ليكون تدريجنا
فيه شبيها بما يدبر الطفل من تقديمه اللبن الى لحم البقر على مهل وفى زمان
طويل ولو حملنا به على الاغذية الغليظة لكان سببا لتلفه وبهذا المقدار
كاف فيما اردنا بيانه فلنقتصر عليه ان شاء الله ٥

الفصل الخامس فى ان العقل ملك مطاع بالطبع ٥

ان الرتبة التى خص الله تعالى بها العقل من اعلى المراتب اذ كان جميع البنوعات
دونه ومحتاجة اليه وهو الذى يمدها بنضايله وان كان بعضها لاجل بعده عنه
وقلة حظه منه يتمرد عليه وعلى ذلك فانه لا محالة يخضع له اذا ظهر له ادنى
ظهور فمثله كمثل ملك الذى تحجب عن بعض عبيده وطلع عليهم من حيث
لا يرونه فاذا خالفوا امره واجترؤا الى بعض نهى عنه فانما ذلك لانهم لا يرونه

ولا يعلمون

من البهيمة
ومن الاحداث

ولا يعلمون انه يراهم فان احتوا بادنى احساس انتبضوا وهابوه طبعا
ويظهر بهذا المعنى ظهورا كثيرا بينا فى البهائم فانها تحذر الانسان وتهابه بالطبع
وتتبع العدة الكثيرة الراعى الواحد وربما كانت قوة واحد منها تزيد على
قوى عدة كثيرة منهم باضعاف مضاعفة وكذلك حالها فى عظم الاجسام والجرأة
والبطش وعلى هذا جرى امر الناس بعضهم مع بعض فان عامتهم اذا وجدوا
منهم واحدا اكثر حظا من العقل فانهم يهابونه ويخضعون له ويتبعونه منقادين
مستسلمين كسنة البهائم اذا الطبيعة واحدة بعينها وكذلك مثل ادنى
العقلاء ممن هو فوقهم فى العقل من الطاعة والانقياد وشدة الهيبة والقوة
هذا الامر الطبيعى ربما فطن بواحد من الناس اكثر مما فيه من العقل فينقاد واله
وربما اوهم الشرير ومن حبب الترأس والغلبة وموثر التسلط والكرامة
على غيره استحقاق اثرا من آثار العقل بتصنع شديد وفى مدة طويلة فيتم
له ما يريد فقد بان ما اردنا بيانه من مرتبة العقل وانه ملك بالطبع
وان جميع ما دونه يخدمه ويعبده فيسعد به لانه طبيعى غير متصنع له فاما
ضرب التصنع وما تبع من جهة الاتفاق او البخت فليس مما نحن فيه شئ
وله موضع آخر ان اقتضاه الكلام تكلمنا فيه واما افرادنا بهذا الباب
وتكلمنا فيه لندل به على ان من شاهد الانبياء صلى الله عليهم من اهل زماننا
يرون فيه من آثار العقل ورجحانه عليهم ما لا يظهر لنا بالاخبار فيتبعونه

ونعاودون له بالطبع وكذلك ببصيرته ببصائر ونيات يبذلون
فيها المهج والاموال ويعاودون بها الاهلين والاولاد ويهجرون بسببهم
اللذات والشهوات ويبابونهم مع ذلك فوق هيبة الملك المتسلط
بالمال المتغلب بالجند والحشم المحتشد بسباع الناس الذين يخدعهم
باحاحة الشهوات والامراج فيها والتكلس منها وذلك لما ذكرناه من
تهيب الناس والحيوان لمن له رتبة رائدة عليهم في العقل واثر من آثاره
عليهم في العقل والى هذا اوما الشاعر بقوله

لولم تكن فيه آيات مبينة كانت بداهته تنبيك بالخبر

وليس يعترض ان يعترض علينا بمن عاند وتكبر وكذب الانبياء عليهم السلام
ولم ينتفعهم لان ذلك يعرض في جميع الاشياء التي في الطبع بان تتكلف
تتكلف العدول عنه بالاختيار التي تعرض من الاغراض لاسيما اذا
كان ذلك الغرض من حسد او محبة او رياسة او خوف من قوة شهوة
او غير ذلك من مرغوب الشرور وربما كان الانسان مطبوعا على امر من
الامور فيتكلف ضده حتى يكاذب نفسه وينتحله اذا صادق
وبهذا من عجب ما يلحق الانسان من الآفات ويسمى به معجبا لانه يكون
جبانا فيظهر الشجاعة ووقاحا فيظهر الحياء وبخيلا فيرى السماحة وظلوما
فيتكلف النصفة وبهذا كثر واما قصدنا ذكره ما هو بالطبع ويجري الانسان عليه

بغير تكلف

بغير تكلف حتى يستسلم له وقد بلغنا ما اردنا من ذلك بمشية الله

الفصل السادس في المنام الصادق وانه جزء من النبوة

ليس يتعذر الوقوف على ان المنام الصادق جزء من النبوة مما شرحناه
من امر النفس فيما سلف وحركتها الذاتية بعد ان تذكر ما النوم وما
سببه فنقول النوم بالحقيقة هو تعطل النفس الآت الحواس
اجمالها وانما وجب هذا الاجمام فيها لانها الآت جسمانية وصور
في هيولى فيعرض لها من الكلال والفتور بكثرة الاستعمال ما يعرض
لجميع الاجسام فيضطر فيها الى الاراحة ليعود جامة وليست في الطبيعة
في تلك الحال ما عرض لها من نقص وخلل فيتممه ومثال ذلك ان العين اذا
استعملت بالنظر فانما يتم فعلها بالروح المهذب في الشريانات التي
في بطون الدماغ وهو يأتي العصبة المجوفة المنفتحة الى بقبتي العين وهو
من اللطف بحيث تتحلل من ذلك الثقب في طبقات العين ويخرج
مع الشعاع بالقوة الذي يتبعه ويستكمل بالضوء الذي يصادفه من خارج
العين في الهواء من الشمس او من غيرها فيتصل من صور الاشياء التي
حصلت في الجرم الصقيل من ناظر العين ما يسمى رؤية وبصرا فاذا تحلل
ذلك الروح المتهذب الصافي باجمعه تبعه الكدر منه والغليظ ولذلك

الاحلام ذكر وآراء ان
ترتيب الادراك الانساني
من الادنى

الاجسام الفلكية ليست بمتشابهة الاجزاء
علل تغير النفس تارة وتبقى اخرى
واذا ذهب الضوء تعطلت

المزعة على الكون فى الاحوال المستقبلة فان كان هناك حظ من هذا
المعنى وافر كان ما نراه مرموزا يحتاج الى تاويل وهذه الحال بعض
احوال النبوة لان النبى هذه حاله فى يقظته ونومه ويكون مستمرة به
فاما غيره من اقتناء الناس فانما يعرض لهم ذلك فى النوم وفى بعض الاحيان
وليس تتم لهم ذلك بالقصد ولا عند التعمل له ولكن على ذلك لو لم يمر
الانسان فى عمره كله الا مناما واحدا لوجب ان يتنبه منه على فعل
النفس وان يشعر بها ولوادنى شعور ويعلم منها ما اذا اشير له الى
سعادتها وما هو معرض له من الخلود والنعيم فهو وسكن اليه وعمل عليه
ونحن نسأل الله الموفق والعصمة والهداية الى الصراط المستقيم انه خير مسئول واكرم مدعو

الفصل السابع فى الفرق بين النبوة والكهانة

ونبغى ان نذكر حقيقة الكهانة ليتبين الفرق منها ومن النبوة فنقول
ان هذه القوة من قوى النفس اكثر ما يظهر فى اوقات الانبياء عليهم السلم
وقبيل ورودهم وذلك ان الفلك اذا اخذ فى تشكل بشكل ما يتم به
فى العالم حدث عظيم او تكمل به امر كبير عرض من ابتداء ذلك التشكل وآخره
الذى هو غاية وتمامه فى الارض احداث تشبهه بما يريد ان يتم ولكنها
تكون غير تامة لان سببها الصناعة تام فاذا استكمل ذلك التشكل فى الفلك

سابع الآثار شبحا
اذا جرى على وجه
الارض والشيخ و
الاثار الكبارى

الواحد

رتبة

من

المزعة

وصار الى غايته تم به في العالم ما تقتضيه ذلك الشكل وانما يكون ذلك
في ساعة قصيرة من الزمان لسرعة تبدل الاشكال في الفلك وكثرة
حركاتها المختلفة فتصير تلك القوة التي توجبها ذلك الشكل في شخص واحد
او شخصين او ثلثة ويستوعب ذلك الشخص تلك القوة ويستوفيه على التمام
والكمال فاما من قرب من ذلك الشكل ولم يستوفه لقصره بالجركه فانه
يكون ناقص القوة بحسب بعده من الشكل ولذلك يكون النبوة اكثر ما
يظهر في الزمان الطويل لشخص واحد وربما عرض في بعض الازمنة ان يوجد
لاثنين او ثلثة وربما اجتمعوا في مدينة وربما تعذر وا في عدة مدن بحسب
ما يقتضيه المصلحة العامة والنظر الالهي لكافة الناس فاذا ظهرت النبوة
التي تمت قصد اليه بذلك الشكل تبين حينئذ قصور تلك القوى التي تقدمته
او تاخرت عنه وعجزها وتقصانها عن ذلك التمام ولذلك ايضا يكون
ما نظر في زمان كل نبي من جنس ما يريد ان يتم على يده ومن نوع ما يخصه
وفي ذلك النهج وعلى تلك الطريقة وقد تنبه المتكلمون في زماننا بهذا
على ما ذكرته فقالوا انما بعث الله عز وجل الاكل قوم بنبي يناسبهم من جنس
ما يدعون الفضل فيه والبراعة والتبرز بالمعجز الذي لا يطيقونه ولاني
منتهم مثله ليكون ابهر لحجتهم واوكد للالتهم واجدر الا يعقل الناس
جيئنا بما لا عرف منه شيئا ولو عرفنا منه ما تعرفه لاتينا بمثله فهذا المعنى

الذي

الذي ذهب اليه المتكلمون وان كان صحيحا فانما هو الامام بما ذكرناه
وكانما حكوا به وراء ظلة ثم نعود الى صفة الكاهن فنقول ان
صاحب هذه القوة اذا احس بها من نفسه تحرك اليها الارادة ليجتلبها وهي
في نفسها ناقصة فيبرزها في امور حسية ويثيرها من علامات تجري
مجرى الفال والزجر وطرق الحصى وما اشبه ذلك وربما استعان بالجان
الذي قد تكلف من سجع وموازنة لتصرف نفسه عن الحواس التي يستدل
نفسه وتعوى فيها ذلك الاثر ويحبس في قلبه عن ملك الحركة في نفسها ما
تتقدمه على لسانه فربما فرما صدق وافق الحق وربما كذب وذلك
انه تم نقصه بام مباين غير ملائم فعرض له الصدق والكذب جميعا
واذا عرض هذا صار غير موثوق به وربما تكذب الكاهن من تلقاء نفسه
بالتعدي فيما امر بسوره وسوقه ويكسد بضاعته فيستعمل حينئذ الزرق
ويخبر بالاثر الذي في نفسه ولا يجد له حركة ليموه امره فيضطر الى الظنون
والتخيلات ومعنى ان يتصور للكهانة عرض كثير فان درجات
اصحابها متفاوتة بحسب قربهم من غاية الافق الانساني وبعدهم عنه وعلى
قدر قبولهم الاثر الاعلى وعلى كل حال فانهم يتميزون عن الانبياء عليهم السلم
بالكذب الذي يعتريهم وما يدعونه من المحالات المحولة على قدر ما اعطوه
فان انس لواحد منهم ان يكون صادقا لا تجاوز ما يدعيه رتبته ومقامه

فاول ما يلوح له امر النبي صلى الله عليه فانه يعرف فضله وصدقه
ويكون اول مؤمن به ومتبع امره ومشيد له كما روي عن سواد بن
قارب وطليحة وغيرهما من الكهنة الذين آمنوا فيما بعد وحسن اسلامهم
وثبتوا عليه الى وقت وفاتهم ○

الفصل الثامن في الفرق بين النبي المرسل وغير المرسل

اما النبي المرسل فانه يتميز من غير المرسل بخصال كثيرة احديها ان المرسل
مناجى بحقيقتين اما بان يسمع بادنه ويبصر بعينه في اليقظة على حسب ما ذكرنا
من كيفية ذلك فيما تقدم وامكانه وبهذا اقوى ما يكون من احوال
الوحي لان ذلك المعنى الفايض عليه من فوق ابتداء من قوته المميزة
اعني العقل فاثر فيه وبلغ من قوته ذلك ان يتادى من قوة الى قوة
حتى انتهى الى اقصى قواه من اسفل التي في الحيوان اعني حس البصر وحس
السمع ○ واما بحقيقة اخرى دون ذلك وهو ان يسمع ولا يبصر فيصير كانه
من وراء حجاب كما قال الله عز وجل وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
او من وراء حجاب ○ فاذا سمع ذلك الوحي وجد في قلبه له دوية
ثم تتبعه سكون يقع معه اليقين وفي كلتي الحالتين يوم يحمل الناس
الذين هم ابناء جنسه على الطريقة المثلى التي تودي بهم الى صراط الله المستقيم وتاديهم
بالادب الذي يجري من نفوسهم مجرى الطب من الابدان لتسلم نفوسهم من الخلل

وعلم

وعلمه من الخطاء وسعيهم من الضلال وتقويمهم الى الشريعة التي شبهت
بشريعة الآء اعني الطريق اليه فان العرب تسمى الطريق الى الماء شريعة فهو
صلى الله عليه لذلك الامر مطيع يدرك فيه كل صعب وذلول ويستهين فيه
بالموت وانواع الشدايد وتحمل ضروب الاذى والمكاره وبهذا الانسان
من خاصته ان تكون له قوة عظيمة في الاقناع بالكلام وتاييد عظيم في قوة
كل انسان الى رايه وصرف الخواطر الى ما يورده على الاسماع باقناعاته
وله قدرة على ضرب الامثال وايراد تلك الحقايق التي هي مقررة عنده في معارض
مخيلة وتشبيهات ملائمة ثم انه يختص بنيف واربعين خصلة من الفضايل
تجتمع فيه وتتميز بها من غيره ولا تكون مجتمعة في سواه ونحن نقولها بمشية الله
اذا تكلمنا في سيرة الانبياء واخلاقهم ○ فاما النبي غير المرسل فانما يلوح له
ما يلوح من حقايق الامور ويتجلى له في الافق الذي يعنيه اليه ما يكون فيضا عليه
من فوق ولا يكون مرتبا اليه من اسفل بالتعليم والتدريج ولا يكون مامورا
بامر يتجلى ولا يبلغ من قوته فيما يلوح له من الامور ان يجاوز القوة الفكرية
ويتادى الى الخيال وما يليها الا انه ربما خوطب بما سمعه وسمي مناجاة وبهذا
الانسان شريف جدا من بين الناس مخصوص بفيض يأتيه من الحق فهو سعيد
بنفسه مستبصر في امره فان دعا انسانا الى رايه فعلى حسب شفقة الناس بعضهم
على بعض وايثار بعضهم مصلحة بعض لا على انه حتم عليه ولازم له وليس يحتاج و

اشفقه الى ارضاه

من تلك الخصال الا الى احد عشرة خصلة تكون فيه وسنعدها فيما بعد
منها عشرة ينبغي ان تجتمع للامام القائم مقام النبي صلى الله عليه وسلم وخصلة
واحدة تصان بها الامام وتختص بها دون القوة الفائضة عليه من غيره ان
يرتقي اليها بتعليم والتوقيف ولا يتدرج نحوها بسعي في طلب جملة على
سبيل التفلسف ٥

الفصل التاسع في اصناف الوحي

ان اصناف الوحي يجب ان تكون بعدد اصناف قوى النفس وذاك
ان الفيض الذي ياتي النفس اما ان يقبله تجميع قواها او بعضها وقوى النفس
ينقسم بالقسمة الاولى الى قسمين وهما الحس والعقل وكل واحد من هذين ينقسم
الى اقسام كثيرة واقسامها الى اقسام اخر كثيرة حتى تنتهي الى اخر اقسامه
التي لا اقسام لها واغراض هذا الانقسام بحسب الآلات والمدركات الكثيرة
فاما قواها التي هي الحواس فمنها ما هو في افق النبات ومنها ما هو في افق
الحيوان البهيمي ومنها ما هو في افق الانسان واعلاها مرتبة ما كان في افق
الانسان اعني حس البصر والسمع وذاك انا قد بينا فيما تقدم ان اول ما يقبله
الحيوان من تمام النفس ويتميز به عن النبات هو حس اللمس الذي يوجد في انواع
الصدف ثم حس الذوق والشم اللذين في اصناف الدود وكثير من الفواسق
ثم بآخره اذا قبل صورة السمع والبصر صار فيه الحيوان الرئيس الذي هو ما

من شانه ان يباشر حياته كما سلف وانما صار هذان الحسان شريفين لانهما
بسيط واقل مخالطة للهيولى وذاك انهما يقبلان صور الامور من غير
استحالة اليها فانا لا نشك اذا ابصرنا شيئا ما ان الاثر الحاصل في الحاسة
من ابصارنا اياه ليس هو ذلك الشيء بعينه ولا هو مخالط لمادته
واستحالة هيولانيه واذا كانت صور الحقايق التي تالي النفس من فوق غير
ملابسة لشيء من الهيولى لم تتجاوز حس السمع والبصر لانه ليس في طاقة الحواس
الاخر ان تقبلها دون من الانواع ولا جمة من الحقايق وعلى ان تلك المعاني ١٠٦
البسيطة الشريفة اذا انتهت الى السمع والبصر صار فيها طل للهيولى
فلذلك يظهر في معرض منها ولم يكن بعد ذلك ان تتجاوز نهاية الى كثافة
اخر وجامد ذواتا وهذا محال فقد تبين ان اصناف الوحي
على عدد قوى النفس الا ما استثنيناه من الحواس الثلث التي هي
افق الحيوان البهيمي القريب من النبات واقواها ما اشتملت عليه
النفس بقواها الباقية كلها ثم ما اشتملت عليه بعضها الى ان ينتهي الى
ما يقبله بقوة واحدة من قواها وبالله التوفيق ٥

الفصل العاشر في الفرق بين النبي والمتنبي

ان هذا الفرق وان كان بينا جدا عند اهل الحكمة والنظر الصحيح فانه
خفي عند العوام من الناس ومن شبه العوام ممن يدعي الخصوص
فلذلك يجب ان نذكر فيه شيئا لاتمام هذا الكتاب ليكون تاما به

من غير اطاقة ○ فنقول ان النبي صلى الله عليه وسلم
بالرتبة التي شرحناها له وبالخصائص التي ذكرناها من جميع الناس
محتاج الى تعاطي ما يتعاطاه اهل الحاجات الى اللذات والشهوات
مما لا ضرورة من جميع ذلك الى امور هو بها انس واليها اسكن ○
واما النسيان فهو بالضد منه انه يلتمس ما يدعوه من الامور التي
فيها ذاكر ليس على طهور ذلك عليه وافتضاحه به لانه اما ان يكون
ذهوله بإذن فان كان ما يلتمسه بالا او كراهة امور عنه في صيغ
مطعم او تشف او غير ذلك او شك ان يظهر عليه ولم يلتمس
معرفة دينه ذلك والى ذاك فان مبادي امور ... يلتمس
على الانبياء لا سيما اذا انضاف الى ذلك صحة واجبات
واتلال وفضل ساحة ستكلفهم القوم ويستثيلهم به ومحاولة من
وغير نجابة يستقل ما عقول اهل الغفلة الى ان يسئل عن شيء
او يتوى بالكلام فيما تطلعه النفوس وتنقطع الوقوف عليه من جهة
الانبياء عليهم السلم من امر المبدا والمعاد فانه حينئذ يتطلع الى
اما ان يعيد الفاظا محفوظة مسطورة في كتب الانبياء عليهم السلم المنزلة
واخبارهم الله ... فلا يكون له فيها صنع ولا غير ذلك ...
وتشبيهات موافقة للحقائق مطابقة لها وان اختلفت الفاظها ...

۷۴۳۰۹
شبیت

۹۹۰۹
فهرست